



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 . أبو القاسم سعد الله

كلية الآداب واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها



مضمرات وإكراهات إعادة استدعاء التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة (روايات: كولونيل الزبربر للحبيب السايح

والحركي لمحمد بن جبار وطير الليل لعمارة خوص) -مقاربة سردية تداولية-".

Implications and constraints of re-calling history in the contemporary Algerian novel (Colonel Al Zubarebare by habib Al-Sayeh and Al- Harki by Muhammad bin jabbar and The Night of Amarah lakhouse) ANarrative Pragmatic Approach.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إشراف:

إعداد الطالبة:

-أ.د حياة أم السعد

✓ ساحي نسيم

- أ.د صحرة دحمان

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
زكية يحيوي	أستاذة التعليم العالي	جامعة أبو قاسم سعد الله - الجزائر -	رئيس الجلسة
حياة أم السعد	أستاذة التعليم العالي	جامعة أبو قاسم سعد الله - الجزائر -	مشرف ومقرر
صحرة دحمان	أستاذة التعليم العالي	جامعة أبو قاسم سعد الله - الجزائر -	عضو مناقش
حبيبة العلوي	أستاذة محاضر -أ-	جامعة أبو قاسم سعد الله - الجزائر -	عضو مناقش
نعيم زواخ	أستاذة التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	عضو مناقش
عمر بلخير	أستاذة التعليم العالي	جامعة مولود معمري - تيزي وزو -	عضو مناقش

السنة الجامعية: 1443-1444 / 2022-2023.



The People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Qasim Saadallah-University of Algiers 2 Abul
Faculty of Arts and Oriental Languages
Department of Arabic Language and Literature



Implications and constraints of re-calling history in the contemporary Algerian novel (Colonel Al Zubarebare by habib Al-Sayeh and Al- Harki by Muhammad bin jabbar and The Night of Amarah lakhouse) ANarrative Pragmatic Approach.

.cycle Ph.D–A dissertation submitted for obtaining a third

in Arabic literature

Major: Algerian literature

: Student Preparation

: Supervision

Sahi Nas

sima

Saad–Dr. Hayat Umm Al . a –

– Dr. Sahra Dahman . a

:committee members Discussion

Adjective	original university	scientific rank	Name and Surname
Chairman	Abou Kassem Saadallah – Algeria – University	Professor of higher education	Zakia Yahyaoui
Supervisor and rapporteur	Abou Kassem Saadallah – Algeria – University	Professor of higher education	–Umm Al Saad's life
discussion member	Abou Kassem Saadallah – Algeria – University	Professor of higher education	Dahman desert
discussion member	Abou Kassem Saadallah – aAlgeri – University	Professor –A–Lecturer	Habiba Alawi
discussion member	– Higher School of Teachers – Bouzareah	Professor of higher education	Naima Zawakh
discussion member	– Mouloud Mamari University – Tizi Ouzou	Professor of higher education	Omar Belkhair

.2023–2022 / 1444–Academic year: 1443.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان:

الحمد لله رب العالمين الذي ألهمنا الطموح ويسر أمورنا ووفقنا
لإنجاز هذا البحث

وأقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير للدكتورة المشرفة حياة أم السعد التي
قدمت لي كل الدعم المعنوي والعلمي جزاها الله خيرا.

وأشكر جزيل الشكر والعرّفان للدكتورة المساعدة صحرة دحمان التي
لم تبخل علي بتوجيهاتها السديدة جزاها الله خيرا.

كما أشكر كل أساتذة التّخصص أدب جزائري الذين لم يدخروا جهدا
في تقديم معارفهم العلمية، وإلى كل زميلاتي وزملائي في التخصص
وخارجه، وإلى قسم اللغة العربيّة وآدابها.

وأشكر كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد لإنجاز هذا
البحث.

وأتوجه بالشكر والعرّفان لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة
وتقييم هذا البحث.

الإهداء:

إلى الوالدين الكريمين برًا وحبًا وإكرامًا

إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي

إلى عشير العمر "زوجي"

إلى جدتي وعائلة زوجي

إلى الروح الطاهرة "جدي" رحمة الله عليه

إلى كل الأحبة والأقارب والأصدقاء بلا استثناء.

الرموز المستعملة في التوثيق:

الرمز	الدلالة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تح	تحرير
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
ع	عدد
*	إضافة معلومة
[....]	حذف من القول

مقدمة

شهدت الكتابة الروائية تراكما لافتا وتطورا ملحوظا سواء من حيث بناؤها الفني والجمالي أو من حيث القضايا التي تُعالجها بحسب وجهات نظر كتابها واهتماماتهم بما هو مطروح في أوساطهم الاجتماعية والسياسية. ومن المؤكد أنّ الرواية الجزائرية ساهرت ركب هذه التطورات وتنوّعت موضوعاتها التي حرّكت بعض التساؤلات اللصيقة بما يعرفه مجتمعنا من مسائل شائكة.

على هذا الأساس تفتّحت الرواية الجزائرية على الكثير من الحقول المعرفية والخطابات الاجتماعية والسياسية والتاريخية وباتت تُشكّل بنيتها المعقّدة، فتفاعلها مع "التاريخ" بوصفه المادة المنجزة مرّت عليه فترة زمنية وأصبح حضوره قويا داخل النصوص الإبداعية الروائية المعاصرة، كما تنوّعت موضوعات هذه الروايات خاصة التي مسّت القضايا الكبرى من تاريخ الجزائر: كحضور الاستعمار الفرنسي الغاشم وما بعد الاستقلال والعشرية السوداء وفساد السلطة...إلخ.

وأدى دخول التاريخ إلى الخطاب الروائي إلى التنازع والتفاعل في الكثير من الروايات الجزائرية، ولهذا أردنا أن نكشف عن طريقة حضور القضايا التاريخية اللصيقة بدواتنا بحثا عن تجلياتها في المتون الروائية الجزائرية محلّ الدراسة خاصّة أنّنا لمسنا فيها حضوراً بارزاً لقضايا تاريخية بعينها.

وبعد نقاشات متكرّرة مع لجنة تكوين تخصّص "الأدب الجزائري" وقع اختيارنا "على رواية كولونيل الزبربر للحبيب السايح ورواية الحركي لمحمد بن جبار وطرير الليل لعمارة لخص"؛ إذ إنّنا لا نعدّ هذه النصوص روايات تاريخية* بل روايات وظّفت التاريخ؛ كما

* الرواية التاريخية حسب ماجاء في كتاب "الرواية التاريخية لجورج لوكاتش" تستوفي شروطا من بينها:

- التماسف التّنائي.

- تجاوز الرواية الرسمية في تحريك الأحداث.

ساهمت هذه الأعمال في إدراج التاريخ الجزائري بطريقة جمالية حاولت أن تتلاءم مع قواعد الفن الروائي، واشتغلت على الحفر في أعماق التاريخ الجزائري لإمطاة اللثام عن بعض ما هو مضمّر في التاريخ الرسمي.

ومن هنا ضبطنا عنوان بحثنا كآلاتي: "مضمّرات وإكراهات إعادة استدعاء التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة (روايات: كولونيل الزبير الحبيب السايح والحركي لمحمد بن جبار وطير الليل لعمارة لخص) -مقاربة سردية تداولية-".
أدى بنا هذا العنوان إلى طرح الإشكالية الآتية:

كيف اشتغلت الروايات الجزائرية على المسائل الشائكة في التاريخ الجزائري المضمّر؟
وتفرّع عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة:

- ما هدف الروائي من طرحه لقضايا تاريخية بعينها؟
 - ما هو التاريخ المضمّر والمسكوت منه؟
 - ماهي الآليات الإجرائية التي تقدّمها التداولية كمجال معرفي متعدّد التخصصات للوصول إلى التاريخ المضمّر والمسكوت عنه في النماذج الروائية المختارة للتحليل؟
- استدعت طبيعة الإشكالية التي طرحناها الاستناد إلى المقاربة السردية التداولية؛ ذلك أنّنا أمام نصّ جماليّ اختار أن يدرج التاريخ ليلبي مقاصد بعينها لصيقة بوجهات نظر الكاتب وإيديولوجيته ورؤيته للعالم. فضلا عن أنّ هذه المقاربة تمنحنا آليات إجرائية مهمة تُساعدنا للوصول إلى المعنى المُتخفّي والمُغيب تحت عباءة ما هو ظاهر وصريح.
- ومن بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع:

-
- الدور الرئيسي يكون لأشخاص مجهولين تأريخيا أو شبه تأريخين أو غير تأريخين إطلاقا.
 - الحسّ التاريخي.

أولاً: تناولنا لموضوع التاريخ في مذكرة الماستر التي وجدنا فيه متعة دفعتنا إلى مواصلة البحث في مسائل متعلّقة بالتاريخ.

ثانياً: بعد قراءتنا للعديد من المتون الروائية لاحظنا أنّ عدداً من الروائيين استطاع إعادة كتابة عدة حقبات مضمرة ومغيبة من تاريخ الجزائر بطريقة جمالية فنية تتلاءم مع قواعد الفن الروائي.

لا نغفل عن الإشارة إلى دراسات عالجت جزءاً من الإشكال، وأعانتنا على تحديد وجهة البحث، ونذكر البعض منها:

- كتاب النص والسياق "استقصاء البحث الدلالي والتداولي" لفان ديك، الذي أعاننا في الجانب النظري لاهتمامه بالبعد التداولي، الذي ينصب في مدى ارتباط النص بالسياق وأنواعه، وكذا في البنيات الشمولية الكبرى التي ساعدتنا على فهم النص وفك شفراته ومدى انسجامه وتماسكه.

- كتاب "التداولية" لجورج يول تحدث فيه عن تحديدات التداولية وعن الاستراتيجيات التي من خلالها يمكننا الوصول إلى المضمرة والمغيب " الافتراضات المسبقة والتضمين والاستلزام؛ ساعدنا هذا الكتاب كثيراً في الجزء النظري، وذلك بتوظيفنا لتلك المعطيات والآليات النظرية على المتون الروائية التي وظفت التاريخ ومررت رسائل عبر سطورها.

- كتاب "المضمرة" لأوركيني كيريبيرات، هو كتاب يقوم على الدراسات التطبيقية للمحسنات البيانية، لذا فتح لنا المجال لتوظيف المحتويات المضمرة من افتراضات ومضمنات والكفاءات التي يشترط أن تكون لدى المتلقي ليؤول ويصل إلى المقاصد والمعاني المضمرة.

- كتاب "تداولية الخطاب الروائي" لحياة أم السعد، الذي أعاننا كثيراً في تحديد إشكالية البحث والموضوع سواء أكان في الدراسة النظرية أم الدراسة التطبيقية، إلا أنّ ما أضفناه في بحثنا بعض الآليات والاستراتيجيات التداولية لم نتناولها في كتابها.

كلّ هذه الكتب كانت لنا سندا في توجيه بحثنا، وأعانتنا كثيرا على إكمال أطروحتنا؛ حيث اتّفقنا معا في أشياء واختلفنا معا في أشياء، وهو ما جعل بحثنا ينحو منحى آخر، حيث أننا طبقنا على متون روائية وظفت تاريخًا مغيبًا ومضمرا، توصلنا إليها عن طريق الاستراتيجيات والأبعاد التداولية.

استدعت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مدخل وفصلين وخاتمة؛ حيث عرضنا في المدخل "المحددات المفتاحية المتعلقة بالدراسة" كحضور التاريخ في الرواية والتاريخ والذاكرة، حيث عنوانا الفصل الأول: "الإستراتيجيات التداولية واستنباط التاريخ المضمّر" تطرّقنا فيه إلى تحديدات التداولية وإلى أهم الآليات الإجرائية التي أفادتنا في مقارنة المدونات المختارة، وقد ضمّ هذا الفصل الأول خمسة مباحث:

1. تحديدات التداولية عند الدراسين الغربيين والعرب
2. السياق: تناولنا فيه أنواعه ومدى ارتباطه بالنص.
3. معنى المعنى أو المسكوت عنه: قسمناه إلى محتويات: افتراضات ومضمنات.
4. التأويل التداولي: قسمناه إلى وسائل التأويل التداولي وكفاءات المؤول
5. والاستدلال والاستلزام التخاطبي والقصد: آليات تداولية ساعدتنا على الوصول للتاريخ المضمّر والمسكوت عنه في المتون المختارة.

أما الفصل الثاني فخصّصناه للتطبيق شمل ثلاثة مباحث، وسما المبحث الأول: "حضور التاريخ على المستوى النصي في روايات كولونيل الزّبربر والحركي وطيّر الليل، وتحدثنا فيه عن الآليات السردية والتداولية التي أبرزت سرديّة حضور التاريخ داخل النصوص الروائية، وقسمناه إلى أربعة عناصر: أولها: "دلالة العناوين وعلاقتها بالمتن الروائي واستخرجنا البنى التاريخية الكبرى، وبعدها توقّفنا عند الاستمرارية الموضوعاتية" لمجمل البنى التي ألّمت بالحدث التاريخي في النصّ الروائي، لنتوصّل إلى مدى انسجام النصّ الروائي رغم تنوع الموضوعات والأحداث التاريخية، وثانيها: "الخطابات المنقولة

ومدى رصدها للتاريخ المضمّر على المستوى النصّي" تناولنا فيه الخطابات المباشرة وغير المباشرة، أمّا ثالث هذه العناصر وسمناه: "الرؤية السردية وحضور التاريخ المضمّر على المستوى النصّي" أولاً إستراتيجية التّبرير ونقلها للتاريخ في رواية طير اللّيل، خاصّة أنّ السارد عليم بكلّ شيء؛ حيث يغوص في ذهنيّات الشّخصيّات ويرتب الأحداث التاريخيّة ويمرّرها من منظوره الخاصّ.

بالنسبة لرواية "الحركي" فقد طبقنا عليها مسألة المبرر أي الذات المدركة والمبأر أي المواضيع التي تناولها السارد والمتمثّلة في بعض الحقائق التاريخيّة المضمّرة، وفي رواية "كولونيل الزّبربر" تناولنا وجهة نظر الشّخصيّة والزّاوي المتكفّلين بالوقوف عند حقائق التاريخ الظّاهر المضمّر ونقلها في سياق الرّواية خدمة لمسارها ومقاصد الكاتب.

انتقلنا بعد ذلك إلى عنصر "المفارقات الزّمنية وتشكّلاتها في المتخيّل التاريخي" الذي رأينا أنّه يخدم الرّوايات الثلاث التي تعود بنا إلى الزّمن الماضي من حيث الاسترجاعات التاريخيّة والاستباقات التّمهيدية، فهي تتلاعب بالزّمن من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى الحاضر، كاشفة اللّثام عن العديد من الوقائع المغيّبة والمنسيّة في التاريخ الجزائري.

يأتي المبحث الثاني من الفصل التطبيقي بعنوان "إعادة بناء الأنساق المضمّرة التاريخيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة «كولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل» ليهتمّ بحضور التاريخ على المستوى الضّمّني المضمّر.

وقمنا بتحليل هذه الرّوايات وفق الآليات التداوليّة التي تناولناها في الفصل النظري وساعدتنا على الكشف عن التاريخ المضمّر. قسّمنا هذا الفصل إلى جملة من العناصر أولها: "الافتراضات المسبقة التي تُساهم في استنباط الأقوال المضمّنة والمضمّر في رواية كولونيل الزّبربر للحبيب السّايح، التي كشفت عن عدّة قضايا تاريخيّة مغيبة؛ حيث سعت

للحفر في أعماق التاريخ الجزائري ممرًا الكاتب من خلالها مقاصد وأهداف على المتلقي الوصول إليها عبر الآليات التداولية.

وكان ثانيها عنصر: "المنحى الاستلزامي والاستدلال التخاطبي في المتخيل التاريخي المضمّر والمسكوت عنه في رواية الحركي لمحمد بن جبار، التي أراد الروائي من خلالها أن يمرّر رسائل تحمل دلالات وأبعاد بين سطور الرواية فهو "يقصد أكثر ممّا يقول"، على المتلقي الباحث الوصول إليها عبر هذه الاجرائيات التداولية الاستلزامية والاستدلالية.

ثم انتقلنا إلى العنصر الثالث: "مقاصد الروائي واستراتيجية التأويل في المتخيل التاريخي" في رواية طير الليل لعمارة لخص، حيث يعتمد المتلقي لاستنباط مقاصد الرواية على الإستراتيجية التأويلية لملء الفجوات والفراغات التي تركها الروائي ربّما متعمداً، ليجث المتلقي أو القارئ عن ما هو مغيب من أجل الوصول إلى دلالات الرواية المضمرة ومعانيها ومقاصدها التي لا تستطيع البوح بها لأسباب سياسية ودينية وتاريخية وثقافية.

وختمنا الفصل الثاني بمبحث ثالث وسمناه "تقاطع القضايا التاريخية المسكوت عنها والمضمرة وتباينها في الروايات المختارة" وتطرّقنا فيه إلى الحديث عن الأحداث والمسائل التاريخية التي فضحتها رواية وسكتت عنها رواية أخرى. وفي الأخير ختمنا بحثنا بجملة من النتائج توصلنا إليها.

في الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير للأستاذة الدكتورة "حياة أم السعد" التي أشرفت على هذا العمل ولم تدّخر جهداً في النصّح والتوجيه وتحمل مشاق القراءة والتصويب لإخراج البحث على هذه الصورة الأكاديمية، فجزاها الله عنا خير الجزاء، كما أشكر الأستاذة الدكتورة المشرفة المساعدة "صحرة دحمان" الشكر الجزيل لتحملها عناء تصحيح هذا البحث وتصويب أخطائه. كما أشكر أساتذة لجنة التكوين وأعضاء لجنة المناقشة على تشجيعهم عناء قراءة هذا البحث من أجل تصويبه

وتصحيح هفواته. وفي الأخير نرجو من الله أن يكون هذا البحث مفيدا للقارئ فاتحا أمام الباحثين وأبحاث أخرى نافذة جديدة وآفاقا مستقبلية.

مدخل

المحدّدات المفتاحيّة المتعلقة

بالدراسة

إنّ الرواية بوصفها جنسا أدبيا نثريا سرديّا تخيليا، مدت جسورا بينها وبين شتى الحقول المعرفيّة، ويحضر التاريخ في الآونة الأخيرة حضورا لافتا، يختلف توظيفه من نص روائي لآخر بحسب توجهات المؤلفين ورؤاهم الإيديولوجيّة وانتقاءاتهم لفترات تاريخية دون أخرى وأحداث تسرد بوجهات نظر تكاد تصل حد التّباين، هذا ما دفع بالكثير من النّقاد للاهتمام بدراسة هذا النّوع من الروايات، وبما أنّ اهتمامنا انصبّ على الرواية الجزائريّة تحديدا آثرنا أن نقف على حضور التاريخ والذاكرة في الرواية الجزائريّة قبل أن نلج إلى نصوص بعينها دراسة وتحليلا.

كما لا يمكن لأي باحث أن يخوض في مجال الرواية، دون أن يعرف تحدياتها وتطوراتها، فلقد أفاضت الكثير من المراجع الغربيّة والعربيّة في هذا الموضوع¹

وتبقى الرواية فعلا إبداعيا على الرغم من أنّها تستلهم عوالمها من الواقع الاجتماعي والنّفاسي، فإنّها أقدر على تركيب عالم سردي خيالي يتعدى المحتمل، ليستشرف حدود الغريب والغامض، لكنّه يمتلك من السمات والقرائن ما يساعد على قراءته في ضوء علاقته بعالم الحياة الحقيقيّة من بينها الرواية الجزائريّة.

* نحن لا نخوض في تحديدات الرواية؛ حيث سبقنا الكثير إلى دراسة الرواية من رسائل جامعية وكتب، التي يمكن للقارئ العودة إليها من بينها: كتاب: شارتيهبيير، مدخل إلى نظرية الأجناس، تر: عبد الكريم شرقاوي، ص 09. و ، القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، ص 202. وكتاب: باختين ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق ، ص 09. وكتاب: ستالوني إيف، الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، ص 245.، تيزفينان تودروف ، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، ص. 165، وكتاب: الخضراوي إدريس، الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، ص 191.

ولأن موضوعنا يشتغل على حضور التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة، وقفنا لنبحث في بعض المؤلفات والروايات التي حضر فيها التاريخ، لذا طرحنا السؤال الآتي: كيف وظّف الروائيون التاريخ في نصوصهم الروائية؟

1/ حضور التاريخ في الرواية الجزائرية:

تعالقت الرواية الجزائرية مع التاريخ ليشكلان مبدأ واحداً، ولإسترجاع جروح الذّاكرة للحقبات التاريخية التي مرت بها الجزائر "من الاحتلال الفرنسي إلى صراعات مابعد الاستقلال إلى العشرية السوداء"؛ حيث حاول الروائي إستحضار التاريخ الجزائري في متونه ليكتب مالم يقله التاريخ الرسمي، كما أراد توظيفه في سياقات جديدة تحمله على فضح ما كان مضمرًا ومسكوتًا عنه لدفع القارئ للمساءلة والبحث واستقصاء التاريخ، كما يقول فيصل الدراج في كتابه: "استدعى الروائي المؤرخ وطرده لأكثر من سبب: فالمؤرخ يقول قولاً سلطوياً "نافعاً"، ولا يتقصى "الصحيح"، يهمل تاريخ المستضعفين، ويوغل في التهميش التي تخوم التزوير وإعدام الحقيقة"¹، هذا ما دفع الروائيون إلى ربط الرواية بالقضايا التاريخية، و"كذا جاءت الرواية بمتنيها التاريخي والسردى انتصاراً لمدونة التاريخ التي يكتبها الإنسان المقهور، في نضاله وكدحه وتطلعاته، كما تحقق فيها لون من الجدل بين الماضي والحاضر"²، إنّ هذا المتخيل التاريخي جاء ليسد ثغرة أغفلها المؤرخون وأرادوا تجاهلها لما تحمله من مقدسات لا يمكن المساس بها.

¹ - الدراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ "نظرية الرواية والرواية العربية"، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص 05-06.

² - فاضل ثامر، التاريخي والسردى في الرواية العربية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2018، ص

بدأ تناول التاريخ في الرواية الجزائرية على يد مجموعة من الروائيين كتبوا باللغة الفرنسية طرحوا فيها همومهم وقضاياهم، وعالجوا فيها الواقع المرير الذي يعيشونه؛ إبان الاستعمار الفرنسي ليصل صوتهم للآخر، أمثال: "مولود فرعون في رواية ابن الفقير سنة 1939 ورواية الدار الكبيرة لمحمد ديب سنة 1952 ، ونوم العدل لمولود معمري 1955 ونجمة للكاتب ياسين سنة 1956..."¹.

وظهرت بعد الاستقلال أقلام لروائيين جزائريين كتبوا باللغة العربية واستعادوا فترات مختلفة من تاريخ الجزائر، أمثال: "ريح الجنوب لابن هدوقة واللاز لطاهر وطار ورواية مالا تذروه الرياح لمحمد عرعار..."، فقد لجأ الروائيون بعد الاستقلال إلى الرواية للتعبير عن الواقع الجزائري ومرحلة الاستعمار الفرنسي والحياة المعيشية والتغيرات التي طرأت في فترة ما بعد الاستقلال.

ثم ظهر جيل جديد في مرحلة الثمانينيات حاول تقريب المسافة بين السرد الروائي والسرد التاريخي، وكان أكثر جرأة وشجاعة وصدقا في الحفر عميقا في القضايا التاريخية والسياسية الجزائرية، فهو أراد فضح وكشف التاريخ المضمّر والمغيّب وراء التاريخ المزيف الرسمي الذي كتبه المنتصرون، أهمهم: "كتاب الأمير لواسيني الأعرج تناول فيه شخصية مهمة من تاريخ الجزائر ألا وهي "الأمير عبد القادر"، والروائي محمد مفلّاح في روايته شعلة المائدة التي عاد فيها إلى مقاومة الجزائريين لاحتلال الاسباني وروايات محمد ساري القلاع المتأكلة والغيث وحرب القبور، التي تناولت عدة مواضيع تاريخية كالعشرية السوداء والصراعات بعد الاستقلال، وروايتا

¹ - منور أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، "نشأته وتطوره وقضاياها"، دار التنوير، الجزائر، ط1،

ياسمينة صالح وطن من زجاج وبحر الصّمت، تطرقت فيهما إلى سنوات الجمر، وروايتا حبيب السّايح كولونيل الزّبربر وزمن النّمروود.... وغيرها".

فالرواية الجزائرية وظفت التّاريخ لغايات وأهداف لتبث مقاصد ومعان على القارئ أن يكتشفها عن طريق البحث فيما لم تقله هذه الروايات صراحة فتقوده للوصول إلى ماهو مضمّر ومسكوت عنه.

2 / تحديدات "التّاريخ" بين المفهوم والإجراء:

بما أنّ موضوعنا سيشغل على عدد من الروايات التي حضر فيها التّاريخ بشكل لافت للنظر، كان لزاما علينا الوقوف على ما يسمى تاريخا في مختلف الثقافات الإنسانية القديمة والحديثة الغربية والعربية. فالتّاريخ من حيث الإنتماء هو جنس من أجناس العلوم الإنسانية، واختلف الباحثون والدارسون في تعريف محدد له.

ويقال إنّ كلمة "التّاريخ" في كثير من الكتب كلمة يونانية الأصل، وتدل على استقصاء الإنسان لواقعة إنسانية منقضية سعيًا منه إلى التعرف على أسبابها وآثارها، وهذا المعنى قصده هيرودوت (Hyrodoyte) (القرن الخامس قبل الميلاد) في تاريخه الشّهير، حين استقى أعمال البشر، وأعرض عن أساطير الآلهة، آخذا بمبدئه: "العلة والمعلول".¹ فأول من جاء بكلمة التّاريخ هيرودوت الذي جعلها تدل على الوقائع والأحداث التي تخص الإنسان في علاقات تعتمد على العلة والمعلول.

وأما ابن خلدون فيرى أنّ: "التّاريخ هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، وذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال، ولقد هداه هذا الاتجاه إلى استقراء نظريات متنوعة خاصة بال عمران البشري، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل:

¹ - دراج فيصل، الرواية وتأويل التّاريخ "نظرية الرواية والرواية العربية"، ص 61.

التوحش والتأنس على بعض، وما ينشأ عن ذلك الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.¹

ويرى ابن خلدون أنّ التاريخ هو خبر بحال المجتمع والعمران، ويستند عبد الله العروبي إلى ما قدمه ابن خلدون ليُعرف التاريخ إذ يقول: "التاريخ حقا هو تاريخ البشر للبشر وبالبشر، أما سواه فهو إمّا تاريخ بشري مقنع، أو خاضع لمنطق آخر، منطق الملاحظة (الطبيعيات) أو الكشف (الغيبات)."²، وبالتالي فالتاريخ يرتبط ارتباطا وثيقا بالبشر ويكتب ما هو واقعي موجود.

كما أنّ التاريخ في أبسط تعاريفه هو: "حكاية عن الماضي أو مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت، ولكنها قابلة للتحوّل والتفسير والتأثير وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة، والفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة"³، فالتاريخ هو ما مضى وانتهى ليصبح في حاضره تاريخا تاركا وراءه آثار وبصمات عبارة عن سلسلة توصلنا إلى الحاضر والمستقبل، أي كل حاضر ومستقبل له علاقة بالماضي.

ونجد الفيلسوف هيجل في مؤلفه "محاضرات في فلسفة التاريخ" يقر بوجود علاقة زمنية وتصورية بالحدث، والمرتبطة أساسا بالإنسان وتطوره الحضاري، ويبدو

¹- ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق - سوريا، ط1، ج1، 2004، ص 34-35.

²- العروبي عبد الله، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص 34.

³- ماضي عزيز شكري، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2005، ص 145.

أن هيجل اكتفى بالوقوف على مجموعة من الملاحظات العامة حول التاريخ؛ حيث بدأ يفحص المناهج المختلفة التي يمكن أن يكتب بها التاريخ وحصرها في ثلاثة أنواع كبرى وهي:¹

1- التاريخ الأصلي 2- التاريخ النظري 3- التاريخ الفلسفي

ولابد من وقفة قصيرة عند كل منها:

فالتاريخ الأصلي: "هو ذلك التاريخ الذي يكتبه المؤرخ، وهو يعيش الأحداث، فهو ينقل ما يراه أو ماسمعه من الآخرين"، أما التاريخ النظري: "فهو أن المؤرخ لا يعيش الأحداث التي يرويها وإنما يجاوز العصر الذي يعيش فيه لكي يؤرخ لعصر آخر"،

أما التاريخ الفلسفي: "وهو دراسة التاريخ من خلال الفكر والوعي والعقل".²

إن النوع الثاني "التاريخ النظري"، يشاكل الرواية التاريخية إلى حد بعيد، في الكيفية المخصصة التي تتشكل من خلالها الوقائع الماضية عبر بناء نصي لغوي.

وإذا عدنا إلى بعض الكتابات النقدية العربية المعاصرة، كعبد الرحيم جيران يُعرف التاريخ على أساس أنه: "لا يتعدى كونه المادة المشكّلة من أحداث ماضية تخص جماعة أو مجتمعا ما، وهو بهذا يكون أيضا مجال التفكير الفلسفي"³، أي أن التاريخ من مميزات الجماعة والأحداث الماضية، كما "يستند التاريخ إلى مستندات، ووثائق

¹ - ينظر: هيجل، العقل في التاريخ "من محاضرات في فلسفة التاريخ"، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير،

بيروت - لبنان، ط3، ج1، 2007، ص 32.

² - هيجل، العقل في التاريخ "من محاضرات في فلسفة التاريخ"، ص 32-40.

³ - جيران عبد الرحيم، الذّاكرة في الحكى الروائي "الإتيان إلى الماضي من المستقبل"، دار الكتاب الجديد

المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2019، ص 60.

ومصادر ماديّة ويخضع للتدوين ومادته قابلة للفحص العياني، والتفسير العلمي وتضارب وجهات النظر والتّصحيح المستمر للتفسيرات، ولا يُمكن محو ما يُسجله نهائياً، فمهما حاول النّاس نسيان آلامهم فهو موجود في جهة ما، مثبت في سجلات لا يمكن إتلافها أبداً، وإذا أُلغيت فهناك المصادر الماديّة التي تذكر به¹ فعلى المؤرخ تدوين التّاريخ لكي لا يمحي من الذاكرة ولا يطويه النسيان، لذا يجب أن يسجل في سجلات وكتب.

فالتّاريخ هو "محصلة لعمل المؤرخين، الذين يتصدون لإنتاجه وفقاً لتقنيات معرفيّة ومهنيّة مضبوطة، تتعامل مع مخلفات الماضي بالمسافة"²، فلكتابه التّاريخ من طرف المؤرخ عليه أن يكون ملماً بتقنيات كتابة التّاريخ كالبحت والتّقيب مثلاً.

كما يُعد التّاريخ أيضاً "ممارسة لرواية أحداث ماضي جماعة ما من قبل المؤرخ، أو ما يمثله، ومن ثمة يكون مثل هذا المجهود واردا بكل تأكيد، لكنه مجهود لا يحتل أعلى سلم الأهمية، فهو ضروري، بيد أنّه خادم لغايات تتعلق بالصحة والتفسير."³، فالتّاريخ باعتباره علماً فإن لديه تقنياته وخطواته ومواضيعه وكيفية كتابته فهو ليس عشوائياً، كما أنّ المؤرخ عند تدوينه للتاريخ يحفظ قيمه ومبادئه وأحداث زمنية ولت.

¹ - المرجع نفسه، ص 65.

² - عيسى لطفي ، بين الذاكرة و التّاريخ "في التّأصيل وتحولات الهوية"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015، ص06.

³ - حيران عبد الرحيم ، الذاكرة في الحكى الروائي "الإتيان إلى الماضي من المستقبل"، ص 70.

كما يبدو التاريخ لدى المدافعين عنه أو المنتسبين إليه: "علما موضوعيا مبرراً من الأهواء والمصالح له أسانيده ووثائقه والجهود المتعددة التي أنجزت مناهجه".¹، أي التاريخ مثقلا بالعاطفة والأحاسيس حسب ما وُجد في الكتب. وباتت مسألة التمثلات في كتابة التاريخ مطروحة بشدة، فهل ما نجده في التاريخ من كتابات تتطابق مع الواقع، أم يمارس المؤرخ جملة من الانتقاءات؟.

3-تحديدات الذاكرة* وأنواعها:

تتعدد مفاهيم "الذاكرة" بتنوع التخصصات والفروع، كعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب، وبالتالي فكل تخصص له تعاريف محددة، لكن ما يهمنا في دراستنا التحديدات الأدبية؛ لأنّ مسائل الذاكرة مطروحة بشدة واهتم بها عدد من النقاد والمنظرين في الدراسات المعاصرة مثل: جاك لوكوف (Jacques le Goff) وبول ريكور (Paul Ricoeur) و ميرري ورنوك (Mir Ournok) ، لطفي عيسى...، ويعتبر "القرن العشرون قرن الذاكرة، ويستحق أن يلتصق به اسمها"²، وهذا نلاحظه في العديد من الروايات، لأنّه الفن الأدبي أكثر رحابة وسعة لاستيعاب مسائل الذاكرة التي اختلفت من الذاكرة

¹ - الدراج الدراج، الرواية وتأويل التاريخ، ص 82.

* الفرق بين التاريخ والذاكرة: حسب ماجاء في كتاب خارج الاسوار " اوراق في الدراسات الثقافية": إن التاريخ ينتمي إلى الحقل العلمي بوصفه اختصاصا له ميدانه وأدواته الإجرائية وعلمائه ومؤسساته العلمية فإن الذاكرة تنتمي إلى مجال ما يمكن أن نسميه، مستعيرين في ذلك مصطلح ريموند ويليامز، بنية الشاعر، إن الفرق بين التاريخ والذاكرة فرق بين الموضوعي والذاتي...، للتوسع يمكن العودة إلى دراسة وحيد بن بوعزيز، "سياسات الذاكرة " بين الصفح المستحيل والمصالحة المؤجلة"، من كتاب خارج الأسوار " أوراق في الدراسات الثقافية"، تح: مبارك الجابري، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، مسقط، ط1، 2022، ص 95.

² - حيران عبد الرحيم، الذاكرة في الحكى الروائي، ص 09.

الذاتية أو سير ذاتية كرواية "لامكان لي في بيت أبي لآسيا جبار أو الذاكرة الاجتماعية كرواية "مريم" لسامية إدريس أو ذاكرة الدم ورواية القلاع المتأكلة لمحمد ساري واللّعة لرشيد ميموني أو رواية الذاكرة التاريخية كالروايات التي هي قيد الدراسة رواية "طير الليل" لعمارة لخص ورواية "كولونيل الزبربر" للحبيب السايح و"الحركي" لمحمد بن جبار، التي هيمنت كثيرا على هذا العصر نتيجة المعاناة والمآسي التي مرت بها الجزائر.

ومما سبق نلاحظ أنّنا لا نستطيع الوقوف عند تحديد واحد محدد للذاكرة، فلقد تلقى مفهومها تحديدات متعدّدة لا يسهل الإحاطة بها جميعا.

فهناك من يرى أنّ الذاكرة "تتنمي إلى الماضي" كأرسطو، بمعنى أنّها ترتبط بالذي سبق ومضى في دائرة الماضي. كما أنّ للذاكرة "جانب تأملي أو جانب استرجاعي"²؛ فعندما نستذكر ونفكر ونسترجع الأحداث ونتأملها ونغوص في دواخلها هنا يكمن الاسترجاع والتأمل والملاحظة وحتى التدقيق في كلّ الأشياء التي مرت في أذهاننا وذاكرتنا، ونبحث عن دقائقها لذا تعتبر الذاكرة "إحدى الوسائل التي تعي بها الواقع، هي نوع من وعي الواقع"³، أي عند الاستذكار أو التذكر فإنّنا نسترجع وقائع جرت في زمن مضى عن طريق الذاكرة، فهي مهمة في حياة الإنسان بها نستدل على أشياء قد حصلت من قبل كما أنّها "هي معرفة بالماضي والمستقبل معا"، فاسترجاع

¹ - ريكور بول ، التاريخ، النسيان ، الذاكرة، ص 512.

² - ورنوك ميري ، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ص 06.

³ - المرجع نفسه، ص 06.

الماضي له علاقة بالمستقبل، فكلّ الوقائع التي تحدثت في ماضينا تؤثر على حاضرننا ومستقبلنا، فالذاكرة الحقيقية هي " التي تنتمي للماضي بطريقة متصلة بالحاضر"¹.

كما تتميز الذاكرة بصفات مهمة في حياة الإنسان فهي تبعده عن النسيان وكما أنها تساعد العقل لكي لا يتلف ذكريات الماضي، التي نسترجعها عند الحاجة ، فالذاكرة لها علاقة وطيدة بالسيرورة الزمانية "الماضي، الحاضر، المستقبل"، أي تصل لحظاتها ببعضها البعض في استمرارية زمانية فهو يحفظ للذاكرة مكانها وتاريخها، كما أنّ الذاكرة أساسية ومحورية وجوهرية في حياة المرء فبدونها لا يمكن أن يكون فكرة أو نبذة عن ماضيه أو زمانه الذي مضى.

كما يوجد نوعان من الذاكرة "الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية"

فالذاكرة الفردية: تعود للفرد "وقد تم تغليفها في السيرة الذاتية أو في رواية عن سيرة الذاتية معنى عام وشامل"²، فالذاكرة الفردية نجدها في أدب التراجم والسير، وحتى في الرواية السير الذاتية. فأما بالنسبة للذاكرة الجماعية: فهي تخص مجموعة من الأفراد فلا شك أنّ الذاكرة لا تتخذ لها موضوعا للتاريخ، إلا إذا ارتبطت بمصير جماعة محدودة"³، تهتم الذاكرة الجماعية بماضي الجماعة ولحظاتهم المشتركة لا بالفرد" فهي تعلي وتلفق وتقصي ما تقوم به يد ناقلة من أخبار حول منجز الأجيال التي سبقتها، معيدة ترتيب أحداث الماضيين وجهة نظر حاجياتها الحاضرة، وهي حاجيات يختلط

¹ - ورنوك ميري ، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ص 590.

² - المرجع نفسه، ص 07.

³ - جبران عبد الرحيم، الذاكرة في الحكى الروائي، ص 29.

ضمنها الموضوعي بالذاتي والشخصي العام¹، أي أنّ الذاكرة تهتم "بماضي الأجيال" لتجعله حاضرا يستفاد منه حسب متطلبات الآونة المستحضر فيها.

كما تعتبر الذاكرة الجماعية حسب "بول ريكور"، لها علاقة وطيدة وشرعية بالتاريخ؛ حيث يصف "أنّ التاريخ بكونه وريثا شرعيا للذاكرة الجماعية"²، فالتاريخ يرث من الذاكرة الجماعية؛ وذلك لكونها تخص مجموعة أو أمة أو وطنا، لهم تاريخ يجمعهم فيما بينهم مثل الاحتلال الفرنسي للجزائر فهو بالنسبة للجزائريين ذاكرة جماعية، كما يرى أيضا أنّ الذاكرة الجماعية أعطت للتاريخ شرعية، فلولاها لما كان هناك علم لإعادة توثيق التاريخ وإخراجه في كتب تاريخية "كما أنّ التاريخ يحاول أن ينقذ الذاكرة من النسيان، وأن يعلمها حقيقة الإنسان كما بدت في ماضيه"³، فهما متكاملان بعضهما ببعض، كأنّهما عملة واحدة بوجهين، فالتاريخ هو الذاكرة المؤرشفة والمكتوبة والموثقة من طرف المؤرخ.

كما يشير أيضا "بول ريكور" أنّ الذاكرة الجماعية هي "المواد الأولية للتاريخ"، فبدون ذاكرة لا يكون هناك تاريخ، فالمؤرخ لكتابة التاريخ وتوثيقه، عليه أن يبدأ من الذاكرة أولا.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ الذاكرة هي العمود الفقري للإنسان، فبدونها لا يعرف الإنسان تاريخه ولا ماضيه، فبها يعيش الفرد ويتعرف على ماضيه الذي يوصله إلى حاضره ومستقبله، كما أنّ الذاكرة الجماعية مرتبطة بالتاريخ وهي جزء من هذا التاريخ وقد اكتفت بذاتها وبنفسها بفضل التاريخ، لأنّه هو تحديد للماضي المعيش

¹ - عيسى لطفي، بين الذاكرة والتاريخ "في التأصيل وتحولات الهوية"، ص 06.

² - عيسى لطفي، بين الذاكرة والتاريخ "في التأصيل وتحولات الهوية"، ص 210.

³ - المرجع نفسه، ص 18.

التي يكتبه المؤرخ، وكأننا نفهم من كلّ هذا أنّ الذاكرة مادة التاريخ ومحتواه، فهل يوظّف الروائيون التاريخ أم الذاكرة؟ أم هما معا؟ سنقف في فصلنا اللاحق على مسائل نراها أساسية في عملنا نبنينا من خلال طرح هذه الأسئلة: إذا كان التاريخ الحاضر في النصوص الروائية الجزائرية يمس الذاكرة الجماعية ويبني تصورا عن أحداث تاريخية مشتركة عاشها الجزائريون إبان فترات تاريخية حرجة من تاريخهم، فكيف لنا أن نصل إلى اكتشاف ما انتقوه من التاريخ ووضعه في نصوصهم؟ هل حضر التاريخ في نصوصهم الروائية قصديا، منتقى فيكونون بذلك قد سكتوا عن أحداث وأبرزوا أحداثا أخرى؟ أي الأدوات والآليات تساعدنا على الوصول إلى مضمرات توظيف التاريخ في النصّ الروائي الجزائري؟ كيف نصل إلى تناول المسائل التاريخية المضمرة في الروايات الجزائرية محل الدراسة؟

من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا أن نخصص الفصل الأول من هذه الأطروحة لتناول جملة الاستراتيجيات التي تقدمها لنا المقاربة التداولية لاستنباط التاريخ المضمر.

الفصل الأول

الاستراتيجيات التداولية واستنباط التاريخ المضمّر

المبحث الأول:

1- ماهية التّداولية عند الغرب

والعرب

2- الملفوظ والتّلفظ وعلاقتهما.

أولت مجالات تحليل الخطاب أهميّة بالغة للمضمّر، على أساس أن الرواية لا تقول كل شيء، لأنّها تحافظ على أسرارها فتضطرّ بذلك إلى إظهار جزء من الحقائق وإضمار جزء آخر، ما دفع القارئ النّاقّد بالبحث عن استراتيجيّات وآليّات للوصول إلى المعنى المتخفّي وإعادة إنتاجه وتأويله وفهم أسباب السكوت عنه.

ومن أجل أن نحيط بجهود المنظرين الذين أسهموا في وضع طرائق وآليّات واستراتيجيّات للكشف عن المضمّر حاولنا أن نضبط جهودهم في هذا الفصل النظري مستندين إلى جهود التّداوليين المعاصرين الذين اهتموا بهذه المسألة من زاوية اشتغالهم، واستفدنا من جهودهم للكشف عن التّاريخ المضمّر في الرواية الجزائريّة المعاصرة، ولكن قبل تطرّقنا إلى ذلك وجب علينا تحديد التّداولية عند العرب والغرب، ثم انتقلنا إلى الآليّات التّداوليّة كالمفوض والتلفظ والسيّاق والافتراض والقصد والتأويل، فما المقصود بالتّداوليّة؟

1. تحديدات التداولية في النقد المعاصر:

تعدّ التداولية **la pragmatique** من الحقول العلميّة المتجدّدة، التي ولدت من رحم اللسانيّات كما ذكر "آن روبول (ReboulAnne) وجاك موشر (MoeschlerJacques) في القاموس الموسوعيّ للتداولية: "إنّ التداولية دراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة النظام اللّسانيّ الذي تُعنى به تحديداً اللّسانيّات"¹، وظهرت كردّ على الدّراسات التي تُعنى بدراسة اللّغة في ذاتها باعتبارها جملاً وأصواتاً ونظاماً دون استعمال أو تغيير أو فعل أو ممارسة، فهي ردّ فعل على معالجة تشومسكي "للّغة بوصفها شيئاً تجريدياً أو قصرها على كونها قدرة ذهنيّة بحتة"² حسب رأي ليفينسون (Le vinson) يرى أنّ تشومسكي (Chomsky) غفل عن البعد الاستعمالي والوظائفي للغة.

وتعدّ التداولية مجالا معرفياً واسعاً؛ ذلك أنّها اكتسبت عدداً من التّحديدات والتّعريفات عند النّقاد والباحثين الغربيّين والعرب على حد سواء، والذين اشتركوا في وجه المقاربة التي تدرس النّصوص والخطابات وعلاقتها بمستعملها. فما هي التداولية في النّقدين الغربي والعربي؟، وفيم تختلف المقاربة التداولية عن المقاربات الأخرى كالبنويّة والتوليديّة؟.

¹ - موشر جاك و روبول آن ، القاموس الموسوعيّ للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين والأساتذة، دار

سيناترا، تونس، ط2، 2010، ص21.

² - شطري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب " مقارنة لغويّة تداولية"، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1،

2004، ص 21.

1.1. التداولية في التّنظيرات الغربيّة:

وقفنا في دراستنا هذه عند الجهود النّقدية الغربيّة في تحديد مجال التّداولية وطرائق اشتغالها وأسئلتها؛ لأنّ الطرح التّداولي كما عرفناه، وصلنا من الشّق الغربي والأنجلوسكسوني، الذي اطلّع عليه النّقاد العرب وراحوا يبحثون في التّراث النّقدي عن البعد التّداولي في التّعامل مع النّص القرآني والأدبي، وإن اختلفت الأزمنة والمصطلحات فالاشتغال يبقى في اللّغة على العموم حقلا واسعا وبحرا عميقا.

قدّم العديد من المنظرين والباحثين في الحقل اللّغوي تحديدات متنوّعة للتّداولية، ويذهب أغلبهم إلى أنّ استعمال مصطلح التّداولية يعود إلى الفيلسوف تشارلز موريس (Charles Morris* سنة 1938) الذي يُعدّ: "التّداوليّة أنّها تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات"¹، يوضّح شارل موريس من تعريفه أنّ التّداوليّة

*إنّ استعمال مصطلح التّداولية يختلف من باحث لآخر فمثلا جورج يول: يعتبر محاضرات بول غرايس William James lectures التي ألقاها في جامعة هارفارد 1967 نقطة انطلاق لدراسة التّداولية للاستزادة ينظر: يول جورج، التّداوليّة، تر: قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ص13. وهناك من يعتبر أنّ «تشارلز موريس» هو الذي أشار إلى المذهب الجديد المسمى فقط بالبرغماتية وذلك منذ وضع عام 1938 النظرية السيميائية ثلاثية الأبعاد، حيث يعتبر المرجع الأساسي لدى التداولين. العودة: لكتاب بلانشيه فليب، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص21.، وهناك من يرى أنّ تشارلز بيرس هو من أدخل التّداوليّة إلى الفلسفة عام 1878، يُنظر: كتاب جيمس لويس، البرغماتية، ص10، وهناك من يعدّ أنّ ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) المؤسس الحديث لهذا الحقل المعرفي أي التّداوليّة، يُنظر: كتاب ميخائيل باختين، جمالية الإبداع اللفظي، تر: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص58.

(Bakhtine) المؤسس الحديث لهذا الحقل المعرفي أي التّداوليّة، يُنظر: كتاب ميخائيل باختين، جمالية الإبداع

اللفظي، تر: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص58.

¹ - أرمينكو فرانسواز، المقاربة التّداوليّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، الرباط، ط1، 1986، ص07.

لا تركز على اللغة والعلامات والإشارات في حدّ ذاتها، وإنّما تركز على علاقة اللغة والعلامات بمستعملها: المخاطب والمخاطب، والنتائج المتوقعة كالتغيير والتأثير بين المتواصلين.

وحّد فيليب بلانشيه (FilipPlanchi) التداولية " على أنّها مجموعة من البحوث اللسانية المنطقية تُعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية"¹، يتفق تعريف فيليب بلانشيه مع ما جاء به موريس، أنّ التداولية تركز على ماله علاقة بالاستعمال وإنتاج الخطاب.

كما عرّف اللسانيان آن ماري ديير (Anne Marie Diller) وفرانسوا ريكانياتي (FrancoisRecanati) التداولية بأنّها: "دراسة اللغة في الخطاب، شهادة في ذلك على قدرتها الخطابية"²؛ حيث انطلقا من فكرة أنّ التداولية تهتم باللغة داخل خطاب ما لتكتسب دلالات ومعاني.

وقد وضع جورج يول (George Youl) تعريفاً آخر للتداولية مكملاً لتعريف الباحثين إذ يرى أنّها "دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم ممّا يقال"³، فالتداولية تهتم خاصة بالمتكلم لتمريره معاني ومقاصد للمتلقي، لذا فعليه دراسة المعنى عن طريق تفسير قوله وتحليلها للوصول إلى القصد وما هو مضمّر. إذ نلاحظ قفزة في تحديد التداولية من المعنى إلى القصد.

وإنّ التداولية " تختصّ بتقصي كيفية التفاعل، البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحياناً

¹ - بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص18.

² -أرمينكو فرانسواز،المقاربة التداولية ، ص 07.

³ - يول جورج، التداولية، ص19.

بين المعنى الحرفي والمعنى الذي قصده المتكلم¹، بمعنى للوصول إلى مقاصد المتكلم يحتاج ذلك معرفة سياق المتكلم بهدف تفسير القولة.

وحدد تون فان ديك (Fane Dik) التداولية: "على أنها الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية والسياقات المرجعية"²، ربط فان ديك التداولية بمبدأ المناسبة* والسياقات، أي المتلقي لما يستقبل ماقاله المتكلم لا يفسره وفق خصوصيته هو، وإنما يتوصل إلى معناه وفق الظروف المحيطة وسياقات التلّفظ بالإضافة إلى المعنى والقصد الذي يتحدد وفق الاعتبارات السياقية.

يتقاسم إميل بينيفست (Émile Benveniste) الرؤية نفسها مع فان ديك في تحديد التداولية إذ يرى الأول أنها: "دراسة العلاقات بين اللغة والسياق، كما هي مقعدة

¹ - يول جورج، التداولية، ص 13.

² - ديك فان، النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، دار افريقيا للشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 273 .

* مبدأ المناسبة: تعتبر نظرية الصلة والمناسبة قاعدة من قواعد مبدأ التعاون جاء بها غرايس وطورها سيربرويلسن وتعرف "بشكل بديهي جدا، يصبح القول أكثر ملاءمة كلما حمل المستمع، من خلال تزويده باقل قدر من المعلومات، إلى تنمية أكبر عدد ممكن من معارفه أو تصوراته أو تعديلها، وبعبارة أخرى تتناسب ملاءمة القول مباشرة مع عدد التبعات التداولية التواصلية التي يمد المستمع بها، ولكنها تتناسب عكسيا مع غنى المعلومات التي ينطوي عليها... وبشكل أكثر تجريديا، قد نعتبر بالأحرى الجميلة الأولى ج مع المجموعة م من احتساب عدد أكبر من التبعات الجديدة"، نقلا عن اوركيوني كيربرات، المضمّر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص352. للاستفادة يمكن العودة الى كتاب أوركيوني، المضمّر، 352. ، وكتاب:

سيربر دان وولسون ديدري ، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، ص 187.

أو كما تعكسها بنية اللغة¹، هناك علاقات منسوجة بين اللغة والسياق مضمنة في بنية لغة الاستعمال، التي تعكس حضور عدة عناصر مشروطة باستعمال اللغة في سياق وهي من منظور بينفسييت ذا التوجه اللساني المتلفظ والملفوظ والسياق والقصد والمعنى...

وتعرف إلفي بولان (ilfi bulan) التداولية " أنها تدرس العلاقة بين العلامات ومستعملها، وأنها تحلل ما يحدث على المستويين النفسي والاجتماعي أثناء استعمال العلامات، ساعية إلى وصف المنافع التي يسعى إليها المتكلم أو المتلفظ، ووصف الآثار التي يمكن أن ينتجها المتكلم نفسه في المرسل إليه أو المخاطب²، تأثرت إلفي بولان بما جاء به موريس في تحديد التداولية، ويتفق على أن التداولية تهتم بالخطاب وبأطراف الخطاب والمعاني والمقاصد التي يوجهها المتكلم إلى المتلقي.

نستنتج من خلال التعريفات التي سبق ذكرها أنها تصب في مفهوم واحد، أن التداولية تهتم باللغة في استعمالها باعتبارها فعلاً وإنجازاً تعمل على التأثير والتغيير، كما أن وظيفتها الكشف عن المعاني والمقاصد المضمر، التي يمررها المتكلم عبر الخطاب إلى المتلقي (السامع/ القارئ) الذي بدوره يؤول ويستعمل جملة من الاستدلالات* للوصول إلى ما يخفيه النص مما هو ظاهر وحرفي.

¹ - آل صونيت مؤيد، التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ط1، 2012، ص 36.

² - بولان إلفي، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو ويلي احمياني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018، ص37.

* الاستدلال: هو عملية تأويلية تتمثل في الربط بين مايقال صراحة وبين ما لا يقال، أي نستدل ما هو باطني مما هو ظاهر عن طريق العملية التأويلية.

، كما سنتطرق إليه لاحقاً بتوسع باعتباره آلية من الآليات التداولية التي تساعدنا على الكشف عن ما هو مضمر.

كما أنّ التداولية تملأ الفجوات والثغرات التي تركتها المقاربات الأخرى، وتحاول دائماً الإجابة عن أسئلة:¹

- من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نتكلم شيء ونريد قول شيء آخر؟

تجيب التداولية عن هذه الأسئلة لاستحضار مقاصد المتكلم أو المؤلف، وسّياق تبادلاتنا الرمزية، وتأخذ بعين الاعتبار دور المتكلمين وتأويلاتهم للوصول إلى المعاني المسكوت عنها والمضمرة.

2.1. التداولية في الدراسات النقدية العربية:

توقف النقاد العرب عند مجال التداولية كحقل اشتغال جديد يقدم أدوات إجرائية كثيرة جداً، تسهم في دراسة الأعمال الأدبية وغير الأدبية على اختلافها وأثناء قراءتنا صادفتنا العديد من المراجع النقدية العربية أثرتنا الوقوف عند بعضه محاولين فهم كيف تم تحديد هذا المجال في النقد العربي.

يعدّ مصطلح التداولية* أكثر استعمالاً عند النقاد العرب المعاصرين من المصطلحات الأخرى التي ترجمت إليها الكلمة الأجنبية **Pragmatique**، ويعتبر طه عبد الرحمن أول عربي أشار إلى مصطلح التداولية إذ يقول: "وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي براغماتيا، لأنه يوفي المطلوب حقه،

¹ -أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص04.

* ترجمة مصطلح pragmatique إلى عدة مصطلحات منها: اللسانيات التداولية والتداولية، علم المقاصد، علم الذرائع والفوائد والنفعية والعملية...، واستخدم الأصل معرباً البرجماتية والبرجماتية، يُنظر: عكاشة محمود، النظرية البرجماتية اللسانية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب لنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 13-14، ويُنظر: يول جورج، التداولية، ص15.

باعتبار دلالاته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً¹، يرى طه عبد الرحمن أنّ هذا المصطلح أكثر ملاءمة لمقابله البرغماتية، لأنه يعدّ اللغة استعمال وتفاعل بين مستعمليه الذي لقي قبولا كبيرا من لدن الدّراسين.

ويعرف طه عبد الرحمن التّداوليّة أنّها "كلّ المقتضيات العقديّة والمعرفيّة واللّغويّة* - القريب منها والبعيد - المشتركة بين المتكلّم والمخاطب والمُقوّمة لاستعمال المتكلّم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه"²، وإذا توقّفنا عند هذا التحديد نلاحظ تركيز طه عبد الرحمن على ثلاثة مقتضيات مهمّة أولها العقديّة أي الاعتقادات وثانيها المعرفيّة أي المعلومات والمعارف وثالثها اللّغويّة، كما يرى أنّ التّداوليّة تهتمّ بأطراف الخطاب (المتكلّم والمخاطب) وسّياق كلامهما والمحيط العرفاني الذي يشترك فيه المتخاطبون من أقوال ومعارف ومعتقدات تحيلنا إلى الاستعمال المناسب.

تأثّر مسعود صحراوي بتحديد طه عبد الرحمن للتّداوليّة، الذي يُعدها: "علما جديدا للتواصل يدرس الظواهر اللّغويّة في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفيّة متعدّدة في دراسة ظاهرة التّواصل اللّغوي وتفسيره"³، أي تهتمّ التّداولية باللغة في استعمالها.

¹ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص28.

* هذه المقتضيات العقديّة والمعرفيّة واللّغويّة وهي المعتقدات والمعارف والمعلومات واللّغة والبيئة والمحيط العرفاني التي تكون مشتركة بين المتكلّم والمتلقي.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص28.

³ - صحراوي مسعود، التّداوليّة عند العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"،

دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

ويذهب عبد الهادي الشهري إلى أنّ التداوليّة في مفهومها العام هي: "دراسة الاتصال اللّغويّ في السّياق"¹، أي تسمح التداوليّة بتتبع أثر السّياق في الخطاب ومرجع شفراته اللّغويّة ومعناه، فالسّياق يبني المعنى ومعنى المعنى لهذا تهتمّ به الدّراسات التداوليّة.

ووسّع محمود عكاشة في تعريفه للتداوليّة، إذ لاحظ أنّها تهتمّ بمنشئ الكلام (الخطيب، المتكلّم) والسّياق اللّغوي والسّياق الخارجيّ، كما أنّها "تتجاوز البنية الخطابيّة السّطحيّة إلى تقنية التّواصل والسّياق والقصد، وتدرس كينيّة إنتاج المتكلّم فعلاً تواصلياً أوفعلاً كلامياً في إطار موفق كلامي ملموس ومحدد وفهمه أو تفسيره، وهنا يتجلى أثر نظريّة الاتصال* في دراسة طرفي التّواصل وقناته وسّياقه"²

ويذهب بعض الباحثين المشتغلين على الدّراسات التداوليّة أنّ المقاربة التداوليّة تختلف عن المقاربات الأخرى كالبنويّة التي تدرس النّص كوحدة مغلقة، فالتداوليّة أخرجت الخطاب من قوقعته وأصبحت تهتمّ بأبعاد مختلفة تشكّل الظاهرة النّصيّة أو الخطابيّة، فهي تهتمّ بالمتكلّم /المؤلّف والمتلقّي ومعنى النّص والظّروف المحيطة بالنّص، وتهتمّ بمعاني الخطابات المضمرة التي يتوصل إليها المشاركون بواسطة هذه الأبعاد والآليات التي ذكرناها آنفا (القصد، والسّياق، والتأويل...). ويبدو جلياً وواضحاً تأثر الباحثون العرب لما وصلت إليه البحوث والتنظّيرات التداوليّة الغربيّة.

¹ - الشطري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب "مقاربة تداولية لغوية"، ص 22.

*يقصد بنظرية الاتصال: التّواصل بين أقطاب التخاطب أي المخاطب والمخاطب بهدف الوصول إلى الفعل أو العمل بينهما إثر التغيير.

² - عكاشة محمود ، النّظرية البرجماتية اللّسانية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع،

القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 21.

ويترجم "محمد الخبو" تعريف "شارل موريس" للتّداوليّة؛ حيث أطلق عليها اسم **الخطاب العامل**: "هو تناول العلاقة بين العلامة اللّغوية ومستعملها. أو لنقل دراسة العلاقة بين المعنى اللّغوي للعبارة والقوة التّواصلية التي تكتسبها هذه العبارة وهي مجرّة بين المتخاطبين في مقام معيّن"¹، يعني أنّ الخطاب العامل* له علاقة بالمخاطب والمخاطب وما يقولانه من كلام ولّغة لها قصد ومعنى وتأثير في مقام معيّن بينهما.

كما حاول بعض المشتغلين في **الحقل التّداولي العربي** تقديم بدائل ترجميّة، منهم الباحث "هشام خليفة" الذي ترجمة كتاب في المجال التّداولي العرفاني، وشارك بأعماله الرّائدة في توسيع الاهتمام العربيّ لتأسيس الطّرح التّداولي وقّدّم فيه اجتهاده في ترجمة بعض المصطلحات والحقول المعرفيّة، إذ قدم ترجمة التّداوليّة "بالفعليّاتي" ويعرفها: "بأنّها تدرس المعاني والمقاصد في السّياق الفعليّ، أي الحقيقي، واصطلاح على هذا المصطلح "الفعليّات" لأنها تبحث في المعنى الفعليّ للكلام حين يستعمل في سياق معيّن وبقصد معيّن"² وهذا ما نقصده حين نتحدث عن المعنى الفعليّ أو القصد الفعليّ للكلام أوبالإشارات، إذن، للوصول إلى القصد والمعنى يجب اللّجوء إلى سياق الكلام.

¹ - الخبو محمد بن محمد ،الخطاب القصصي في الرواية العربيّة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1،

2014، ص571.

* الخطاب العامل: هو الذي يحمل قوة فعليّة عاملة على التّأثير والتّغيير...

² - هوانغ يان، معجم أوكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،

لبنان، ط1، 2019، ص 32.

اختلفت ترجمة "التداولية" بين الباحث محمد الخبو، الذي ترجمها "بالخطاب العامل" وبين الباحث هشام خليفة "بالفعليات"، لكنهما يشتركان في المفهوم: أنها تدرس اللغة في حيز استعمالها وأفعالها وأعمالها وما يحيط بهم من دلالة.

وخلاصة القول إنّ الدرس التداولي يدرس اللغة في حيز الاستعمال، متجاوزا الطرح القائم على فهم الخطابات في حرفيّتها ودلالاتها الصريحة المباشرة التي لا يقصد فيها المتكلم المعنى الحرفي من الكلام بل يقصد المعنى المضمّر وهذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياقها الاستعمالي وعبر الآليات والأبعاد التداولية التي تساعدنا على كشف المعاني المضمّرة.

ماهي الآليات والأبعاد التداولية التي توصلنا إلى كشف ما لم يقله الخطاب أي المضمّر؟

للإجابة عن هذا السؤال، علينا الوقوف عند بعض المفاهيم التي لا مناص من فهمها بما أنّها جوهر المقاربات التداولية، مثل الملفوظ والتلفّظ اللذان لهما دور فعّال في التبادل اللفظي، إذن ما هو الملفوظ والتلفّظ والعلاقة بينهما ضمن الاشتغال التداولي؟.

2. المقصدية واكتمال دلالة الملفوظ:

يعتبر الملفوظ والتلفّظ من أهم المفاهيم في الدراسات التداولية، التليقت اهتماما كبيرا من عدة باحثين، منهم ميخائيل باختين، وإيميل بينيفست...، فماذا يقصد بالملفوظ والتلفّظ؟ وكيف يستنبط القصد من الملفوظ؟.

1.2. حدّ الملفوظ في التّحديدات التداولية:

يعدُّ ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) من أهم الباحثين الذين خصّصوا للملفوظ*فصولاً ومباحثاً في مؤلفاتهم، إذ يرى أنّ الملفوظ "وحدة التّبادل اللفظي، من متكلّم ومستمع (من يتلقاالكلام) ، في شكل خطاطة لسيرورات الكلام الفاعلة لدى المتكلّم ولسيرورات منفعة لتلقي وفهم الكلام لدى المستمع.¹، بمعنى أنّ كلّ ملفوظ يحتاج إلى مشاركين في الخطاب ويكون بينهما تفاعل قولي أي تضامن وتعاون لتسهيل الفهم والاستجابة بينهما قد يتفقان أو يتعارضان.

بالإضافة إلى ذلك فهو يرى أنّ الملفوظ "ليس وحدة متواضع عليها، وإنما هو وحدة حقيقيّة محدّدة بصرامة عبر تعاقب الدّوات المتكلّمة، وينتهي بنقل الكلام إلى الآخر، وإنّ هذا التّعاقب هو الذي يرسم تخوما صارما بين الملفوظات في مختلف مدارات النشاط والوجود الإنساني"²، ربط باختين ميخائيل الملفوظ بالتّبادل اللفظي للدّوات المتكلّمة، أي هذا التّبادل يصنع ملفوظا يتجاوز الجمل والمنتاليات إلى ذوات متكلّمة يبينان هذا الملفوظ.

كما أنّ "تعاقب الدّوات المتكلّمة التي تهَيّئ إطار الملفوظ بتحويله إلى كتلة متماسكة ومجمعة بدقة في ارتباط مع باقي الملفوظات التي يرتبط بها هذا الإطار، إنّ هذا التّعاقب يُشكّل خاصية الملفوظ الأولى فيتصوره كوحدة للتّبادل اللفظي، ويميّز

*إن الملفوظ عند ميخائيل باختين هو الخطاب والنص والقول. نقلا عن: أم السعد حياة مختار، تداولية

الخطاب الروائي "من انسجام الملفوظ إلى انسجام التّلفظ"، داركنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص 188.

¹ - باختين ميخائيل ، جمالية الإبداع اللفظي، تر: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق،

ط1، 2011، ص 289.

² - باختين ميخائيل، جمالية الإبداع اللفظي، ص 302.

هذه الأخيرة عن وحدة اللسان¹، تساهم الذوات المتكلمة في تماسك الملفوظات أو الخطابات، ويؤكد القول بأنّ تعاقب الذوات المتكلمة ميزة أساسية في تحديد الملفوظ باعتباره "وحدة للتبادل اللفظي".²

تعتبر حياة أم السعد: أنّ أهم خاصية من خواص الملفوظ "هو اعتماده على التناوب بين الذوات المتكلمة التي تكون الملفوظ، كما أنّ الملفوظ مكتمل، وعندما نقول: نهائية أو اكتماله فإنّ مرد ذلك تناوب الذوات المتكلمة داخل هذا الملفوظ، وهذا التناوب يتم لأنّ المتكلم قال أو كتب كلّما أراد أن يقول في فترة محدّدة وفي شروط محدّدة، فعندما نسمع أو نقرأ مقالته وما كتبه نحس باكتمال الملفوظ"³،

تبنت الباحثة آراء باختين ميخائيل، في كون الملفوظ لا يكتمل إلّا بوجود ذوات متكلمة، أي المتكلم سواء شفاهية أو كتابة والسماع/ القارئ الذي يسمع ويقرأ ما كتبه هذا المتكلم في سياق ما وبهذا يمكن اكتمال الملفوظ، وخاصّة إذا قام بفعل أو عمل أو وظيفة بينهما.

وما يميّز التبادل اللفظي أن يكون هناك غاية أو عمل أو تغيير تهدف إليه الذوات المتكلمة، هذا العمل يكمن في: "استهداف إجابة الآخر وفهما استجابيا فاعلا، وهو يقوم بذلك في كلّ الأشكال، إنه سوف يبحث عن ممارسة تأثير تعليمي على القارئ وعن الفوز بإقناعه وعن إثارة تقييمه النقدي وعن التأثير في بعض التابعين والمنافسين... إلخ، إذ يقوم العمل مسبقا بتحديد المواقف الاستجابية لدى الآخر داخل الظروف المعقّدة للتبادل اللفظي ضمن مدار ثقافي معيّن، والعمل هو حلقة في سلسلة

¹ - باختين ميخائيل، جمالية الإبداع اللفظي ، ص 307.

² - أم السعد مختار حياة، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ص 180.

³ - المرجع نفسه، ص 181.

التّبادل اللفظي"¹، حسب قول باختين يجب أن يكون هناك عمل بين الدّوات المتكلّمة، خاصّة من المتكلّم الذي يوصل الخطاب إلى القارئ، إذ يجب عليه البحث في طرائق للتأثير في المتلقّي/القارئ وإقناعه بالتغيير، وعلى المتكلّم أن يقيم مدى استجابة هذا المتلقّي لما أراده منه، مثلاً لو أراد متكلّم إقناع الآخر بدخوله للإسلام، فإنه يعطيه حججاً وبراهين عقلية وعلمية، فمثلاً الجنين يخلق نطفة ثم علقه ثم مضغة... إلخ، وهذا ما أثبتته العلم الحديث، إلا أنّ القرآن أثبتته قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، وعند التأثير فيه يؤدي به إلى التغيير ويدخل للإسلام، وهذا العمل يكون ضمن التّبادل اللفظي أي في سلسلة الملفوظ.

ويعرف كلّ من آن روبول وباك موشلر **الملفوظ** إذ: "يربّاه أنّه جملاً مستعملة، وأنّ الملفوظ قد يأتي بشكل ضمنيّ، وقد يكون بشكل صريح"²، فالملفوظ لا يتوقف عند ما قيل أو الجمل فقط، وإنّما الجملة في استعمالها تتضمن معنى وسّاقاً ودواتاً متكلّمة، وقد يأتي **الملفوظ** صريحاً، أما ما يخصّ الملفوظ الضمنيّ فهو يؤوّل ويحتاج إلى استدلال فمثلاً: لما نقول أخذت أروى الرتبة الأولى في قسمها، فهذه الجملة تقبل التّأويل بوصفها رفضاً أو قبولاً تبعاً للفرد الذي استعمالها ووفقاً لرغباته، أي ما يقصده ضمناً

¹ - باختين ميخائيل، جمالية الإبداع اللفظي، ص 307.

Bakhtine Mekhaile, Esthétique de la création verbale , p.282.

² - ينظر: موشلر جاك وروبول آن، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بونكلاري، دار كنوز

المعرفة، عمان، ط1، 2020، ص 67.

ووضح باختين ميخائيل في كتابه المذكور، الخصائص التي لا يكتمل الملفوظ إلا عن طريقها والتي توفر إمكانية الإجابة والفهم بطريقة استجابية وهي ثلاثة عوامل متصلة داخل الكل العضوي للملفوظ:¹

1-شمولية موضوع المعنى

2-المقصدية، أي إرادة القول لدى المتكلم

3-الأشكال النوعية لبنينة جنس الاكتمال (اكتمال الملفوظ).

نلاحظ عند باختين أنّ هذه العوامل متكاملة فيما بينها لا يمكننا فصل بعد عن آخر، فمثلا شمولية موضوع المعنى أي وحدة الموضوع تدخل بداية في حدود مقصدية يحددها المؤلف، وهكذا نكون إزاء العامل الثاني ألا وهو القصدية التي تحدّد باختار شكل الجنس الذي ستم فيه بنينة الملفوظ.

ويرى باختين " أنّ داخل كلّ ملفوظ مضبوط ونفهم ونحس بالمقصدية الخطابية أو إرادة القول لدى المتكلم، هذه القصدية التي تُحدّد كلّ ملفوظ وتحدّد صفته وحدوده، إنّنا ندرك ما يريد المتكلم قوله، وفق هذه المقصدية الخطابية، وإرادة القول، وفق كلّ هذا سوف نقيس اكتمال الملفوظ، إنّ هذه المقصدية تحدّد اختيار الموضوع بحدوده، كما نجد شمولية موضوع المعنى الخاص بها، وستقوم هذه القصدية أيضا بتحديد اختيار شكل الجنس الذي سيتم فيه فينتج الملفوظ.²، يتضح من خلال القول بأنّ أهم عامل من هذه العوامل هي المقصدية أو إرادة القول لدى المتكلم، التي تحدّد لنا اختيار الموضوع بحدوده داخل الظروف الدقيقة للتبادل اللفظي وفق الملفوظات السابقة له، وهي التي تحدد شمولية موضوع المعنى الخاص بها وتحدد أيضا اختيار شكل الجنس

¹ - باختين ميخائيل، جمالية الابداع اللفظي، ص 308.

² - المرجع نفسه، ص 309.

الذي يتم فيه الملفوظ أو الخطاب، فالقصدية هي العنصر المهم والذاتي للملفوظ فبدونها لا يكتمل هذا الملفوظ.

في الأخير يُمكننا القول إنّ الملفوظ حسب ميخائيل باختين ملموس يعدُّ حلقة في التّبادل اللفظي في إطار مدار معيّن، وتتحدّد تخوم هذا الملفوظ بتعاقب الفاعلين المتكلمين.

وإنّ الملفوظات لا تتجاهل بعضها البعض ولا تكتفي بذاتها إنها تعرف بعضها البعض وينعكس بعضها في البعض الآخر، وبالتدقيق فهذه الانعكاسات المتبادلة هي ما يحدّد طابعها، فالملفوظ مليء بأصداء وتذكيرات الملفوظات الأخرى التي يرتبط بها داخل مدار مشتبك للتّبادل اللفظي، وينبغي اعتبار الملفوظ قبل كلّ شيء كجواب عن ملفوظات سابقة داخل مدار معيّن، إنّه يرفضها ويزكيها ويكملها ويستند إليها، ويفترض أنّها معروفة ويعتبر نفسه منتما لها¹.

كما هو مسلم بهأيضا في الدّرس التداولي النّقدي الحديث، منهم محمد الخبو الذي يعرفه بأنّه: "إنجاز لغويّ يجري في ظروف خاصّة مباينا بذلك مفهوم الجملة الموسومة بمسحة تجريدية والمصطنعة عادة لتمثيل الجهاز اللّغوي في مظهره المكتمل المتواضع عليه"²، أي الملفوظ حسب الدّراسات الحديثة أصبح استعمالا وإنجازا وفعلا لغويا، فكلّ ملفوظ يؤدي إلى فعل يؤثّر في المتلقّي ويغيّر قناعاته أو وجهات نظره.

¹ - باختين ميخائيل، جماليّة الإبداع اللفظي، ص 326.

² - العجيمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتّنين لادوارد الخراط"، مكتبة علاء

الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2009، ص 64.

واشتغل التّداوليّون العرب المعاصرون أيضا على مفهوم الملفوظ؛ حيث يعرفه الباحث محمد ناصر العجمي أنّه: " حصيلة التّفاعل بين الأفراد محملا بأصداء الاستعمالات الماضيّة التي تضل لا محالة مستكنة فيه ملازمة له حتى إذا استعمل في سياق جديد لابسته قيم هذا السياق الدلاليّة وضاعفته"¹، فالملفوظ نتاج تفاعل بين الأشخاص، محملا بوظائف واستعمالات قبلية بمكتسبات قبلية تتضمن مكتسبات جديدة.

ويفترض ممّا سبق في الملفوظ "متكلّم ومتلقّ وظروف محيطيّة أي السياق ومعنى ومقصديّة وغاية"، إذن بدون هذه الشروط لن يكتمل الملفوظ، كما ترى الباحثة حياة أم السعد: " أن الملفوظ لا يفهم إلا في ظل شروط تكونه، والجنس الخطابى الذي ينتمي إليه، والذي يساهم بطريقة أو بأخرى في تحديده"²، فلفهم الملفوظ على القارئ التعرف على جنس الخطاب للوصول إلى تحديده.

وسنتناول التّلفّظ، باعتبار الملفوظ وعاء التّلفّظ، فهما وجهان لعملة واحدة، فما هو التّلفّظ؟.

2-2 مفهوم التّلفّظ:

¹ - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتّنين لادوارد الخراط"، ص 82.

² - أم السعد مختار حياة، تداوليّة الخطاب الرّوائى " من الملفوظ إلى التّلفّظ"، ص 180.

يعدُّ "إيميل بينيفست" من أبرز أعلام لسانيات التلّفظ*، إذ يعرف التلّفظ بأنّه "تسخير اللّغة بواسطة الفعل الفردي للاستعمال"¹، بمعنى أنّ التلّفظ هو الفعل أو الاستعمال أو الإنجاز الذي نتوصل إليه عن طريق اللّغة. وكأنّه القيام بفعل عبر اللّغة.

يُقدّم "مخائيل باختين" التلّفظ أنّه "نتاج إنشاء ومزج وليست المادة اللّغوية سوى واحدة من مقوماته، وأنّ عملية التلّفظ بأكملها تعمل على إنتاجها اللفظي عبر حقيقة كونها تتلّفظ"²، أي التلّفظ مزج بين اللّغة والسّياق لينتج تغييراً أوفعلاً، بمعنى إنتاج الملفوظ له دور حاسم في عملية التلّفظ وفي تحديد المعنى.

ويعرفه أيضاً بأنّه "العمل اللفظي، غير المكرر، ومتفرد تاريخياً وفردياً، وكينونات اللّغة التي يدرسها اللّغويون هي بالتعريف قابلة لإعادة الإنتاج بعدد غير محدود من التلّفظات، أما كينونات التواصل اللفظي فإنها غير قابلة لإعادة الإنتاج وهي مقيدة ببعضها البعض بعلاقات حوارية".³ فالتلّفظ أو العمل اللفظي يختلف من ظرف لآخر بحسب السّياق، أي لا يمكننا إعادة إنتاج المعنى نفسه حتى لو كانت العبارة نفسها في

* تكونت لسانيات التلّفظ بهدف وصف العلاقات التي تنشأ بين الملفوظ ومختلف عناصر الإطار التلّفظي بمعرفة

كل من المشاركين والسّياق. حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للنشر والتوزيع،

تيزي وزو، الجزائر، ط1، 2012، ص 99.

¹ - مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف،

الجزائر، ط1، 2008، ص 52.

² - ترفينان تودوروف، مخائيل باختين: المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 60.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

عدة تلفّظات، فمثلا لما نقول "رأسي يؤلمني"، هذه العبارة في كلّ مرة تأخذ معنى مختلف عن الآخر، بحسب السياق أو الظروف المحيطة بالمتحاورين، فمثلا نقصد بها "أصمت"، أو "أنت تثرثر"...

كما "تشكّل المادة اللّغوية جزءا فقط من التلفّظ، فهناك يوجد جزء آخر غير لفظي يتطابق مع سياق النطق"¹، فاللّغة وحدها لا تكفي للتلفّظ فهي تمثل جزء منه فقط وهناك جزء آخر يكمل هذا التلفّظ وهو الجزء المضمّن الذي يتوصّل إليه القارئ من خلال السياق والتأويل.

ولذا فإنّ التلفّظ العاديّ المبتدل، يتألّف من جزأين:²

1- جزء لفظيّ مدرك أو متحقّق

2- جزء متضمّن مسكوت عنه.

فكلّ تلفّظ يتكون من جزأين جزء ظاهر أي ما هو بيّن يتوقف عند سياق النطق، وجزء مضمّر أو ضمنيّ أو مسكوت عنه يتوصّل إليه القارئ عند معرفة السياق الذي حصل فيه، ومن هنا يتوصّل باختين إلى المظاهر التي يتألّف منه سياق التلفّظ الخارجي أي الضمني وهي:³

1- الأفق المكانيّ المألوف لكلا المتحاورين

2- معرفة الوضع وفهمه، والمألوف أيضا لكلا المتحاورين

3- وتقييمها المألوف للوضع.

¹ - تزفينا تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - المرجع نفسه، ص 90.

يتعلّق التلقّظ الخارجيّ أو الضمنيّ بالظروف المحيطة بالمتكلّمين، أي المكان المرئي الغرفة والنافذة والشارع... وبالموضوع ومدى استجابة المتحاورين له، وبالقيمة المألوفة للوضع الاجتماعي لكلا المتحاورين بمعنى الأفق الاجتماعيّ الذين ينسبون إليه.

وينشأ التلقّظ بين "شخصين منتميين عضويًا إلى المجتمع، وإذا لم يكن هناك محاور فعلي فسوف نفترض مقدما هذا المحاور في شخص، لنقل، إنه ممثل طبيعي للفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها المتكلّم. إنّ الخطاب موجه للشخص المخاطب المعني، موجه إلى ما يكونه ذلك الشخص"¹، يكون التلقّظ بين المخاطب والمخاطب من نفس البيئة والفئة الاجتماعية ليحاورا ويفهما بعضهما البعض ليكون هناك تغيير وتأثير بينهما.

وللدلالة على المظاهر المتضمّنة في الجزء اللفظي الخارجي من التلقّظ يقول باختين يجب التّطرق إلى "فضاء النّطق والأزمنة أين ومتى، وموضوع التلقّظ أو الموضوعيّة أي عم يتكلّم، وعلاقة المتحاورين بما يحدث أي التقييم"²، أي للوصول إلى المتضمّن في خطاب ما على المتحاورين طرح عدة أسئلة على أنفسهم للوصول إلى الجزء الخارج-لفظي.

وما ذهب إليه محمد ناصر العجمي في كتابه المشهد الآخر في كتابة الذات أنّ التلقّظ هو "نتاج التّبادل بين شخصين منتظمين في نسيج اجتماعي، وحتى إنّ لم يوجد متلقّ حقيقي، لأنّ التلقّظ يعتبر تفاعل بين المتخاطبين"³ يؤكّد محمد ناصر

¹ - تزفيان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، ص 92.

² - المرجع نفسه، ص 91.

³ - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتنين لادوارد الخراط"، ص 61.

العجيمي من خلال قوله أنّ التلفّظ هو نتاج التّفاعل بين المتكلّم والمتلقّي الذين يعتبران أهم عنصر في التلفّظ.

وفي الأخير نستنتج أنّ التلفّظ وهو نتاج التّفاعل بين المتخاطبين المخاطب/المخاطب، اللّذين يقولان شيئاً وقد يريدان به شيئاً آخر لا علاقة له بالمعنى الحرفي للقول، أي أنّ المتكلّم يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر والمتلقّي من خلال افتراضاته واستدلالاته يتوصّل إلى ما يقصده المتكلّم من معنى، هذا يدخل ضمن التلفّظ خارج اللفظي الذي جاء به باختين، والتلفّظ هو التّأثر والتأثير بين المتخاطبين وقد يؤدي للتغيير الذي قد ينتجه القول التواصلي بين المتخاطبين.

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أنّ هناك علاقة متينة بين الملفوظ والتلفّظ، فالتلفّظ نتاج الملفوظ، فماهي العلاقة بين الملفوظ كتبادل لفظي والتلفّظ كعمل لفظي؟.

3.2. علاقة الملفوظ بالتلفّظ:

بعد التّحديدات والتّعريفات التي تطرّقنا إليها في الملفوظ والتلفّظ لاحظنا أنّ الفصل بينهما وهم تفرّد الدراسات النّقدية فقط فالعلاقة بينهما وطيدة لا نستطيع فصل الملفوظ عن التلفّظ ولا التلفّظ عن الملفوظ فهما وجهان لعملة واحدة وذلك كما يراها العديد من الباحثين، كدومينييك مانغينو (Dominiqu Maingueneau) وباتريك شارودو (Patrick Charaudeau) اللّذان يقران بهذه العلاقة: "يطلق الملفوظ للدلالة على نتاج فعل التلفّظ"¹، أي من خلال الملفوظ نتوصل إلى فعل وعمل التلفّظ، أو ينتج فعلاً للتلفّظ، كما "تتشرك نظرية التلفّظ في علاقة الملفوظ بالسياق"²، إذ يعتبر السياق

¹ - مانغينو دومينييك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 51.

² - الحاج حمو ذهبية، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، ص 11.

مجموعة من الظروف المحيطة بالمتحاورين التي توصلنا إلى الوظيفة التي يريدها المتخاطبون من خطاباتهم /ملفوظاتهم.

وما أفاد به ديكر (ducro) في العلاقة بين الملفوظ والتلفظ بقوله: "لما نؤول ملفوظا معناه أننا نقرأ وصفا لعملية التلفظ به... يدرك الملفوظ باعتباره شاهدا على أن المتلفظ به هذه السمة، وتلك"¹، بمعنى الملفوظ هو الذي ينهض بعملية التلفظ عند تأويله ويقدم له وظيفة ورغبة في القول.

ويقول ديكر كل ملفوظ "يرتبط بصلة وثيقة بالمتلفظ به، فما إن ننطق بكلمة حتى تقدم بصورة لعملية التلفظ به"²، إذ لا يمكننا الفصل بين المصطلحين باعتبار أننا ننطق بكلمة أو جملة فإننا نقوم بوظيفة الاتصال لعملية التلفظ به، فالملفوظ هو طرف من عملية التلفظ.

وترى ذهبية الحاج حمو أن الملفوظ يرتبط ارتباطا وثيقا بالتلفظ ولا يفصل بينهما غير الذهن، وأشارت في كتابها "لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب" أن لسانيات التلفظ نشأت بهدف وصف العلاقات بين الملفوظ ومختلف عناصر الإطار التلفظي بمعرفة كل من:³

- المشاركين في الخطاب (المتكلم والمخاطب).
- سياق العملية التخاطبية (الظروف المحيطة بالعملية التخاطبية).

¹-Analyse pragmatiques, communication, p32.

نقلا عن العجيمي محمد ناصر ، ص. 229-230.

²- Ducrot, les mots du discours, Ed, de Minit, 1980, p.80

نقلا عن: المرجع نفسه، ص 229.

³- الحاج حمو ذهبية ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 99.

- الظروف العامة لإنتاج الملفوظ وتلقيه: طبيعة القناة والمحتوى السوسيو-ثقافي والتاريخي*.

- والسوسiolساني: لأنّ الأفراد يعيشون في بيئات لغويّة ومجتمعات لها جملة من الخصائص فالواقع السوسiolساني الجزائري يختلف عن واقع سوسiolساني آخر.

إنّ الربط بين الملفوظ والتلفظ يكون من خلال هذه العناصر التي تكون متعلقة ببعضها البعض. فالملفوظ وعاء التلفظ، لا يمكننا الفصل بينهما فهما مكملان لبعضيهما فالملفوظ نتاج التلفظ، أو فعل إنتاج الملفوظ/الخطاب فالفعل التلفظي مجرد حدث إصدار لهذا الملفوظ وصياغاته بطريقة مستحبة وفق قواعد اللغة، والتلفظ قوة إنجازيّة لهذا الملفوظ، أي كلّ قول يؤدي إلى فعل إنجاز واستعمال وكلّ من الملفوظ والتلفظ لا يكتملان بدون أطراف الخطاب أي المخاطب/المخاطبة.

بعدما قمنا بتعريف التداوليّة وبعض المفاهيم التي تعدّ واجهة مهمة في الحقل التداولي سننتقل إلى أهم الأبعاد والآليات التي تدور في فلكها وتتردد أصداؤها كثيرًا في هذا الحقل التي تسعى للكشف عن الشّفرات والرموز المسكوت عنها ومعانيها ومقاصدها الموجودة سواء في التّواصلات اللّغوية اليومية أو في المتون الأدبيّة أهمها: السياق (context) والمضمنات (sous-netndus)، والافتراضات (Supposition)، والتأويل (Interpretation)، والقصد (L Intention) سنحاول تتبع تحدّياتها ورصد أهم مفاهيمها.

*يقصد بالسوسيو-ثقافي والتاريخي هي تلك الظواهر والفواعل الاجتماعيّة والثقافيّة والتاريخيّة، وذلك حسب

سياق الكلام الذي قيلت فيه.

المبحث الثاني:

1- النص سياقاته واستعمالاته.

2- أنواع السياق.

نبدأ بالسياق الذي يعدّ من أهمّ يات في التحليل التداوليّ، لأنّ السياق يسيج العملية التواصلية ويؤطر معناها ومقاصدها وهو أهمّ آلية لها علاقة بكلاليات

التّي سندرسها في كل نص أدبي، وبالتالي السؤال الذي يُطرح هو ما علاقة السياق بالنّص؟

1-النّص سياقاته واستعمالاته:

حظي السياق* باهتمام متزايد في الدّراسات التداولية لارتباطه الوثيق بالنّص، فقد خصص بعض الباحثين والمنظرين المشتغلين في الحقل التداولي بحوثا ونظريات لتسييج مقولة السياق وأبعادها مثل "فان دايك" و"جورج يول" و"سبربر وويلسن" الذين توصلوا إلى أن السياق له أثر في فهم النص وحلّ شفراته وتماسكه، فالسياق يربط بين أجزاء النّص.

*الالتباس بين مصطلحي السياق والمقام: فلقد شاع "المقام" عند العرب قديما عند العرب قديما عندما استعملوه في الدراسات البلاغية، في حين استعمل كثير من المحدثين خصوصا الغربيين مصطلح السياق، إلا أن هناك فروقا بينهما، فالدكتور "تمام حسان" يرى أن الفیصل في ذلك الاختلاف بين المفهومين، هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة، ففيها ترتبط كثير من المواقف بالاستعمال اللغوي، مما يحد من إخضاع المقام للمعيارية التي تلتصق بتعريفات البلاغيين العرب، وذلك في قوله "فهم البلاغيون للمقام أو مقتضى الحال فهما سكونيا نمطيا مجردا ثم قالوا لكل مقام مقال، فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وعلى الرغم من هذا الفارق بينهما البلاغيين، نجد لفظ المقام أصلح ما يعبر به عن المصطلح الحديث الذي يستعمله المحدثون "السياق".، لحمادي فطومة، السياق والنص "استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 2-3، 2008، ص 6-7 و تمام حسان، الأصول، الدار البيضاء، 1411هـ، ص 332.

يشترط فان ديك في كتابه النص والسّياق "لتقديم خطاب يمكن أن يكون دائما ممثلا بواسطة السّياق"¹، يعني أنّ ما من خطاب إلا ويكون مرتبطا بسياق ما.

كما ربط ديدري ويلسن (Deidre Wilson) ودان سبربر (Dan Sperber) في كتابهما مبدأ الصّلة والمناسبة*مصطلح البيئة الإدراكية أو المحيط العرفاني*بالسّياق، إذ تنطلق مقاربتهم للسّياق من أسس إدراكية وهي: " مجموعة من الافتراضات التي بمقدور الشخص أن يتصورها أو يمثلها عقليا أو يقبلها بوصفها صادقة"²، يعني أنّ البيئة الإدراكية أو كما ترجمها "محمد الخبو" المحيط العرفاني أو كما سماها "ثروت مرسى" البيئة العرفانية باعتبارها مجموعة الوقائع التي يمكن للفرد

¹ - ديك فان ،النص والسّياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ص 305.

*تعتبر نظرية الصلة والمناسبة قاعدة من قواعد مبدأ التعاون جاء بها غرايس وطورها سبربر وويلسن وتعرف "بشكل بديهي جدا، يصبح القول أكثر ملاءمة كلما حمل المستمع، من خلال تزويده بأقل قدر من المعلومات، إلى تنمية أكبر عدد ممكن من معارفه أو تصوراته أو تعديلها، وبتعبير آخر تتناسب ملاءمة القول مباشرة مع عدد التبعات التداولية التواصلية التي يمد المستمع بها، ولكنها تتناسب عكسيا مع غنى المعلومات التي ينطوي عليها... وبشكل أكثر تجريديا، قد نعتبر بالأحرى أن الجميلة الأولى ج مع المجموعة م من إحتماب عدد أكبر من التبعات الجديدة"، للاستفادة يمكن العودة إلى كتابكيريبرات أوركيوني ، المضمّر، 352.، ودان سبربر وديري ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة "في التّواصل والإدراك"، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016 ، ص.

** يعرف محمد بن محمد الخبو المحيط العرفاني بأنه "مجموعة الوقائع التي يمكن للفرد أن يدركها أو يستدل بها، أي كل ماهو متاح منها للإدراك"، الخبو محمد بن محمد ، نظر في نظر في القصص "مداخل إلى نظريات استدلالية"، ص 109.

² - سبربر دان وويلسون ديدري ، نظرية الصلة أو المناسبة "في التّواصل والإدراك" ، ص 93.

أن يدركها ويستنتجها ويستدل عليها وأن يعرفها من محيطه أو بيئته وهي تجتمع في الذاكرة كمجموعة من الأخبار تكون حقيقة واضحة بالنسبة للفرد.

ويمكن القول إنّ هذه الوقائع الافتراضية ترتبط بالنّص وتُفهم من خلال السّياق ونستطيع الوصول إليها والاستدلال عليها لنستخرج منها ما هو غير ظاهر أو ضمني في النّص بشكل عام والأدبي على وجه التّحديد.

كما أنّ تحديد السّياق في نظرية المناسبة¹: هو مجموعة من الافتراضات القديمة تتحدّد وتتفاعل مع الافتراضات الجديدة لتنتج لنا مجموعة من التّأثيرات السّياقية¹، وأعطى كلّ من الباحثين سبربر وويلسن للافتراضات القديمة والجديدة اسما "بالمعلومات"، فالمعلومات القديمة يقصد بها المعلومات الموجودة سابقا في الذاكرة، والمعلومات الجديدة هي المعلومات التي يتم معالجتها حديثا المستعادة من الذاكرة، فهاتان المجموعتان تتحدان لتولدا ما سنطلق عليه اسم "التّأثيرات السّياقية"^{*} وهي تأثيرات إدراكية حاصلة في جهاز أو نظام إدراكي لشخص ما، وتسهم في تحقيق الوظائف والأهداف الإدراكية، وهذه التّأثيرات يمكن تحقيقها على مستوى الانتباه كالإشارات والعلامات².

إنّ السّياق وفق القول أنف الذكر معطى غير ثابت وإنّما هو بناء، فالمتلقي لا يستطيع أن يأخذ كلّ المعطيات والمعلومات وإنّما ينتقي ما يراه أكثر ملاءمة، كما

¹-سبربر دان وولسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، تر: هشام إبراهيم عبد الله

الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2016، ص 195.

^{*}مثلا: لما تريد الطفلة من والديها أن يشعرا بالأسى لحالتها، فإنّ أحسن ما تفعله قد يكون البكاء بصورة ظاهرة

الصدق، من خلال هذا المنبه يتم استحواذ على انتباه الوالدين.

²ينظر: المرجع نفسه"، ص 266 - 455.

وصفه ثروت مرسي على أنه "ليس معطى جامدا مفروضا على المتواصلين، بل هو قابل للتطور والانفعال لعملية التواصل نفسها وبمراحلها المتعاقبة وأطوارها المنسوبة"¹ نلاحظ جيدا أنّ الباحث "ثروت مرسي" قد استفاد من طروحات سبريرويلسن، ونقل مفهومها المركزي للسياق باعتباره متغيرا ومتطورا وغير ثابت، وأيّ نصّ مهما كان أدبيا أو يوميا أو علميا يجب الرجوع إلى السياق لفهم معنى النصّ فبدونه يتعذر الوصول إلى المعنى، هذا ما طرح بشدة، في كتاب "المعنى الحرفي" الذي يؤكد فيه فرانسوا ريكاناتي ضرورة الوعي بأهمية السياق لفهم المعنى المتضمن في القول، فكلّ النصّ تخفي معاني مضمرة وراء المعنى الحرفي في قول: "إنّ الأمر لا يعود فقط إلى وجود عبارات تضلّ معانيها مجردة تستدعي تدخل متغيرات سياقية، بل نرى أيضا أن المعنى اللساني عموما هو الذي يعاني صفة عدم التّحديد، وهو الأمر الذي يجعله غير مؤهلّ للحفاظ على المضمون، بإزاء وجود خلفية سياقية غنيّة، وبسبب عدم التّحديد، تدعو الضرورة إلى أشكال من الإغناء أو التوسع السياقي لكي تعبر الجملة عن مضمون قضويّ تام"²، ويرى فرانسوا ريكاناتي أنّ كلّ نصّ له معنى مجرد وأنّ معاني العبارات غير محدّدة بطريقة كافية هذا ما يستدعي التّعامل مع السياقات والتّوسّع فيها لتحافظ الجملة أو العبارة على المحتوى وعلى المعنى المستلزم، فالسياق يبحث في طيات المعاني الضمنية الموجودة في النصّوص.

¹ - ثروت مرسي، في التداولية الاستدلالية "قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، دار كنوز

المعرفة، عمان، ط1، 2018، ص147.

² - ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، تر: أحمد كروم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،

2018، ص159.

وفي قول آخر يبيّن فرانسوا ريكاناتي: "أن معنى المحمول مفهوم غير محدّد، فهو طاقة كامنة دلالية تحدّد مفهوما بإزاء السياق التداولي الغني.¹"، يعني أن المعنى المجرد الموجود في النص غير محدد أيّ قضويا*، فمثلا لما نقول "فتح" أو "قطع" هما فعّالان نموذجان يعلمان شكلا ولا يتم تحديّد معناهما إلّا عن طريق السياق التداولي الذي يجرنا الى معناها الحقيقي.

كما أن للوصول إلى المعاني المضمّنة الموجودة في أي نص نقودنا إليها القرائن اللغوية وغير اللغوية مع ضرورة تحديّد المضامين السياقية، كما يقول سبربر وويلسن إذ "تستعمل الكلمات كإشارات إلى المعاني المقصودة في السياق"²، أيّ للوصول إلى المعاني الباطنية التي يحيلنا إليها سياق معيّن في خطاب ما، علينا الاعتماد على القرائن الظاهرية اللغوية والتداولية.

فضلا عن إشارة فرانسوا ريكاناتي إلى نقطة أخرى تتعلق بالمعنى الحرفي أو المعنى العرفي للعبارة وقرائنها؛ حيث يقول: "وترى القرائنية* أنّ الجملة عبر المعنى الحرفي للعبارات التي يؤثّر فيها السياق، هي التي تُفعل معنى المتكلّم، ومعنى المتكلّم هو الذي يؤدي دورا في تحديّد محتوى شروط الصدق، ولكن هذه الوظيفة لا تتحقّق

¹ - ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، ص 160.

* المعنى القضوي: أي المعنى الضمّي.

² - دان سبربر وديدي ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والادراك"، ص 200. نقلا عن:

ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، ص 160.

*القرائية: كل فعل يقترن بسياق مركّب، ويقصدها بهاماهو ظاهر يربط بين السياق والمضمّر أيا للقرائية هي

الوصول إلى المضمّر المتخفي عن طريق السياق لكن هذا السياق يقترن بالحد العام مثل القرينة اللغوية ، ينظر

كتاب سبربر وويلسن، مبدأ الصلة والمناسبة "في التواصل والادراك"، ص 142-160.

إلا إذا كانت الجملة نفسها تتضمن محلات فارغة تحتاج إلى ملء تداولي¹ نلاحظ من خلال هذا القول بأن أحد المتخاطبين يساهم في بناء المعنى ومحتوى شروط الصدق وهو المتكلم من خلال المعنى الحرفي الموجود في الجملة التي تؤثر في السياق، كما لها (الجملة) علاقة أيضا بتحديد معنى المخاطب الذي يساهم في بناء المعنى، فهذه الوظيفة لا يمكننا تحقيقها إلا إذا كانت فراغات بين سطور الخطاب تحتاج إلى قارئ يعضدها بمقاربة تداولية²، فيوصلنا بذلك إلى المعنى الحرفي الظاهر المباشر الذي عن طريقه نعرف المعنى المضمّن والمضمر في النص.

ويمكن التطرق إلى السياق من وجهة نظر فرانسوا ريكاناتي على أساس أنه: "المسؤول عن إبراز عدد من جوانب الحالات الموصوفة، عن تفعيل إجراء التحديد السياقي الذي يتجاوز ما هو محدّد لسانياً، فالإجراء المذكور يسير من الأعلى إلى الأدنى والعكس، فهو إجراء تداولي مراقب من السياق"²، فقد صرح الكاتب أن السياق مؤوّل عن تفعيل إجراء التحديد السياقي الذي يفوق ما هو لسانياً إلى ما هو غير لسانى الذي يهتم به المتلقّي كالمحيط العرفاني والأفكار والمعرفة والإشارات التي يقوم بها المتكلم فيكتشف عن طريقها ما يقصده المتكلم من معاني مضمرة تتجاوز مجرد التلفّظ بالكلام، فالكاتب يعتبر هذا الإجراء استعمال فعلي مراقب في سياق معيّن.

وحّد فان ديك في مقاله "النص بنى ووظائف"³، العلاقة الموجودة بين النص والسياق التي تعدّ موضوعاً لبحوث في أكثر من علم كالعلوم اللسانية والأدبية وعلم

¹ - ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، ص 158.

² - المرجع نفسه، ص 157.

³ - ديك فان ، النص بنى ووظائف "مدخل أولي إلى علم النص"، ضمن كتاب: منذر العياشي، العلاماتية وعلم

النص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.

النفس والفلسفة ...، وفي كلّ علم له نصوص تشكّل موضوع الدراسة؛ حيث يرى فان ديك أنّ قبل تحليل النصوص وسياقاتها يجب تقديم مبادئ عامة للتحليل النصي ومن بينها: "استعمال النصوص دائما في سياقها الخاص، أيّ يتطلب تحليل النصّ وفهمه تحليلًا متزامنا للسياق وفهمه وهي عدة أنواع: التداولي والإدراكي والاجتماعي والنفسي أو الثقافي...، فضلا عن التحليل النصي أو السياقي الذي يعدّ إنتاجا أي ما له علاقة بالنصّ أو بالذات المحلّلة (التي تجعل من النصّ إنتاجا)، فهذا التحليل ليس نتيجة للمميزات الموضوعيّة الملاحظة للنص والسياق فحسب، ولكنّها بناء لمميّزات نسبها الذات المحلّلة بشكل تفاعلي إلى النصّ أو إلى السياق، وإنّ هذا يصح بالنسبة إلى الباحث العلمي الأكاديمي المثقّف، ومما سبق فإن التحليل يعدّ نصا أو نسميه النصّ الواصف* الذي يولد في النتيجة وأن يفهم في لسان معيّن وسياق تواصلية معيّن، و يجب الأخذ برؤية التحليل العلمي الذي يلبي حاجيّات الجماعة التواصلية المعينة تتنبه بهذا الأمر، مثلما يجب أن يكون التحليل قابلا للفهم وواضحا ومؤسسا نظريا ولن يكون في مقدوره أن يعيد إنتاج نفسه، ومتجها نحو قضايا وأهداف مطروحة بشكل مسبق"¹.

وللقيام بتحليل نصّ ما على القارئ أو المتلقّي تحليله وفق سياقه وذلك للوصول إلى القضايا المهمة التي بها يستطيع أن يجعل النصّ إنتاجا، أيّ أنّ النصوص كلّها عند تحليلها تتطلب سياقات للوصول إلى المعنى الحقيقي أو فهم النصّ، وبالتالي كلّ نصّ ينتج ويفهم ويبنى يحتاج إلى مميّزات تواصلية جماعيّة معينة، كما يجب تحليل

* الخطاب الواصف هو الخطاب الحوارى المتداول بين الناس.

¹ - ينظر: ديك فان ، النصّ والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ص 141-142.

نص وفق شروط ليكون التحليل واضحاً ومفهوماً وله أهداف وغايات يتوصل إليها،
وللسياق عدة أنواع.

2-أنواع السياقات:

وتعدّ المواضيع والنصوص أدى بدوره إلى إنتاج عدة أنواع من السياقات،
ذكرها فان ديك في مقاله النص بنى ووظائف وهي كالآتي:

2-1-السياق التداولي:

بدأ فان ديك حديثه عن السياق التداولي، لأنه يعدّ من أهم أنواع السياقات
"الذي يتضمن النصّ بوصفه فعلاً للسان، يعني لا ندرس العبارات اللسانية والنصوص
من حيث بناها فقط، وإنما ندرسها من حيث المصطلحات ووظائفها"¹، إن دراسة أيّ
نصّ لا يكون بهدف معرفة شكله ومضمونه وتركيبه، وإنما دراسته بهدف معرفة
وظائفه أيّ استعمالاته. فكل خطاب يؤدي إلى أفعال.

فالدّراسة التداولية للنصوص تستند إلى تأويل "النص بوصفه فعلاً للغة، أو
بوصفه سلسلة من أفعال اللغة، ومن أفعال اللغة الوعود والتهديدات والمطالب...،
فنحن ننجز فعلاً لغوياً إذ نعبر بجملة أو بعدد من الجمل في سياق يكون ملائماً لها"²،
فالتداولية إنجاز واستعمال فعلي، كما أشرنا سابقاً أن كل كلام أو قول يجرنا إلى إنجاز
فعل وأعطى لنا فان ديك مثالا عن ذلك لما نقول أنستطيع مساعدتي في دفع السيارة؟،
فالمقصود هنا القيام بإنجاز فعل هو فعل "الطلب"، ولا معنى لهذا الفعل إلّا إذا أنجزت
بعض الشروط تتعلق بالسياق الذي يتم فيه التلقظ بالعبرة بوصفها فعلاً لغوياً، فالطلب
المذكور فيه تساوي بين الرتب وفيه معنى غير مباشر وهو الالتماس عرفناه عن طريق

¹ - ينظر: ديك فان، النص بنى ووظائف "مدخل أولي إلى علم النص"، ص 170.

² - المرجع نفسه، ص 171.

السّياق، فالذي يطلق هذا القول يجرنا إلى عمل أو إنجاز فهنا يريد المتكلّم شيئاً ما من المتلقّي للقيام به.

ويعرّف "محمد علي الخولي" السّياق التداولي بسياق الموقف؛ حيث يقول "هو السّياق الذي جرى في إطاره التّفاهم بين شخصيّين، ويشمل ذلك في زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحاورين والقيّم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة"¹، فهذا النّوع من السّياق يهتم بأطراف الخطاب والظّروف المحيطة التي أنتجت فيها المحادثة.

ومن مهام التداولية، كما يقول فان ديك: "إنّ فعل اللّسانيون ملائماً لسياق معيّن عندما تكون كلّ الشروط الضّروريّة لإنجاز هذا الفعل اكتملت، إذ عليها أن تعدّد الشروط التي يجب أن ينجزها كلّ فعل من الأفعال اللّغويّة لكي يكون ملائماً للسّياق الخاص"²، إذ يجب أن تتوفر كلّ الشّروط في كلّ فعل لغوي كي يتلائم القول مع السّياق، فالسّياق يوضح ويقود المتلقّي إلى فهم ما أراد المتكلّم قوله وبالتالي إنجاز الفعل الملائم.

كما يتكون السّياق التداولي "من كلّ العوامل النفسيّة والاجتماعيّة التي تحدّد نسقياً وبدقة ما يلائم أفعال اللّغة أفعال الكلام المتمثّلة في المعرفة والرغبات والإرادة والتفضيل، بالإضافة إلى أسماء أخرى ككتابات من الجمل، فيمكننا أن نحللها أيضاً على المستوى التداولي"³، ومن القول المذكور آنفاً نلاحظ أنّ للسّياق التداولي أهمية

¹ - الخولي محمد علي، معجم اللّغة النّظري، مكتبة لبنان، ط1، 2000، ص. 145 نقلاً عن: حساني أحمد

،فاعلية السّياق فيإنتاج المعنى، مجلة النّص والسّياق، ع21، 2012، ص 43.

² - ديك فان، النّص بني ووظائف " مدخل أولي إلى علم النّص"، ص172.

³ - ينظر: ديك فان، النّص بني ووظائف " مدخل أولي إلى علم النّص"، ص 172.

كبيرة؛ حيث أنّ كلّ فعل لغوي يجب أن يكون ملائماً للسياق، وتتوفر فيه شروط إنجازها، أي أهميته تكمن في أنّ كلّ عبارة تقال يجب أن تتلاءم مع السياق للوصول إلى الفعل الصحيح.

2-2- السياق الإدراكي:

ثم انتقل «فان ديك» إلى السياق الإدراكي المتعلق بفهم النصوص، إذ يرى أنه "يجب على المستمع القارئ، كي يستطيع أن يستعمل نصاً في وضع تواصلية أن يفهم هذا النص، ثمّ نظر "فان ديك" إلى السيرة الواقعية للتأويل، لأنّه يرى أنّ التأويل النظري هو فقط إعطاء معنى أو مرجع لتعابير النص"¹.

ويتوصل القارئ/السامع من خلال السيرة الواقعية للتأويل إلى معنى النص، أيّ القارئ/السامع من خلال تأويلاته يعطي معنى للنص، وإزالة أيّ غموض في هذه الحالة على القارئ فهم النص ومعالجته وربطه بالسياق الإدراكي.

وحسب «فان ديك» فالسياق الإدراكي هو "السياق المباشر الذي ينشأ ويؤوّل فيه النص كما يمكننا من تحليل العوامل الاجتماعية والثقافية الفاعلة في تكوين النصوص والمقصود منه كلّ العوامل المعرفية التي تمكّن المتلقّي من فهم النص ومن ثمّ التأثير به فلا يمكن أن نتفاعل دون أن نفهم وهو ما يتطلب خلفية معرفية تمكننا من ربط مكونات النص اللغوية وغير اللغوية، فتحقيق التواصل من خلال النص باعتباره وسيطاً تفاعلياً يقتضي الغوص في غياهبه بالالتكاء على معارفنا السابقة المخزنة في الذاكرة والقدرة على إستذكارها وإسترجاعها"²، لفهم النصوص ولكشف

¹ -المرجع نفسه، ص 174.

² - قفاص حفصة، دور السياق في إنتاج النص، مجلة اللغة والأدب، ع 21، 2014، ص 30.

مقاصد المتكلم/المؤلف المتخفي بين السطور على المتلقي استحضار المكتسبات المعرفية والقبلية الموجودة في الذهن.

ويشترط «فان ديك» على المتلقي الفهم عند تلقيه النصوص أيّ "فهمها من خلال تتابعات الجمل، كما أن سيرورة الفهم تعود إلى تحليل وتفسير المعلومات التي تنقلها البنية الفوقية للنص وترجمتها بمصطلحات المضمون أي بقضايا، ولم يعدّ فهم النصّ إنشاء روابط بالضرورة عن القضايا التي تعبر عن جمل النص¹.

وأثار «فان ديك» عددا من المعطيات والنقاط التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار للوصول إلى فهم النص وهي كالاتي:

- إقامة روابط بين الجمل على المستعمل أن يستدعي معرفته للعالم انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزونة وهي عبارة عن افتراضات مخزونة في الذاكرة، والمتلقي يختار القضية التي تلائمه من مخزونه للقيام برابط بين قضايا النص.
- إن الفهم النشط لعناصر النص تكمن في ذاكرته العملية، التي تخزن فيها عدد معين من هذه القضايا التي قد تمتلئ فتخزن في الذاكرة لزمن طويل، و لنفهم نصا يجب تحرير ذاكرة العمل جزئيا من حمولتها لإدخال معلومات جديدة، ولهذا يرى فان ديك أن سيرورة الفهم سمة دائرية.
- وللحديث عن فهم نص يجب الاحتفاظ ببعض المعلومات في ذاكرة العمل والعملية إذ يمكننا استرجاع هذه المعلومات بطريقة سهلة وسريعة.

¹ - ديك فان ،النص والسياق، ص175.

- والأهم في فهم النص أن تكون المعلومات التي نستطيع أن نستخلصها من النص منظمة ومبنية ومختزلة، لهذا تأخذ **البنى الكبرى*** مكانا مركزيا في المعالجة الإدراكية للنص، فقارئ النص بعد عدة أسابيع لا يتذكر سوى المواضيع الأكثر أهمية.
- ثمة شيء شبيه يصلح لتحليل السياق ولاسيما تأويل أفعال اللغة، ويكمن التعقيد الذي يربط به (التأويل)، فيجب على المستعمل أن يقوم تزامنيا بتحليل مفصل للسياق التداولي ومعالمه وسلوكه، كما يجب أن يقارن الكل بتحليل العبارة.

2-3- السياق الاجتماعي:

تطرق «فان ديك» إلى سياق آخر وهو **السياق الاجتماعي** المتعلق بالنص في التفاعل والتأسيس، فيرى فان ديك أن أثناء عرض تحليل تداولي الذي "يعبر عن نصوص في سياق معين ننجز أفعال لغوية أو كلامية، فأفعال اللغة والكلام يعتبرها فان ديك أفعالا اجتماعية، منتجة في سيرورات من التفاعل والتداخل التواصلي"¹، ويجد هذا التفاعل مكانا له في المواقف والأوضاع الاجتماعية. كما تتعدد الأوضاع في المجتمع وتمتلك عددا كبيرا من الخصائص التي لها سمة تواصلية، وتوجد أوضاع عامة وخاصة مؤسساتية وغير مؤسساتية.... ويصنّف المشاركون في هذه الأوضاع على فئات لفهم دورهم ومكانتهم....، وتوجد أيضا لكل فئة من المشاركين مجموعة محدّدة نسبيا من الأفعال الممكنة وذلك إزاء وضع نموذجي، ويقول آخر: "فإن بنية الوضع الاجتماعي، أي السياق الاجتماعي تحدّد المميّزات التي تستطيع أن تمتلك النصوص، كما يرى فان ديك في بعض الأوضاع يجب أن تكون اللبّاقة

* البنى الكبرى: كلّ ما يحتفظ به في الذاكرة، والتي يمكننا بعد عدة أسابيع إعادة إنتاجها واسترجاعها وتذكرها،

كما تجعلنا البنية الكبرى نستوعب أعقد المعلومات وكذا تنظيمها في الذاكرة.

¹ - ديك فان، النص والسياق، ص182.

ضابطة وضرورية في النص¹، فمثلاً عند صعودنا في حافلة الطلبة يطلب منا تقديم بطاقة الطالب إلى مفتش الحافلة فهذا يعقل منطقياً؛ ولكن إذا طلب منا أننقرضه المال فهذا لا يعقل ونرفضه.

لذا يعدّ النصّ فعلاً لغوياً وكلامياً لا يحدّده الوضع الاجتماعي فحسب، فالوضع الاجتماعي يحدّده الاستعمال فمثلاً إذا قطع إنسان وعداً وجب عليه تنفيذه، بمعنى أن أيّ قول يؤدي إلى فعل يجب أدائه وتنفيذه، وثمة مجموعة من الأفعال يساهم فيها المتكلّمون.

ويذهب المهدي إبراهيم الغويل إلى أنّ السّياق الاجتماعي مرتبط بالّلغة التي تعتبر ظاهرة اجتماعيّة و يقول: "من المسلم أنّ اللّغة نشاط اجتماعي، لأنّها مرتبطة أشد الارتباط بالمجتمع الذي يستعملها، ولذا فإنّ المجتمع يشكّل إطاراً للّلغة؛ بحيث تنطبع بطابعه ويتوقف فهمها على الإحاطة بظروفه، وهذا الإطار هو ما يعرف بالسّياق الاجتماعي وهو يشمل كل مكونات المجتمع من عادات وتقاليد وثقافات... إلخ"²، أيّ أنّ المجتمع هو الذي يرسم إطاراً للّلغة، وذلك من خلاله (المجتمع) المتكلّم يعرف ما يقوله، ويتوقف فهم اللّغة على المجتمع والسّياق الاجتماعي، أيّ يشمل العلاقة بين الأفراد والأعراف والعادات.

ويرى ثروت مرسي أنّ السّياق الاجتماعي بمثابة سياق: "ينشأ أثناء التّخاطب عن طريق المنخرطين فيه وفق علاقاتهم واستجاباتهم"³، فتشكّل السّياق الاجتماعي

¹ - ديك فان، النصّ والسّياق، ص 184.

² - الغويل المهدي إبراهيم، السّياق وأثره في المعنى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، لبنان، ط1، 2001، ص137.

³ - ثروت مرسي، "في التّداوليات الاستدلالية قراءة تأصيليّة في المفاهيم والسيرورات التّأويلية"، ص 123.

مردّه النشاط التّواصلي القائم بين أطراف الخطاب المخاطب/ والمخاطب فمن خلال محادثتهم يُكونون السّياق الاجتماعي.

كما أن: "تأثير النّص على الوضع الاجتماعي وكذلك تأثير الوضع الاجتماعي على النّص يمارسان من جانب الاستعداد الإدراكي للمستعمل"¹ فهذه عملية عكسية بين النّص والوضع الاجتماعي اللّذين يؤثران في بعضهما بعضاً، أي هناك تأثير وتأثر بينهما.

وحقيقة ذلك أنّ تأويل الواقع الاجتماعي "مهما كان تواضعياً يمارس تأثيراً على توجه الإنتاج النّصي وعلى فهم النّص من خلال آرائه ومواقفه ورغباته ومصالحه، كما أنّ المستعمل اللّغة يرغب دائماً في التّأثير على محاوره في مقام التّواصل؛ حيث يلجأ إلى استراتيجيات مختلفة وبدون إظهار مقاصده إلا بصورة غير مباشرة"²، إن المتكلّم يريد دائماً التّأثير في المتلقّي بمعارفه وآرائه وأفكاره، دون إظهار مقاصده له (المتلقّي)، وإنّما المتلقّي بذكائه واستراتيجيّته وجملّة القرائن النّصية الداخليّة والخارجية يمكنه التوصل إلى بعض مقاصد المؤلّف/ المتكلّم، ومضمرات خطابه.

2-4- السّياق الثقافي:

¹ - ديك فان، النّص بنى ووظائف "مدخل أولي إلى علم النّص"، ص 185.

² - المرجع نفسه، ص 185-186.

وتطرق «فان ديك» إلى السّياق الثقافي، أي النّص بوصفه ظاهرة ثقافيّة، وأنّ هناك عدة نصوص تعمل بوصفها أفعالا كلاميّة ولغويّة في مختلف الأوضاع الاجتماعيّة.

فبعض الأوضاع محدّدة تاريخيّا وثقافيّا كالرواية والمقال والمعلومة في الجريدة، كما هناك نماذج نصيّة أخرى تحيلنا إلى عصور أخرى من ثقافتنا كالأساطير والخرافات والقصص...، ونصوص أخرى من هذا النّوع ترتبط بثقافة معيّنة وبعصر معيّن، ومن خلال هذا التّنوع والاختلاف في النصوص يعرف بوجود علاقات اجتماعية أخرى.

لذا يرى «فان ديك» أنّ التحليل الأنثروبولوجي "للتّصوص ولأشكال التّواصل يوضّح على نحو أكثر هذا العامل المتعلق بالتّغيير والتّنوع الثقافيّ بين نماذج النّصوص، كما يعلمنا هذا التحليل أنّ أي نوع من النّصوص يمكن أن يستعمل في سياقات اجتماعيّة محدّدة وماهي المميّزات الخاصة لهذه النّصوص، بهدف مقارنتها مع تلك المستعملة في سياقات شبيهة ثقافات أخرى"¹. فبعض النّصوص تكشف القيم الاجتماعيّة والثقافية للمجتمعات.

وفضلا أنّ النّص عن كونه مكوّنًا ثقافيّا متغيّرًا للتّفاعل الاجتماعيّ، فهو كذلك "ظاهرة ثقافيّة يمكن للمرء أن يستخلص منها بعض الاستنتاجات حول البنية الاجتماعيّة للجماعات الثقافيّة، كما يمكن استخلاص دور الأعضاء الاجتماعيّين، حقوقهم... التي تهيم من النّصوص ومن المحادثات المستعملة في المقامات، كما يعني الأمر بالنّسبة إلى المعارف والآراء والأفكار، والقيم الجارية للمجموعة اللّسانية

¹ - ينظر: ديك فان، النّص بني ووظائف "مدخل أولي إلى علم النّص"، ص 187.

التي تمارس تأثيراً هاماً على الإنتاج والفهم النصي¹ إنَّ التحليل النصي بحسب فان ديك يعدّ منهاجاً ذا قدرة كبيرة في إطار تحليل عام للثقافة.

وللسياق الثقافي دور كبير "في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة أو المفردة التي تستخدم استخداماً عاماً"²، أي هذا النوع من أنواع السياقات يؤدي دوراً كبيراً في استنباط المعاني المقصودة في الملفوظ.

فحديثنا عن أنواع السياقات التي أوردناها لنا اللساني المذكور "فان ديك" يحدّد الفهم الإدراكي للنصوص، ويمكننا استخلاص أهم العناصر منها:

أ- إنَّ النصوص لا تكون سوى نظام متداخل بين العلوم، كما أنها لا تمتلك بنى قاعدية من أصوات وكلمات فقط، وإنّما تمتلك أيضاً البنى العليا والأسلوبية والبلاغية المسؤولة عن التغيير والإضافة، وتعدّ العلاقات الصرفية والنحوية بين الجمل تعبيراً عن العلاقات الدلالية بين القضايا والعلاقات التداولية بين أفعال اللسان.

ب- يجب أن تستعمل النصوص في سياق ملائم، كما عليها أن تعمل بوصفها سلسلة من أفعال الكلام، التي تحقق بفعل الدرس التداولي الذي يشترط فيه الإنجاز وذلك عن طريق التفاعل بين النص ونماذج السياق.

ج- في السياق الإدراكي نجد شروطاً مثل الذاكرة والاستراتيجيات من خلالها تستطيع النصوص أن تنتج وتفهم وتخزن وتنتج ثانية، ولقد تبين أن البنى

¹ - ديك فان، النص بنى ووظائف "مدخل أولي إلى علم النص"، ص 188.

² - قفاص حفصة، دور السياق الثقافي في التواصل النصي، مجلة اللغة والأدب، ع 21، 2014، ص 31.

الكبرى* والبنى الترسيمية** تملأ الوظيفة المهمة في فهم المعلومة النصية وفي تذكرها، ولقد وجد الاستعداد الإدراكي المعارف والآراء والرغبات لمستعملي اللغة نفسه تزامنيا يمارس هيمنة هائلة على سيرورة الفهم وعلى المعالجة اللاحقة. فالسياق الإدراكي يؤثر في السياق الاجتماعي وفي السياق النفسي أيضا؛ لأن معالجة النصوص لآرائنا وطموحنا وتحركاتنا تتكئ على الاستعداد الإدراكي. كما يوجد تفاعل بين النص والسياق الاجتماعي الثقافي، ويحددان معا المواقف الاجتماعية والمشاركين التي يجب أن تلاحظ في هذه الأوضاع.

ومما سبق نستنتج أن «فان ديك» توصل إلى أنّ تحليل النصوص يتطلب مقارنة متعدّدة الأبعاد، ويجب على المستويات (التداولي والدلالي...) إقامة علاقات مع بعضها البعض، غير أنّ البنى تستطيع إقامة علاقات مختلفة المستويات وبشكل متغيّر مع مختلف نماذج السياق، المقصود ليس فقط هو فهم النص وتحليله لذاته، ولكن المقصود هو فهم مختلف وظائف النص (أفعال ومؤشرات) وتحليلها ضمن سياقات المختلفة (التداولية والإدراكية والثقافية)، بمعنى أن لتأويل النص، نبداً بالمقام الأول إسناد معان إلى مكونات النص وفي الدرجة الثانية إعطاء النص مختلف وظائفه.

* البنى الكبرى: حسب فان ديك هو كل ما تحتفظ به في الذاكرة، وتختلف من قارئ إلى آخر. أم السعدحية

مختار، تداولية الخطاب الروائي "من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ"، ص 25.

** البنى الترسيمية: يقصد بها الأشكال النصية أو الخطاطة النصية، وأكثر الترسيمات هي الترسيم السردية

والحجاجية، نقلا عن: أم السعد حياة مختار، تداولية الخطاب الروائي "من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ"

، ص 37.

كما أن السّياق عنصر ضروري ومهم في مجال اللّغة وبفضله يمكننا الوصول إلى المعاني النّصية وخارج النّصية بدقة ووضوح، ولنفهم نصا ونفسره يجب العودة إلى السّياق باعتباره يؤدي دورا مهما كبيرا في إبراز معنى النّص وكشف لنا الاهتمام بالسّياق مسألتين مهمتين هما:¹

- مسألة المسكوت عنه في النّص الأدبي والامتعين فيه هي: مسألة تدعو المخاطب/المتكلّم إلى المشاركة في نطاق النّص الساكت عن أشياء كثيرة بالاعتماد على المقام والسّياق أي الموضوع والمحيط والمعارف والأوضاع... كما سماها سبربرووليسن المحيط العرفاني.

- المسألة الثّانية هي مسألة المعنى التي كانت مهمشة عند البنيويين، وهذه المسألة شديدة الارتباط بالمقام في النّص الأدبي عامة.

بمعنى أن المخاطب عندما يتلقى خطابا من المخاطب يجب أن يطرح عدة أسئلة مهمة للوصول إلى مقصده ومعناه وهي:

- لماذا قال هكذا؟

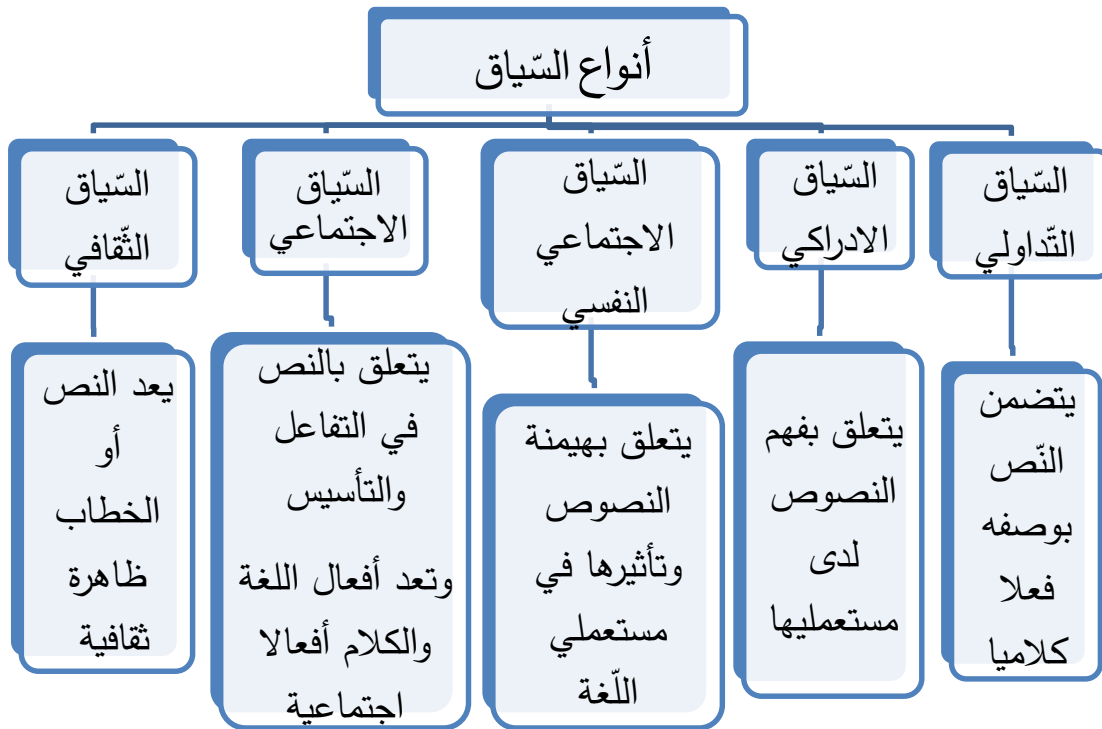
-إلى ماذا يريد أن يصل؟

-ماذا يقصد بهذا الكلام؟.

كما لاحظنا أن التّداولية هي مقاربة لا تهتم بالنّص كوحدة مغلقة، وإنّما اهتمت بالنّص كسياق ومعنى وأطراف الخطاب(المخاطب/المخاطب) وقصد وخاصة أنها تهتم بالبعد الاستعمالي.

¹ - الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص "مداخل إلى سرديات استدلالية"، ص 105.

لتوضيح العلاقة بين كلّ هذه المعلومات وضعنا مخططاً يلخّص ما جاء في المبحث الذي تناول السياق وأنواعه.



- السياق له علاقة وطيدة بالنّص

-السياق يساعد على فهم مختلف وظائف النص

- تحليل النّص يكون ضمن مختلف هذه الأنواع

للسياق عدة أنواع وهي مختلفة، إلا أنها تتقاطع فيما بينها في علاقتها بالنّص ومستعمليه أو مستعملي اللغة، كما تساعد هذه الأنواع المتلقي على تحليل النص وفهمه والوصول إلى مختلف وظائفه.

المبحث الثالث:

1- معنى المعنى: المسكوت عنه في

النّص.

2- المحتويات المضمرة:

أ- الافتراضات والمضمّنات.

ب- المضمّنات مقابل الافتراضات.

بعد تطرّقنا إلى السّياق وربطه بالنّص وأنواعه، لاحظنا أن السّياق يؤدي دوراً مهماً في إبراز معنى النص، ويكشف أيضاً مسألة مهمّة وهي مسألة المسكوت عنه في النّص الأدبي، فماذا يقصد بالمسكوت عنه؟ وماهي محتوياته أو عناصره؟.

1- معنى المعنى أو المسكوت عنه في النّص:

عند قراءتنا لبعض النّصوص والخطابات لأدباء ومفكرين، لاحظنا العديد من المؤلفين في كتاباتهم تاركين فراغات بين السّطور على القارئ المتلقّي أن يملأها.

ولعلّ بعض الخطابات على مر العصور لا تشي بمعانيها دفعة واحدة بل تترك فراغات تحتاج لقارئ حصيف يعضّدها ويبحث عمّا هو مسكوت عنه، لذا نجد في البلاغة العربيّة والغربيّة على حد سواء اهتماماً متزايداً بهذه المسألة، فهذا عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز يقف على مفهوم معنى المعنى، الذي يقصد به **المعنى الثاني** من العبارة أي ما هو مسكوت عنه ومضمّر، إذ يقول: "إن يعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر".¹

أمّا السّميائي الإيطالي أمبرتو إيكو فيعرف النّص بأنّه "آلة كسولة تتطلّب من القارئ بذل جهد تعاضدي جبار لكي يملأ فراغات «ما لم يقال» و«ما قيل» التي لبثت بيضاء"²، وبالتالي كلّ نص يحتاج إلى قارئ يساهم ويتعاون ليملأ تلك الثّغرات الموجودة ما بين السّطور وهو ما يصطلح عليه **معنى المعنى** أو **المسكوت عنه**، يقصد إيكو من عبارة (مالايقال) الذي ليس ظاهراً في السّطح، أي يعتبر المعنى غير الحرفي أو **المسكوت عنه** أو **المضمّر**.

¹ - الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، ص 203.

² - إيكو إمبرتو، القارئ في الحكاية، "التعاوض التأويلي في النصوص الحكائية"، تر: أنطوان أبو زيد، المركز

الثقافي العربي، المغرب، دار البيضاء، ط1، 1996، ص28.

ويقول فرانسوا ريكاناتي: "المعنى غير الحرفي هو في الغالب معنى ثانوي، أي إنه مشتق من معنى أساسي وأولي يقتضي وجوده"¹، فمثلاً لما نقول "بول" عطشان معنى أولي وهنا يتدخل القارئ ليبدل جهداً ليملاً الفراغات ليتوصل إلى المعنى المسكوت عنه هو وجوب أن يسقي "بول" ماء، أي المعنى الثانوي يتفرع عن المعنى الأساسي الذي يقتضيه.

ويقول أيضاً فرانسوا ريكاناتي: "المعنى غير الحرفي معنى مخصوص، إذ يتضمن شكلاً من الانزياح أو الخروج عن المعيار، يجب أن يكون شكل الانزياح أو الخروج شفافاً في ذهن مستعملي اللغة"²، ويقصد بالمعنى المخصوص هو الذي يسند إلى الكلمات عندما يتكلم المتكلم بالمجاز أو الإشارات أو يبلغ عن أشياء بطريقة غير مباشرة.

نستنتج أنّ هذه الأقوال تتفق في نقطة واحدة هي أنّ كلّ نص يحتوي معنيين: معنى مباشر وحرفي يكون على سطح النص، ومعنى مسكوت عنه لا يتجلى على سطح النص، ومن هذا الاستنتاج نتوصل إلى أنّ "النص معقد في كونه نسيج ما لا يقال"³ يقصد إيكو "ما لا يقول" المسكوت عنه، أي سبب تعقيد النص أنه نسيج من المسكوت عنه الذي على القارئ تفكيكه.

فالمسكوت عنه إذن "ليس ظاهراً في السطح على صعيد التعبير، على أنّ المسكوت عنه ما لا يقال، هذا هو ما ينبغي أن يفعل على مستوى وهكذا يكتسب نص ما بطريقة

¹ - ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، ص 118.

² - المرجع نفسه، ص 135.

³ - إيكو إمبرتو، القارئ في الحكاية "التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية"، ص 62.

أظهر من أية رسائل أخرى، وكانت تعاضدية فاعلة وواعية من جانب القارئ¹، يعني أنّ المسكوت عنه هو المعنى غير الصريح والضمني الذي على القارئ فضحه وكشف اللثام عن الرسائل التي يمررها الكاتب عبر ما هو ظاهر وصريح رغم الصعوبة والتعقيد للوصول إليها.

وإنّ النصّ هو نسيج من فضاءات بيضاء ينبغي أن تملأ، والذي يقول الفضاءات يتكهن أنّها (فرجات) سوف تملأ، فيتركها بيضاء لسببين: الأول: وهو أنّ النصّ يمثل آلة كسولة أو مقتصدة تحيا من قيمة المعنى الزائدة التي يكون المتلقّي قد أدخلها إلى النصّ، فالنصّ يقدر ما يمضي من وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية، فإنه يترك للقارئ المبادرة الأولية، حتى لو غلبت فيه الرغبة بعامة في أنّ يكون النصّ مؤولا وفق هامش من الأحادية كاف، أن نصا غالبا ما يتطلب إعانة أحدهم لكي يتحقق عمله².
يعمد الكاتب بترك ثغرات في نصه، فهو مدرك أنه سيأتي من يملأها لذا يتركها فارغة، فهو يرى أنّ النصّ كسول فالمتلقي لما يملأ الثغرات يصبح النصّ نشطا وفعالا، فالكاتب يترك المتلقّي يقوم بعمله التأويلي وفق السياق المطلوب، إذنكّ نص يحتاج إلى من يعضده للوصول إلى ما هو مضمّر.

وترى الباحثة حياة أم السعد أنّ "النصّ السردى عند إيكو فضلا عن كونه مجموعة من الأفعال اللسانية تكون أحداثا ذات طابع خيالي، معبأ برسالة أو مجموعة من الرسائل، مرتبط بالمجتمع والتاريخ والحياة الإنسانية، فإذا تحقق هذا الارتباط عاينا في هذا النسيج السردى الخيالي حتى مقارنته الواقع والحياة يحيكها ويجملها بجملة من الرسائل التي تنتظر من يفكها، والقارئ هو الكفيل بها، لأنه هو من يحين النص عن

¹ - إيكو إمبرتو، القارئ في الحكاية "التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية"، ص 62.

² - المرجع نفسه، ص 63-64.

طريق القراءة"¹، وفق هذه الرؤية نجد أنّ كلّ نص يحتوي رسائل يمرّها الكاتب عبر نصه، ولاسيما إذا كان النصّ يتحدث عن المجتمع والتاريخ، فعلى القارئ أن يفعل ذهنه وكفاءاته الموسوعيّة لحلّ شفرات النصّ والوصول إلى المسكوت عنه والمضمّر. إنّ لجوء المتكلّم أو الكاتب إلى ما هو مسكوت عنه "لتذليل عقبة وجود بعض المحرمات في مجتمع معين، وذلك بغية إحباط بعض الرقابات ذات الطابع الأخلاقي أو السياسي أو القانوني والاحتياالي على قانون الصمت الذي يحظر التحدث عن بعض الأغراض الخطابية، ففي سياق اجتماعي معين، ثمة العديد من الأمور التي ينبغي عدم الاتيان على ذكرها بشكل مباشر على الأقل"²، أي أنّ المسكوت عنه يكون لأسباب دينية أو سياسية أو تاريخية أو قانونية، فعندما لا نستطيع ذكر مثل هذه الخطابات مباشرة نلجأ إلى غير مباشرة فمثلا في "رواية حيث تركت روحي لجيروم فيراري"^{*} هي رواية كتبت عن فترة تاريخيّة تحدث فيها الكاتب عن بعض الأحداث المضمرة في مجتمعنا مثل العاطفة الانسانية التي يراودها النقيب ضد المجاهد، ولكن ليس بطريقة مباشرة وإنّما يبذل القارئ جهدا تعاضديا للوصول إلى مضمّرات القول ومن أجل أن يفهم المعنى المقصود منها.

¹ - مختار أم السعد حياة ، تداولية الخطاب الروائي "من انسجام الملفوظ الى انسجام التلفظ"، ص71.

² - كرييرات كاترين أوركيوني، المضمّر، تر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1،

2008. ص498

* رواية حيث تركت روحي لجيروم فيراري، تتحدث عن حقبة الاستعمار الفرنسي، عن شخصية المجاهد الطاهر الذي قبض عليه الاستعمار وعند دخوله السجن التقى هناك بالنقيب الفرنسي الذي يستنطق المجاهدين، إلا أن النقيب دوغورس أحس اتجاه طاهر بالعاطفة وأحبه وأصبح يسرد عليه حكايته مع الحرب وأنه لم يريد هذه

الوظيفة الشنيعة والتعذيب وأنه يتألم من هذا العمل... (ملخص للرواية)

وتقول الباحثة حياة أم السعد : " إن المضمّر يلعب دوراً في حياتنا اليومية جوراً أساسياً في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، فالناس مثلاً في الغالب عما يريدون قوله، فيحذف الغموض الكثير من كلامهم، يلجؤون لهذا ربما مراعاة لشعور المتخاطبين"¹.

ونستنتج في الأخير أنّ كلّ نص يحتوي معنيين معنى مباشر صريح ظاهر ومعنى غير مباشر وضمني ومضمّر، فعلى القارئ معرفة ماهو ظاهر بسيط وماهو مسكوت عنه مركب، هذا ما جعلنا في هذا السياق استحضار مقولة باختين لكلّ نص إلا وله جزء ظاهر وجزء مضمّر.

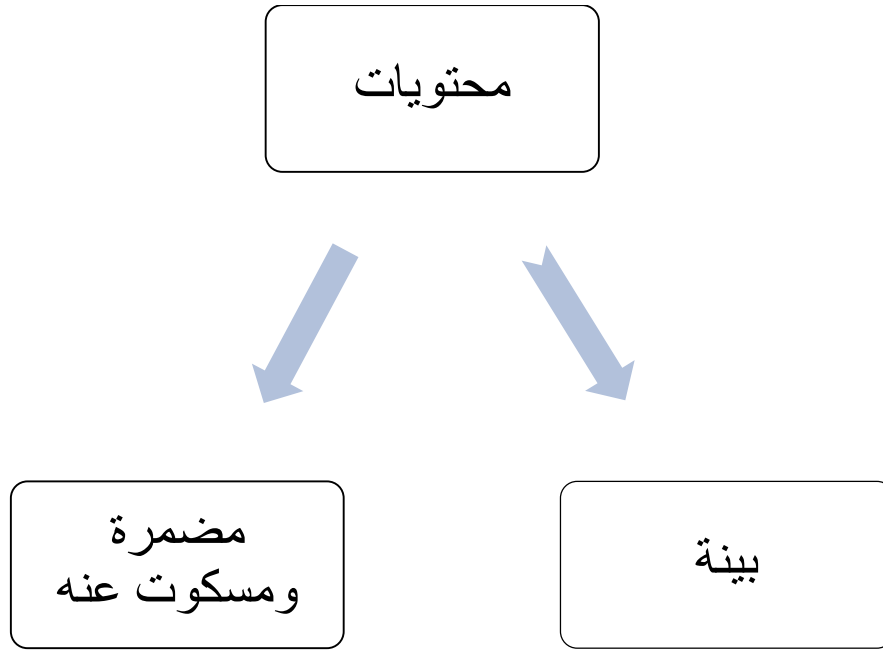
2- محتويات المضمّر (مظاهر المضمّر):

يحمل كلّ خطاب أو قول مكتوب أو شفوي معنيين الأول معنى ظاهرياً والثاني معنى باطنياً، ونقول معنى صريح أو حرفي يصرح فيه المتكلّم ما يقوله ويرتبط بالجملة أو القول ارتباطاً وثيقاً، أما المعاني الضمنية وغير الصريحة التي لا يصرح بها المخاطب وإنما يستنبطها المتلقي من سياق القول والظروف المصاحبة لإنتاج الجملة أو القول.

ولهذا نجد أوركيني قد قسمت محتويات اللّغة إلى قسمين وهما:

¹ - أم السعد حياة، قواعد المحادثة من منظور تفاعلي تداولي لتطوير تعليم وتعلم اللّغة العربية لناطقين

بغيرها، مجلة اللّسانيات وهندسة اللّغات الطبيعية، ع 1-2، 2017، ص 18.



وقسمت محتويات المضمرة إلى قسمين: الافتراض (Supposition) والمضمرة (sous- entendus).

أعطت أوركيني تسمية المحتويات بالمحتويات المضمرة التي تعرفها ريتا خاطر على أن: "هذه المحتويات المضمرة تكون موجودة في كل مكان، وليس ثمة ما يدعو بالضرورة إلى القلق من ذلك، إذ لابد من الاقرار بحق المتكلم في إنجاز فعل القول المضمرة؛ لأنه لا يخفف من حدة الأفعال المهددة للوجود؛ لأنه يترك هامشا من الحرية للمتكلم والمتلقي كليهما، وكذلك لأنه يفرض أخيرا نوعا من التشويق التأويلي"¹، ونجد هذه المحتويات في الأقوال والنصوص والخطابات، والهدف منها ترك الحرية للمتكلم والمتلقي، أهمها (المحتويات) كالاتي:

- افتراضات ومضمّنات: يعدان بمقام أقوال مبطنة ومضمرة أو معلومات مدسوسة خفية، فياترى ماسبب عدّ المحتويات مهمة في استنباط وكشف المضمرة؟.

¹ - كيريرات كاترين أوركيني، المضمرة، ص10.

2-1- الافتراض إحدى قيم الحقيقة:

للحديث عن الافتراض أو المفترض، أو كما يسميه الكثير من الباحثين بالافتراض المسبق pre-supposition، الذي وضعه الفيلسوف الألماني فيريجه¹ Frege؛ حيث يقول كل من فيريجه وستراوسن (Strawson): "أنّ الفرضية تقتضي إلى تلاقي عموماً قبولاً أكثر من غيرها، على أثرهما إلى العجز عن تقدير قول من هذا القبيل على نحو ملائم²"، من هنا نشأ تحديد الافتراض ومفاده: "أنّه وحدة من وحدات المحتوى التي ينبغي أن تكون صحيحة بالضرورة كي يكتسب القول الذي ينطوي عليها إحدى قيم الحقيقة"³، فالافتراضات معلومات قبلية حقيقية عن خطاب ما.

ويشترط كل من فيريجه وستراوسن الحقيقة والصحة عند الافتراض، وللافتراض تحديدات عديدة؛ وذلك بسبب الاهتمام الذي حظي به في الدرس التداولي من طرف عدة باحثين ومنظرين كجورج يول وأوركيوني كيربرات وسبربر وويلسن.

يعرف جورج يول (George yule) الافتراض المسبق أنّه "ذلك الشيء الذي يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام"⁴ أي عند إنشاء المتكلم خطاباً يشترط عليه أن

¹Paullarrey. Enonces performatifs et presupposition. Paris nathon. 1979.p07.

² - كيربرات كاترين أوركيوني، المضمّر، ص 52.

³ - المرجع نفسه، ص 52.

⁴ - يول جورج، التداولية، ص 51.

تكون لديه معرفة مسبقة ببعض المعلومات لذلك الخطاب، فالافتراض يقوم بالدرجة الأولى على المعلومات المشتركة بين المتكلم بالدرجة الأولى والمتلقي بالدرجة الثانية. يفترض المتكلم قبل الكلام أنه يمتلك افتراضات مسبقة للحديث مع المتلقي، لكن ديكرود (Ducrot) يخالف جورج يول في طرحه، إذ رأى أن الافتراض من المخاطب والمتلقي في آن واحد فيعدّ: "أنّ هذا المفترض يستخلص من الخطاب بطريقة شبه آلية، ويمثل هذا المفترض خلفية معرفية مشتركة بين أطراف الخطاب وأحد شروط المفترض توفرها لضمان تماسك التبادل القولي واتصاله"¹ ولنجاح التبادل القولي بين المخاطب والمخاطب يشترط مبدأ التعاون* بينهما، إذ تكون لهم خلفية معرفية مشتركة تشبه العقد لكي يتماسك الخطاب.

يمكننا القول إنّ الافتراض بين المشاركين من المبادئ الأساسية في كلّ تواصل بينهما لنجاح عملية التواصل لهذا يشير مسعود صحراوي إلى أنّ: "في كلّ تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينه، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل."²

¹ - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات رامة والتنين لادوارد الخراط، ص 83.

* - مبدأ التعاون هو مبدأ جاء به غرايس تحت عنوان الاستلزام التخاطبي (Conversational implicature)، حيث يكون تعاون بين المتخاطبين يؤلفون مجتمعاً، إذ يكونان متضامنان بقصد قيام نشاط مشترك بينهما للوصول إلىقصدتهما، وينجم عن هذا التضامن ما يلي: يكمن الموجب الذي يتعين على الشخص أن يلتزم به في الاستدلال عن طريقه بتعابير مفهومة من قبل الشخص ب، في حين يترتب على الشخص ب أن يفيد بهجواب يستعمل فيه تعابير وإيماءات يمكن للشخص أن يفهمها. كيريرات كاترين أوركيني، المضمّر، ص 350.

² - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

بناء على القول المذكور يشترط في الافتراض المسبق وجود متخاطبين، وكذلك معلومات متفق ومتواضع عليها بين أطراف الخطاب فهي أشبه بعقد مبرم بينهما لنجاح عملية التواصل؛ لأنّ عملية التداول تتطلب ذلك فإذا لم تكن ثمة خلفية تواصلية غير مشتركة بين الطرفين تكون النتيجة فاشلة في عملية التواصل، فمثلا لما نقول "أغلق الباب" فمن المفترض أن تكون ثمة خلفية افتراض مسبق مشتركة مضمونها أنّ "الباب مفتوح يجب غلقه"، ونمثل بمثال آخر أيضا فمثلا نقول: استقلت الجزائر من الاستعمار الفرنسي، فمن المفترض هنا أن القارئ المتلقي يعرف أن الجزائر كانت تحت وطأة استعمار وحرب، ويعرف معنى الثورة، ويصدق أن الجزائر كانت في حرب مع فرنسا وأن الخصم في تلك الحرب كانت فرنسا الغاشمة.

إذن، للبحث عن المضمري النص أو الخطاب يجب العودة إلى الافتراضات المسبقة لتساعدنا على الوصول إلى ملء هذه الفراغات والكشف عن المسكوت عنه والمضمر.

يرى التداوليون أنّ الافتراضات المسبقة هي: "ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والابلاغ، ففي التعليميات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه".¹

أي تعدّ الافتراضات المسبقة أساسية في حوار ما أو في عملية التواصل، فمثلا عندما يبدأ المعلم بشرح درس عليه الانطلاق من مكتسبات قبلية موجودة لدى التلميذ، ففي درس الرياضيات لو بدأ المعلم بشرح درس الدائرة كان عليه لزاما أن ينطلق من

¹ - صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني

واقع الطفل إذ نفترض أنها مكتسبات قبلية من عجلة السيارة أو شيء آخر يبني عليه المعلم درسه ليستطيع تلقين التلميذ معلومة جديدة.

يعتبر ديكرول الافتراض بأنه: "وحدة مدرجة في اللغة ومن شأنها أن تكون المحتوى الحرفي، وإلى الاعتراف بأن (فعل القول قادر على استنباط الافتراضات)"¹، بمعنى أن الافتراضات مدسوسة ومخفية بين سطور اللغة، ويمكننا استنباطها واستخراجها من خلال فعل القول ولها علاقة وطيدة باللغة.

كما نصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات وان لم تكن مقررة جهرا، وإنما تستنبط تلقائيا من صياغة القول، وتكون هذه المعلومات ذات مستويات مختلفة (معجمية وقولية واقعية...)، وتكون الافتراضات من حيث المبدأ منعدمة السياق"².

إذن، الافتراضات هي كل المعلومات المخزنة في الذهن من معارف قبلية ومكتسبات معرفية، وتكون سهلة المنال والعودة إليها مباشرة من صياغة القول أو العبارة المدرجة في اللغة، ولايتدخل السياق اللغوي أو السياق الحالي إلا لإزالة تعددية المعاني محتملة الوقوع، فمثلا توقف عمر عن التدخين فالمفترض المسبق أنه كان يدخن وهذا ما لم يقله ظاهر النص.

وتشير أوركيوني إلى نقل الافتراضات: "في حال تشكّل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي الأساسي، عبر القول الذي تكون مدرجة فيه بشكل جوهري لا نزاع فيه، وبتعبير آخر، تعتبر الافتراضات أمورا نقصد قولها 1 من دون أن نقصد قولها 2"³،

¹ - كيبريرات كاترين أوركيوني، المضمّر، ص 49-50.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 48-49.

³ - المرجع نفسه، ص 41.

بمعنى أن الافتراضات قد تكون مقصديات يمكن أن أقصد شيئاً وآخر يقصد شيء آخر.

أما تحديد الافتراضات في التداولية التواصلية* فإن هذه التسمية (الافتراضات التداولية التواصلية) تطلق على كل المعلومات التي ينقلها القول والتي تتعلق بشروط النجاح التي يجب استيفائها بغية تمكين فعل الكلام الذي يدعي القول إنجاز من النجاح على صعيد تأثيره غير المباشر¹.

أما الافتراضات حسب رؤية ديدري ويلسن (Deider Wilson) ودان سبربر (Dan Sperber) فإن لها منحى من القيود الإدراكية والعرفانية التي جاء بها، إذ يقولان أن: "القيود الإدراكية والمعرفية هي التي تحدّد تكوين الافتراضات"²، إذن فالمعارف المحيطة بالمتكلم هي التي تبني الافتراضات، ومن يدرك البيئة الإدراكية والعرفانية للشخص معيّن، يستطيع أن يستدلّ على الافتراضات التي يحتمل أن يفترضها ذلك الشخص فعلاً³.

أي عند معرفة المتكلم للمتلقّي بشكل جيد يسهل عليه استنباط الافتراضات، فمثلاً لما يلتقي شخص (متكلم) مع شخص آخر (متلقّي) ويسأله كيف حال أولادك وعائلتك، فهذا المتكلم يفترض بأن المتلقّي لديه زوجة وأولاد من خلال معلوماته المخزنة والمدسوسة.

*إن الكفاءة التداولية التواصلية هي الكفاءة التي تشكل مجموعة من المعارف التي يملكها المتكلم المتفاعل.

كيربرات كاترين أوركيوني ، المضمّر، ص343.

1- المرجع نفسه، ص 69.

2-سبربر دان وويلسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، ص129.

3- المرجع نفسه، ص 93.

ومن هنا يعرفان البيئة الإدراكية¹ على أنها مجموعة من الافتراضات التي بمقدور الشخص أن يتصورها أو يمثلها عقليا ويركبها ويعالجها من دون غيرها¹. فمن طريق القولين اتضح لنا أن سبربر وويلسن يريان أن معرفة البيئة الإدراكية مهمة جدا للوصول إلى الافتراضات، فعلى الشخص أن يعرفها ليستطيع تمحورها وتمثيلها في ذاكرته ويعالجها.

أعطى سبربر وويلسن للافتراضات تسمية أخرى وهي الافتراضات الحقيقية وربطها بالثقة ففي قولهما: "حين تكون الافتراضات الأكثر ثقة هي تلك الأكثر احتمالا للصدق، فإننا سننزع إلى اختيار الافتراضات الصحيحة والسلوك الصحيح، وبتعبير آخر فإن كفاءة تمثيلاتنا للعالم لا تعتمد فقط على الافتراضات التي تقوم بها، ولكن على درجة ثقتنا بها أيضا: أي إن التمثيل الواقعي هو ذلك الذي يوجد فيه توافق جيد بين الافتراضات التي نعدّها مؤكدة وتلك التي تكون مؤكدة فعلا، وفي الإمكان تحسين تمثيلنا للعالم ليس بإضافة افتراضات جديدة مسوغة فحسب، وإنما أيضا برفع أو بخفض درجة ثقتنا بها، أي درجة تأكيدها أو تثبيتها"²، لتكون الافتراضات صادقة ثقتنا بها أكبر لنؤكد ونثبت هذه الافتراضات.

توصلنا من خلال قراءتنا إلى أنّ كلّ خطاب سواء أكان كتابيا أو شفويا يحتوي على افتراضات، فلا يوجد خطاب بدون افتراضات؛ لكن كل خطاب ومستوى افتراضاته بحسب جنسه ونوعه.

ويشير الباحثان سبربر وولسون أيضا إلى أنّ هذه "الافتراضات الحقيقية مكونة من تمثيل واحد فقط، وقوة الافتراض هي نتيجة لتاريخ معالجته، أي تكون قوة

¹ - سبربر دان وويلسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، ص 93.

² - المرجع نفسه، ص 141.

الافتراضات صفة شبيهة بدرجة متحايدة أو سهولة مناله، فالافتراض الأسهل منالا هو الافتراض الأسهل تذكرًا¹. أي أنّ الافتراضات تكون سهلة إذا كانت مخزونة في الذاكرة بطريقة منتظمة، هذا ما يوصلنا إلى استخراج الافتراض بطريقة سهلة ونذكره فمثلا أغلبية البشر يعرفون أن القاهرة هي العاصمة الحالية لمصر وطيبة كانت عاصمة مصر في عصر السلالة في القرن العشرين²، فهنا يكون المثال الأول سهل المنال من المثال الثاني لأن كل الناس يعرفون ذلك.

وأنّ كل افتراض "معبر عنه ولكن ليس بصورة صريحة فيعدّ معبرا عنه بصورة ضمنيّة غير صريحة"³، فالافتراضات موجودة في الخطابات إذا لم تكن ظاهرة، نجدها مضمرة وضمنية متوقعة وراء عباءة ذلك الخطاب.

وتستقي الافتراضات من أربعة مصادر أشار إليها كل من دان سبرير وديديري ولسون في كتابهما نظرية الصلة والمناسبة وهي: "الإدراك الحي، وفك التشفير اللغوي، والافتراضات ومخططات الافتراضات المخزونة في الذاكرة، وأخيرا الاستنباط"⁴، بمعنى أن الافتراضات تتكون وتبنى من هذه المصادر الأربعة، فلما نقول مثلا جرس الباب يدق فهنا أولا ندركها حسيا وذلك من خلال حاسة السمع ثم نحلّل هذه العبارة لغويا ثم نفترض عنطريق الذاكرة التّصوريّة التي هي مخزن هائل من الافتراضات، ونحن نفترض أن الذاكرة أيضا تحتوي مخططات افتراضيّة وفي الأخير يمكن إنتاج هذه الافتراضات.

¹ - سبرير دان وويلسون ديديري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، ص 142.

² - المرجع نفسه، ص 142.

³ - المرجع نفسه، ص 311.

⁴ - المرجع نفسه، ص 149.

وتشير أوركيني أن **للافتراضات** فائدة هي: "أنها تشكل بالنسبة إلى الخطاب نوعاً من أنواع قواعد البناء التي تبني عليها المحتويات المقررة، ولأنها تؤمن بفضل الغطاء الافتراضي تماسك الخطاب واطنابه الداخليين، ولأن تكون على مستوى تفاعلي أوسع، نوعاً من اللحمة الاجتماعية أي منطقة من التوافق بين المتكلمين المتفاعلين"¹، يعني الافتراضات لها فائدة في بناء الخطاب وتماسكه بين المتكلمين المخاطب والمخاطب.

2-1-1- أنواع الافتراضات:

تحدث جورج يول في كتابه التداولية عن أنواع الافتراضات: ففي البداية قدم لنا الافتراض المسبق الواقعي، إذ يتوصل بنا إلى المفهوم عن طريق المثال التالي يعلم الجميع أن جون شاذ جنسياً، ففي هذا المثال يرد الفعل "يعلم" في البنية، هذا المثال يمثل الافتراض المسبق، "ويمكن معاملة المعلومة الافتراضية المسبقة التي تلي فعلاً مثل "يعلم" على أنها حقيقة وتسمى الافتراض المسبق الواقعي Factive Presupposition"²، أي أن الافتراض يؤخذ باستعمال تعبير معين على أنه يفترض مسبقاً صحة المعلومة أي تكون حقيقة، فمثلاً لما نقول لم أدرِ أنها كانت متزوجة فمن التعبير ندرك أنها كانت متزوجة واقعياً.

ثم انتقل بنا إلى الافتراضات المسبقة المعجمية Lexical Presupposition هذا النوع من الافتراضات يرتبط بالكلمات وعبارات معينة أي الصيغ اللغوية، قسم جورج يول هذا النوع من الافتراضات إلى "معنى مؤكد ومعنى غير مؤكد، فعندما نفسر استعمال صيغة بمعناها المؤكد عادة بالافتراض المسبق معنى آخر غير مؤكد

¹ - كيريرات كاترين أوركيني، المضمّر، ص 57.

² - يول جورج، التداولية، ص 54.

قد تم فهمه¹، فمثلا لما نذكر أن شخصا تمكن من إنجاز شيء ما، يصبح المعنى المؤكد أن ذلك الشخص نجح بطريقة ما، وعندما نقول: إن شخصا لم يستطع التمكن من إنجاز شيء ما يكون المعنى المؤكد لم ينجح ذلك الشخص، لكن في كلا القولين ثمة افتراض مسبق "غير مؤكد" أن ذلك الشخص حاول القيام بذلك الشيء، لذا يمكن تفسير ذلك على أنه نجح وتفترض مسبقا حاول² فمثلا في المثال الآتي لما يقول:

أقلع بيتر عن التدخين، فهذا المثال يتضمن مفردة معجمية "أقلع" مع افتراضاتها المسبقة التي تشير أن بيتر كان مدخنا.

إضافة إلى هذا النوع من الافتراضات المسبقة يوجد أيضا الافتراضات المسبقة البنيوية Structural Presupposition، في هذه الحال تحلل بعض الجمل عرفيا وبانتظام على أنها تفترض مسبقا ذلك الجزء من البنية التي افترضت صحته، ويمكننا القول إن بإمكان المتكلمين استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنها مفترضة مسبقا³، أي مفترضة على أنها صحيحة ويتقبلها المستمعون على أنها صحيحة، فمثلا لما نقول: متى انصرفت؟ فهنا هذه المعلومة موجودة صحيحة أنه انصرف أي كان موجودا، فلا يمكن قولها لشخص لم يكن أصلا موجودا ثم انصرف.

هناك افتراض آخر تحدث عنه جورج يول وهو ماسماه الافتراض المسبق غير الواقعي وهو الافتراض "الذي يفترض عدم صحته، يعني أنها الافتراضات غير

¹ - يول جورج، التداولية، ص 55.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

³ - المرجع نفسه، ص 56.

الصحيحة، والذي يمكننا التعرف عليها من خلال بعض الأفعال مثل يحلم ويتصور ويتظاهر...¹، فمثلا لما نقول: حلمت إني أعمل، يعني لست عاملا.

ويمكننا القول إنّ أنواع الافتراضات المسبقة لديها مؤشرات للتعرف عليها، إلا أنّجميعها تصب ضمن أن لا نتفوه بأيّ كلمة قبل أن نفترض وتكون لدينا كفاءة موسوعيّة توصلنا إلى هذا الافتراض.

2-1-2- علاقة الافتراضات بالسياق حسب ويلسن وسبربر:

ربط ويلسن وسبربر الافتراضات بالسياق من خلال مبدأهما الصلة والمناسبة حيث يعرفان الصلة "بوصفها علاقة بين الافتراض والسياق"²

وفي كثير من أدبيات الموضوع يسلم الكتاب بصورة صريحة أو ضمنيّة عموما بأن السياق يتحدد مسبقا قبل عملية الاستيعاب والفهم، وهم يرون أن الافتراض الذي تعبر عنه القولة بصراحة، يتحد مع سياق موجود في ذهن المستمع ساعة البدء بفعل القول أو النطق، إن أبسط نسخة من هذا المذهب، هي الفرضية التي تقيد السياق الخاص باستيعاب قولة معيّنة هو مجموعة الافتراضات المعبر عنها في القولات السابقة لها في الحوار أو الخطاب نفسه"³

وإن السياق بحسب رؤيتهما يتحدّد قبل فهم العبارة، كما أنهما يريان أن الافتراض يتحد مع السياق في ذهن المتلقّي عند بداية فعل القول أو الكلام، كما أن السياق لما يستوعب قولة، فتلك القولة يستنبطها من الافتراضات السابقة، فمثلا لما يقول بيتر: أنا متعب، وتقول ميري: إذا كنت متعبا، فأنا سأسوق السيارة عنك، فهنا ميري فهمت

¹ - يول جورج، التداولية، ص 57.

² - سبربر دان وويلسون ديدري، نظرية الصلة والمناسبة "في التواصل والادراك"، ص 219.

³ - المرجع نفسه، ص 243.

ما يقصده بيتر من كلامه هذا كان جواب ميري مناسباً وإذا صلة بصورة بديهية، ففي سياق الخطاب الذي يختزن الافتراضات التي عبر عنها بيتر أنها تستلزم الافتراض الذي عبرت عنه ميري.

كما أنّ السياق الخاص باستيعاب قولة ما " يتكون من الافتراضات المعبر عنها أو الملوح بها في القولات السابقة، فضلاً عن الأبواب الموسوعية* المرتبطة بأية مفاهيم مستعملة في الافتراضات الموجودة في الأبواب الموسوعية المضافة"¹، أي كما قلنا في متن هذه الرسالة إنّ السياق يتكون من الافتراضات السابقة، فضلاً عن ذلك الاستناد إلى الكفاءات الموسوعية* الموجودة في المخزون الذهني، وتطرقاً أيضاً إلى أنّ السياق "يتألف من الافتراضات المعبر عنها صراحة في الخطاب السابق أو الافتراضات المعبر عنها والملوح بها سابقاً"².

فمما سبق نستنتج أن سبربر وويلسن وسعا علاقة الافتراض بالسياق، إذ أنّهما يلحظان أنه ليس هناك سياقات من دون افتراضات فهما مكملان لبعضهما بعضاً. ويمكننا القول إن أوركيني تخالف سبربر وويلسن في رؤيتها للافتراضات وعلاقتها بالسياق، ترى بأن الافتراضات تكون من حيث المبدأ منعدمة السياق، أما

* يقصد بالأبواب الموسوعية الكفاءة الموسوعية لدى المتكلم والمتلقّي.

¹ - سبربر دان وويلسون ديدري، نظرية الصلة والمناسبة "في التواصل والإدراك"، ص 239.

* إن الكفاءة الموسوعية: تمثل باعتبارها خزاناً رحباً يضم معلومات خارجية وتعبيرية أدائية تتناول السياق، وباعتبارها مجموعة معارف ومعتقدات، ونظام تمثيلات العالم المرجعي وتأويلاته وتقويماته. كيريبيرات كاترين

أوركيني، المضمّر، ص 285.

² - المرجع نفسه، ص 236.

سبرير وويلسن يريان أن هناك علاقة وطيدة بين الافتراضات والسّياقات، فكلّ منظر له وجهة نظر متعلقة به.

2-2- المضمنات محتوى المضمّر :

تعدّ المضمنات النّمط الثّاني من محتويات المضمّر، وقد تعدّدت تعاريفها وتتنوع بتنوع مدارج الباحثين الغربيين كأوركيوني، وجورج يول.

ونشير إلى أنّ هذا المصطلح قد انتقل إلى الكتب النّقديّة التّداولية العربيّة، وأصبح حاضرا في أعمال الباحث مسعود صحراوي ومحمد ناصر العجمي وآخرين.

ووقفت الباحثة أوركيوني كيربرات عند مفهوم المضمنات وقفة مطولة، وأولتها أهميّة واضحة، تقول: "إنّ طبقة المضمنات تضم كلّ المعلومات القابلة للنقل عبر قول معيّن والتي يبقى تفعيلها خاضعا لبعض خاصيات السّياق التّعبيري الأدائي"¹،

كما تنتج المضمنات "جاء فعل مشترك بين العوامل الدّاخلية والخارجيّة، في حين يضطلع السّياق أو السّياق الحالي للنص بدور ايجابي هذه المرة في عملية إيلاد

المحتوى المضمّر"².

فمن خلال هذين القولين نصل إلى أنّ المضمنات لها علاقة وثيقة بالسّياق وبالتّأويل لفك شفرات المضمن ويجب التّمتع بالكفاءة الألسنيّة اللّغوية للتّأويل وفك التّرميز.

وتتميز المضمنات "بعدم الثّبات، وعليه يمكننا كشف النّقاب عن المضمنات بفضل اختبار القدرة على الحذف أي الإلغاء وإبطال التّأثير الذي يلجأ إليه غرايس

¹ - كيربرات كاترين أوركيوني، المضمّر ، ص74.

² المرجع نفسه، ص50.

بهدف تحديد العلاقات التضمنية التحدثية¹، توضح أوركيوني أن المضمنات تتغير، وللوصول إليها يجب إلغاء التأثير بين المشاركين لتحديد مبدأ التعاون والمبادئ الثانوية التي جاء بها غرايس.

ويرى محمد ناصر العجمي في كتابه "المشهد الآخر في كتابة الذات" عن المضمن أنه: "ألصق بالسياق وأدعى إلى التفسير المخصوص من قبل المتلفظ والتواطؤ من قبل المتلقي المدعو إلى إجراء عمل اقتضائي تأويلي استنادا إلى السياق ومعطيات أخرى مصاحبة الملفوظ من قبيل الحركات والأوضاع الجسدية والتتغيم الصوتي بمختلف مظاهره لاستقراء خلفيات الخطاب المضمنة".²

قدّم محمد ناصر العجمي انطلاقا من قراءاته في المجال التداولي صياغة تقترب في مضمونها مما قدمته أوركيوني؛ حيث ربط بين المضمن له والسياق والتأويل الذي يتوصل إليه المتلقي من الاشارات والحركات للوصول إلى المضمنات أو الضمنيات. وقد أورد بعض المنظرين مصطلح التضمنين خلافا لمصطلح المضمن منهم جورج يول، الذي انطلق من مثال ليوصلنا إلى التضمنيات إذ قال: "عندما تسمع المستمعة التعبير في قول همبركر همبركر، عليها أولا أن تفترض أن المتكلّمة متعاونة معها وأنها تنوي إيصال شيء ما. يجب أن يفوق ذلك الشيء مجرد ما تعنيه الكلمات بحد ذاتها: إنه معنى موصل إضافي، ويسمى تضمينا implicateur"³.

¹ - كيريرات كاترين أوركيوني، المضمّر، ص 75.

² - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتنين لإدوارد الخراط"، ص 84.

³ - يول جورج، التداولية، ص 66.

ربط "جورج يول" التّضمين بمبدأ التّعاون¹ الذي جاء به غرايس، إذ يجب أن يكون هناك تعاون بين المخاطب والمخاطب للوصول إلى المضمّن، فمن هذا المثال المتكلّمة لما قالت: همبركر همبركر يجب على المستمعة أن تكون قادرة على الوصول للتّضمين المقصود في هذا السّياق استنادا إلى ما هو ظاهر، ويتضح ذلك من قوله: "تمثل التّضمينات أمثلة ابتدائية للأكثر الذي يتم ايصاله دون قوله، ولكن لغرض تفسير تلك التّضمينات يجب افتراض عمل مبدأ تعاوني أساس²، أي أنّ المتكلّم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر يصل إليها لمتلقي من خلال التّضمينات التي نستدل عليها عن طريق المحتويات البنية،* ولتحليل هذه التّضمينات يُشترط مبدأ التّعاون بين أطراف الخطاب.

نستنتج ممّا سبق أنّ هناك علاقة بين مصطلحي المضمّن والتّضمين implicateur، فكلاهما تلصق بسياق العبارة والوصول إليها عن طريق الظاهر بعد تأويله والغوص في ثناياه، ويعد مصطلح "الضمّني" ثالث أبرز المصطلحات التي تعدّ إبدالا لمفهوم المضمّن عند بعض الباحثين منهم "سيرل" الذي يعرف الضمّني بشكل أكثر وضوحا "باعتباره الشرط السّياقي لنجاح عمل لغوي"³، يعتبر سيرل الضمّني شرطا أساسيا مدرجا في السّياق لنجاح أي عمل كلامي، فكلّ

* مبدأ التّعاون (Principe de cooperation) جاء به غرايس مفاده "لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما

يتطلبه منك في مرحلة حصولها، الغاية أو الهدف أو الاتجاه المقبول من المحادثة التي تشارك فيها

² - يول جورج، التّداولية، ص 66.

* محتويات البنية: هي المحتويات الظاهرة في النّص كالقرائن اللّغوية.

³ - بلانشيه فليب، التّداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1،

2007، ص 146.

قول نتوصل إلى ضمنه يؤدي إلى فعل، ويكون الأساس فيه إنجاح عملية التّواصل بين المشاركين.

وقسم أوستين ظاهرة الضمني إلى: "ما يؤدي إليه، وما يفهم منه، وما يقتضيه"¹، هناك علاقة بين القولين فكلاهما ينظران إلى الضمني أنّه يفهم من القول؛ لكن سيرل لا يسميه "ضمنيا" وإنّما يسميه "مفهوما"، بيد أنّ هذه الكلمة هي ما يسميه أوستين "ما يفهم منه".

ويتحدث مسعود صحراوي عن المعاني الضمنية: "وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتّوجه إليها."²، نلاحظ أنّ مسعود صحراوي استخدم المفهوم نفسه لمعنى الضمني الذي قدمه "أوستين وسيرل"، مع التأكيد على السّياق فمن دونه لا نتوصل إلى المضمّنات ولا نفهم قصد المتكلّم ومعناه الصحيح.

كما ترى الباحثة نجوى بن عامر: "بأن البحث عن الضمني فيما يدركه المتقبل من معان ضمنية في المقام الذي أنجز فيه"³،

¹ - بلانشيه فليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 145.

² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب "دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، ص 35.

³ - بن عامر نجوى، الضمني في القول "بحث في أسسه النّحوية والتداولية"، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2021، ص 53.

نستنتج مما سبق حضور تعدّد لافِت لمصطلحات المضمن إلى ضمّني وتضمين*، ويعود هذا الاهتمام الذي ولده الباحثون لهذا المصطلح فكل باحث ترجمة المصطلح حسب وجهة نظره وقام بتعريفه ما أدى إلى كثرة المصطلحات في الدرس النقدي التداولي العربي والغربي على حد سواء، إلا أنّنا نستطيع القول بأنّها متداخلة فيما بينها وتصب في مفهوم واحد هي أنّ المضمنات هي معلومات خفية نستدل عليها عن طريق السياق والتأويل لفك شفراتها وترميزها للوصول إلى معناها الأصلي المتخفي وراء المحتويات البينة المباشرة والصريحة.

2-2-1-أنوع المضمنات:

ميّز غرايس بين نوعين من المعاني الضمنية: "الضمّني المتواضع عليها أو المعجمي والضمّني غير المتواضع عليه أو الضمّني المحادثي"¹، فالنوع الأول الضمّني المتواضع عليه أو المعجمي "يستند إلى دلالة المفردات المتواضع عليها لتشكّل الصيغ، ويتجلّى ذلك في المعينات الخطابية التّحادثية والداعية إلى استنتاج

*إن مصطلح المضمنات متعدد التسميات، وذلك لاختلاف الترجمات هناك من ترجمة implicature أو implicite إلى العربية بالتضمين وهذا نجده في كتاب جورج يول، التداولية، وهناك من ترجمه إلى الضمني ونجد ذلك في كتاب سيرل، القصدية، وهناك من ترجم Enchassement إلى العربية بالتضمين ما نجده في كتاب فليب بلانشيه، وهناك من ترجمة مصطلح implicite إلى العربية بالمضمنات والمضمّر مثل أوركيني وهناك من ترجمه بالاستلزام التخاطبي مثل مسعود صحرابي وترجمة كتاب فليب بلانشيه وهناك من ترجم الاستلزام ب entailment وهناك من ترجمة sous- entendu إلى العربية بالمضمنات والمضمّر مثل أوركيني. وفليب بلانشيه، وفي الأخير يمكننا القول بأن هناك اختلاف كبير في ترجمة المصطلحات من الفرنسية إلى العربية، فكل يترجم حسب وجهة نظر.

¹ - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتنين لإدوارد الخراط"، ص 74.

مفترضات ضمنيّة من الملفوظ بطريقة شبه آليّة¹، فهذا النوع ينظر إلى المؤشرات اللّغوية فقط من خلال المحادثات الخطابيّة بين المخاطب والمخاطب بصرف النظر عن حافة السّياق طريق استنباط المفترضات من هذا الخطاب بحسب الملفوظ، مثلاً حين نقول: "محمد غني، لكنه مبذر" نستخلص من القولة أنّ التّبذير قيمة سالبة حتى لمن يمتلك المال فإن بذر بعض ماله لغير حاجة فيعد مبذراً.

أما الضّمني غير المتواضع عليه، فقسمه غرايس إلى قسمين "الضّمني المحادثي والضّمني المحادثي العام المنتظم: المنتظم في تقاليد التعبير والبيان الدلالة بمجرد إرسال الملفوظ، وبصرف النظر عن السّياق، ويناظر وضعه ما يعرف عند سيرل الأفعال بالقول غير المباشرة المتواضع عليها".²، فملفوظ: هل بإمكانك إغلاق النافذة؟ يدخل هذا في حكم الطلب على الرغم من أنه سؤال، نفهم ضمناً أنّ الغرض من السؤال هو الطلب.

ويطلق على النوع الثّاني "تسمية الضّمني المحادثي المخصوص، ويفترض لفهم المقصود به استقرار الظروف الحافة بعملية التّلفّظ، فالقول إنّ الغرفة باردة يفهم منه بحسب السّياق، التعبير عن الرغبة في أن تغلق النافذة، أو مجرد وصف وضع قائم، وكلما ازدادت خصوصيّة الضّمني اقتضى الأمر معرفة أجود بالسّياق ليبين ما يقصد بهذا الملفوظ تأدية هذا الغرض أو ذاك"³، فالفرق بينهما أنّ النوع الأول لا يهتم بالسّياق، والنّوع الثّاني يهتم بظروف التّلفّظ التي هي السّياق، وكلما تعرفنا على الضّمني كانت معرفتنا بالسّياق أحسن وأجود ووصلنا إلى فهم المقصود من القول.

¹ - المرجع نفسه، ص 74.

² - العجيمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتّنين لإدوارد الخراط"، ص 74.

³ - المرجع نفسه، ص 75.

وتطرّق "جورج يول" في كتابه الدبلوماسية إلى تعدّد أنواع التّضمينات كما يسميها وهي كالآتي:

فالنّوع الأول معنون "التّضمين التّحادي"، يرى أنّ "المشاركين ملتزمون بالمبدأ التّعاوني والمبادئ الثّانوية التي جاء بها غرايس"¹.

وما يلاحظه جورج يول " أن المتكلّمين هم الذين يوصلون المعنى عبر التّضمينات، وإنّ المستمعين هم الذين يتعرفون على هذه المعاني الموصولة عبر الاستدلال"².

وبناء على هذا يمكننا القول إنّ هذا النّوع من التّضمين يقوم بالدرجة الأولى على المخاطب والمتلقي اللذين يعدّان مساعدين لبعضهما البعض للوصول إلى التّضمين، فالمتكلّم يعطي قولاً والمستمع يحلّل القول ويستدلّ عليه وفق معارف سابقة مشتركة بين المتخاطبين.

أما النّوع الثاني فيسمى بالتّضمينات المتدرجة "يقصد بها إيصال بعض المعلومات عن طريق اختيار كلمة تعبر عن قيمة واحدة من بين تدرج القيم"³، ويتضح هذا الأمر في المصطلحات التي تستعمل للتعبير عن الكم ك (كل ومعظم وبعض وقليل.....إلخ) وهذا ما ينطبق على الخصوص والعموم كما تنتظم هذه المصطلحات في تدرج من أكثرها إلى أقلها قيمة، فالمتكلّم لمّا يتكلّم يبحث عن اللفظ ويختار الكلمة من التدرج الأكثر أخباراً ومصادقية كما ونوعاً بحسب الظروف المحيطة.

¹ - يول جورج، الدبلوماسية، ص 71.

² - المرجع نفسه، ص 71.

³ - المرجع نفسه، ص 73.

إنّ أساس التّضمين المتدرج Scalar Implicature هو أنه: "عند ثبوت أيّة صيغة في التّدرج يتم تضمين نفي كل الصيغ الأعلى في التّدرج"¹، فمثلا في الكلمات: "كل ومعظم وكثير" كلّها لها دلالة أكثر من "بعض" وإذا أخذنا باعتبار التّضمين المدرج، فيجب أن يحصل كالآتي عند قوله: "بعضا عن المقررات المطلوبة، ينشئ المتكلم تضمينات أخرى المندرجة...."².

وتحدث «جورج يول» عن نوع آخر من أنواع التّضمينات باعتباره من أهم التّضمينات وهي "التّضمينات التّحادثية المخصصة لها علاقة وطيدة بالسياقات المحدّدة يفترض فيها استدلالات معروفة محليا"³، فهذه الاستدلالات تفهم معانيها الموصلة المتأنيّة من هذه التّضمينات، كما تسمى التّضمينات التّحادثية المخصصة عادة "بالتّضمينات" لأن جورج يول يعتبرها أكثر أنواع التّضمينات شيوعا.

وكما يبدو في هذا المثال:

آن: إلى أين تذهب مع أمك؟

سام: إلى أ-ل-ط-ب-ي-ب

هنا يجب أن يحدّد السياق المحلي للمتخاطبين، فمن قول سام الكلمة بالإطالة والتفصيل، نفهم مضمنا أننا نعرف ماذا يحدث عند الطبيب ولا تريد الذهاب إليه، أي سام مضمنا لا يريد الأم أن تعرف جوابا للسؤال المطروح، إنّ التّضمينات توصلنا إلى المعنى الضمني المضمر الذي يفهمه المتلقي من كلام المتكلم أو القارئ.

¹ - ارجع نفسه، ص 73.

² - يول جورج، التّداولية، ص 73.

³ - المرجع نفسه، ص 75.

2-3- المضمنات مقابل الافتراضات:

بعدما قمنا بتحديدات للمضمنات والافتراضات، لاحظنا وجود اختلافات وتقاطعات بينهما، ما دفعنا إلى طرح السؤال التالي: أين يختلفان هذان المحتويان ويتقاطعان؟

سنتحدث عن التّقاطعات الموجودة بينهما لدى "أوركيني" التي اهتمت بهذين المصطلحين في كتابها المضمر، إذ تعدّ أوركيني الافتراضات والمضمنات يتشاطران الخاصية نفسها وهي: أنّها لا تشكّل من حيث المبدأ موضوع الكلام الحقيقي، في حين تتلاءم المحتويات البينة، من حيث المبدأ أيضا وموضوع الخطاب الكلامي الأساسي الواجب نقله، كما أنّها تكون مزودة هذه المرة بأكثر قدر من الملاءمة التّواصلية على رأي بوسنر¹.

وتعدّ أيضا الافتراضات والمضمنات "بمثابة معلومات مدسوسة خفية، أي أنّها تكون مزودة بملاءمة تواصلية أقل شأنًا من تلك التي تتمتع بها المعلومات البينة، كما أنّها تحتل مركزا أدنى مرتبة داخل البينة الرقائقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي²".

فمن هذين القولين نتوصل بأنّ الافتراضات والمضمنات التي تعدّ أقوالا مبطنة ومضمرة، وتتكون من مبدأ الخطاب الذي طوره كلّ سبربر وويلسن وهو مبدأ الملاءمة

¹ - كيريرات كاترين أوركيني، المضمر، ص 42.

² - المرجع نفسه، ص 45.

أو المناسبة ولكنه أقل شأنًا من الأقوال والمعارف البينية، بمعنى أن المعلومات البينة تتمتع بشأن أكبر من المعلومات الخفية.

في مقابل التماثل الموجود بين هذين المصطلحين، هناك تباينات واختلافات، إذ يرى محمد ناصر العجمي أنّهما يميز بينهما "أنّ المفترض يظل ثابتًا على حاله متى حولت صياغة الملفوظ من التقرير إلى النفي والاستفهام فيما لا يحتمل المضمن هذا التغيير ولا يثبت له"¹، بمعنى أنّ **المفترض** يتميز بالثبات مهما تغير سياق الجملة يبقى الافتراض ثابت، أما **المضمن** يتميز بالتغيير أي رغم الملفوظ نفسه إلا أنّه يتغير بحسب السياق، فمثلا المفترض الرئيسي بالنسبة إلى الصياغات الثلاث التالية: "محمد انتهى إلى إقناعك، ومحمد لم ينته إلى إقناعك، وهل انتهى محمد إلى إقناعك؟"، هنا رغم تغيير الصياغة يبقى المفترض ثابتًا، لكن المضمن لم يثبت على موقفه فقد نفهم من خلال السياق أنك ضعيف الشخصية مثلا.

ويقول محمد ناصر العجمي إنّ المفترض "سابق لعملية التلفظ غير مرتين بها فيما يتمتع إدراك الدلالات المضمنة خارج هذه العملية وقبل تأديتها، ويفترض ذلك أسبقية المفترض للمضمن، ووجوب استخلاصه قبل البحث عما يندسفي الخطاب من مضمن أو من خلفيات دلالة مضمرة أخرى كالإشارة من طرف خفي، لذا اعتبر المضمن عنده مكونا بلاغيا، في ما يعالج المفترض باعتباره مكونا لسانيا"²، ونلاحظ أنّ **المفترض** سابق للتلفظ كما يكون أسبق للمضمن ووجوب استنباطه قبل البحث في الخطاب من خلفيات مضمرة ومضمنة.

¹ - العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات، ص84.

² - المرجع نفسه، ص84.

ونذكرت أوركيوني في كتابها مجموعة من الاختلافات بين المصطلحين، إذ تقول:
" من المفترض أن تتطابق المحتويات المصوغة على شكل افتراضات مع حقائق
معروفة سلفاً ومقبولة من قبل المرسل إليه، كأن تكون مستمدة مثلاً من المعرفة
الموسوعية الخاصة، لخلاف المحتويات المقررة والمضمنات التي تشكّل معلومات
جديدة فتكون بالتالي قابلة للنقاش على نطاق واسع"¹، بمعنى أن الافتراضات حقائق
معروفة، إلا أنّ المضمنات معلومات جديدة يكتسبها المرسل إليه.

وتذكر كذلك أنّ فك ترميز الافتراضات يكون بفضل الكفاءة الألسنية اللغوية
وحدها، في حين يتطلب فك ترميز المضمنات بالإضافة إلى تلك الكفاءة تدخل الكفاءة
الموسوعية التي يتمتع بها المتكلمون²، يشترط في المخاطب أن يكون مسلحاً ببعض
الكفاءات الموسوعية والمنطقية والتداولية للوصول إلى الافتراضات والمضمنات.

وقد أورد مسعود صحراوي أيضاً الفرق بينهما: " فالمضمن وليد السياق الكلامي،
والافتراض وليد ملابسات الخطاب"³، وهذا يشبه كثيراً ما جاءت به أوركيوني، التي
توصّلت من خلال دراستها إلى المضمنات والافتراضات إلى "أنّ التّعبير المكتوبة أقل
غنى بالمعاني المضمرة من التّعبير الشّفهية"⁴، لذا نستطيع القول بأنّ النصّ الأدبي
لا تظهر فيه الإيماءات والحركات خلافاً للأقوال التي يظهر فيها الضحك وتظهر فيها
النّبرات الصوتية.

¹ - كيريرات كاترين أوركيوني، المضمّر، ص 56.

² - المرجع نفسه، ص 78.

³ - صحراوي مسعود، التداولية عند العرب، ص 40.

⁴ - كيريرات كاترين أوركيوني، المضمّر، ص 33.

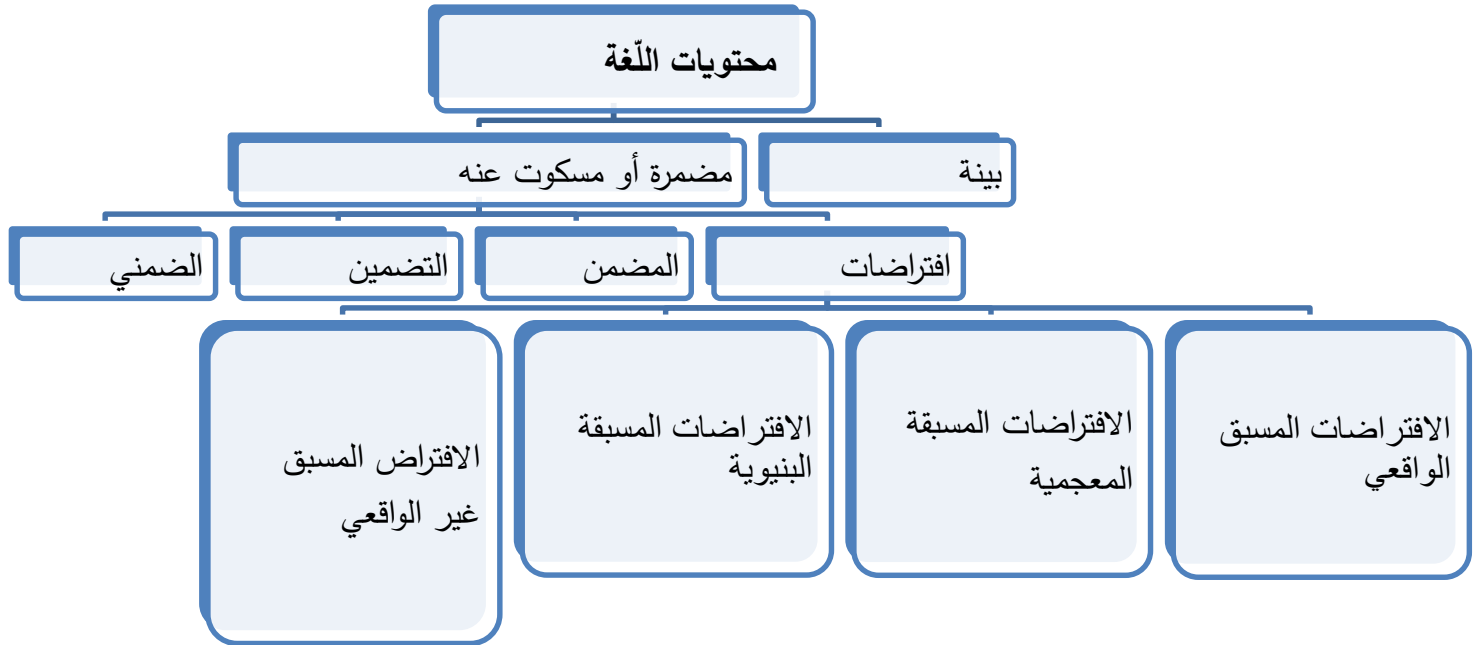
ولاحظ فيليب بلانشنيه عكس ما لاحظته أوركيوني فهو يرى أنّ "أي تواصل يكون تصريحياً بشكل جزئي أيضاً، وكل دلالة تنشأ في قسم منها معطيات ضمنية، وغالباً ما يبدو في الواقع نصيب ضمنيّ أوفر من نصيب تصريحى بما في ذلك، في المستوى البسيط للمعنى الحرفي لأن الضمني موجود حيثما نظرت سواء يتعلق الأمر بالمعنى الحرفي أو بالقيمة اللاقولية وبالأعمال غير المباشرة..."¹

ترى أوركيوني أنّ الخطابات المكتوبة أقل غنى بالمسكوت عنه والمضمّر من الخطابات الشفهية، أما فيليب بلانشنيه يرى أن المعطيات الضمنية لها نصيب أوفر من المعاني من النصيب التصريحي.

ويمكننا القول إن محتويات المسكوت عنه لقت رواجاً واهتماماً كبيراً في الدرس التداولي عند الكثير من الدارسين وكان لها نصيب وافر من الدراسات، كما ترى أوركيوني أنّ لاستخراج المضمّر يجب أن يكون هناك عملاً تأويلياً، من هنا يمكننا الحديث عن آلية مهمة تساعدنا على اكتشاف المضمّر في الخطابات الأدبية وهي "الحساب التأويلي"، لذا سنتطرق في المبحث الرابع إلى هذه الاستراتيجية.

ويمكننا أن نجمل ما جاء في هذا المبحث في مخطط، يشمل كلّ المعارف والمعلومات التي تم تناولها:

¹ - بلا نشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 144.



كل مصطلحات التضمين
و...متداخلة فيما بينها وتصب
في مفهوم واحد، أنّها معلومات
خفية نتوصل إليها عن طريق
السياق

كل هذه الافتراضات تنصب في مفهوم
واحد هو أن لا يمكننا التّخاطب بأي لفظ
أو الكلمة قبل أن نتطرق إلى المعلومات
المخزنة أو المدسوسة في الدّهن أي
نفترضها مسبقاً

في الأخير نستنتج أن هناك علاقة بين الافتراض والمضمن على أنهما عناصر من
المسكوت عنه والمضمر

المبحث الرابع:

*التأويل التداولي

أ- كفاءات المؤول

ب- وسائل التأويل التداولي

1- التّأويل التّداولي:

تسعى التّداولية للوصول إلى المعاني غير المباشرة التي قصدها المتكلّم في النّص. ولكن كيف يتوصل المخاطب إلى معنى المتكلّم في النّص ضمن التّداولية؟ ظهر مصطلح التّأويل التّداولي في عدة دراسات حديثة، باحثاً في أعماق النّص عن المعاني والمقاصد المسكوت عنها والمضمرة.

سنبداً بحثنا من كتاب "القارئ في الحكاية" لإمبرتو إيكو، الذي يرى أنّ التّأويل هو "العملية التي يباشرها القارئ للتدقيق في المعاني والتّوفيق بين ظاهر النّص وباطنه".¹، يعني أنّ التّأويل هو الشرط الأساسي الذي يعتمد عليه القارئ لمعرفة المعاني المباشرة وغير المباشرة.

وربط إمبرتو إيكو التّأويل بالعوامل التّداولية "فعند تأويل أي نص، إنما يعزي وبشكل أساسي إلى عوامل تداولية"²، أي بمعنى لتأويل نص أو خطاب يجب أن يؤول تداولياً، يؤول وفقاً للسياق والظّروف المحيطة بالنّص والافتراضات...، كما أنّ كلّ نص يخلق لغاية أو هدف أو لإيصال قصد معيّن.

ويعدّ التّأويل التّداولي "عمليات ذهنيّة يعتمد عليها المتلقّي من أجل فهم البيئة الضمنيّة وتجاوز المعنى السّطحي المباشر للكلام المنطوق إلى المسكوت عنه في الخطاب، وما الذي يقصده المتكلّم"³، فالتّأويل التّداولي يتجاوز المعنى السّطحي

¹ - إيكو إمبرتو، القارئ في الحكاية، ص 315.

² - المرجع نفسه، ص 16.

³ - ينظر: بريك محروس، التّأويل التّداولي التّداولية في كتاب سيوييه، كتاب مؤتمر الدّولي السّادس لقسم النحو

والصرف سيوييه إمام العرب، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص 1044.

وصولاً إلى المعنى المضمرة المؤول للوصول إلى ما يقصده المخاطب أو المؤلف من خطابه.

ويرى «فان ديك» أنّ التّأويل التّداولي أمر تخميني؛ حيث قدم لنا مثالا يقول "عندما أشاهد شخصا يحرك قلما على طرف من ورقة ما؛ حيث أنّ الوجه الأبيض لهذه الورقة يكون في جزء منه قد اختفى بخطوط سوداء، فمن الجائز أن أقول إنّ هذا الشخص يكتب، وهو كاتب وأنه موقع وثيقة ما، وأنه في حال تقدير شراء منزل ما، وأنه بذلك جاعل إمرأته في حال من السعادة وهكذا دواليك..."¹.

إذن ثمة علاقة بين القولين كلاهما يريان أنّ هذا المصطلح يعدّ أمرا ذهنيا فكريا يحتاج إلى تشغيل العقل للتأويل وذلك عن طريق السياق.

وجرى بنا التطرق إلى التعريف «عبد السلام إسماعيلي» الذي يرى أنّ التّأويل التّداولي " لايقوم إلا لأجل تحصيل الفهم وإدراك المقاصد"²، إذ نلجأ إلى التّأويل التّداولي لما يكون هناك غموض والتباس في الخطاب وعدم الوضوح والدقة في الفهم، فمن خلاله نتوصل إلى الفهم والإفهام وتحديد مقاصد النص، ويرى أنّ الحاجة إلى التّأويل التداولي "لما يكون المعنى الفعلي للخطاب ليس صريحا وجليا فيه، بل معقد غامض غير محدود ويتراوح في الخفاء، وهو بذلك لا يدرك إلا بالتبصر"³، إذن، نعود للتأويل التّداولي لما يكون الخطاب غير مفهوم ويحتوي على معاني مضمرة.

¹ - ديك فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 246-247.

² - اسماعيلي عبد السلام، تداوليات التأويل، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي

علوي، عالم الكتب الحديثة، اريد، أردن، ط1، 2014، ص 231.

³ - المرجع نفسه، ص 214.

نلاحظ أنّ «محروس بريك» له الرؤية نفسها التي تبناها «عبد السلام إسماعيلي» حول سبب اللّجوء للتّأويل التّداولي إذ يرى أنّ " السّامع المؤلّ يلجأ إلى التّأويل التّداولي إن لم يكن قصد المتكلّم واضحاً كلياً أو جزئياً بسبب فقد أحد المعايير كالصدق والمطابقة للواقع والإفادة والترابط والوضوح والملاءمة"¹، أي أنّ المتلقي عندما لا يفهم قصد المخاطب يفقد أحد المعايير، حينئذ يلجأ المخاطب إلى التّأويل التّداولي.

وقدّم «وئام الحيزم» في كتابه "تأويل اللفظ والحمل على المعنى" رؤية مقارنة لرؤية «محروس بريك» الذي يرى أنّ اللّجوء إلى التّأويل التّداولي مرتين بغموض الجملة وعدم إيضاحها إذ يقول: "إنّ التّأويل التّداولي هو إدراك المعاني الخفية إنطلاقاً من المعاني الظاهرة بما تحمله النّصوص من غموض ورموز وتتقاضى، ويستدعي التّأويل التّداولي لفك هذه الرموز واستخلاص معانيها المؤولة وراء المعاني الأولى"²، وعلى العكس من ذلك ترى التّداولية العرفانية أنّ اللّجوء إلى التّأويل لا يرتبط بغموض العبارة ويمكن للجملة أن تكون واضحة وتحتاج إلى تأويل.

فالتّأويل التّداولي مثلما ذكرت هو: "عمليات ذهنيّة لرصد القوة الانجازيّة في المعنى غير المباشر اعتماداً على طاقات المستمع (المتلقي) ومكانته اللّسانية والاستدلالية"³، إذن التّأويل التّداولي بناء فكري، فعلى المتلقي أعمال فكره ليصل إلى المعاني غير المباشرة المضمرة.

¹ - بريك محروس، التّأويل التّداولي في كتاب سيبويه، ص 104.

² - الحيزم وئام، تأويل اللفظ والحمل على المعنى، كليّة العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، د.ط، 2009، ص 97-98.

³ - حوير الشمس خالد، التّأويل التّداولي المفهوم والتكوين والتجليات، مقاربات في الآداب والعلوم الانسانية،

ع12، مارس، 2017، ص 31.

ويرى فرانسوا ريكاناتي: "أنّ التّأويل التّداولي يلعب دورا مهما في تحديد مضمون الجملة الملفوظة، كما أنه يملأ الثغرات الموجودة بين السّطور ومن خلاله نجد تحديد مسبق لقيم العبارات غير المحددة دلاليا"¹.

يتفق القول بأنّ التّأويل التّداولي يتجاوز المعنى السطحي المباشر وصولا إلى المعنى المؤول المسكوت عنه الذي يعدّ كفراغات بين سطور النّص، فمثلا لما نقول الجو حار وتكون النّافذة مغلقة، فالسامع يؤول هذه الجملة أن عليه فتح النافذة، فمن قوله: الجو حار الذي يعدّ معنى مباشرا يتجاوزه إلى المعنى المؤول المضمّر إلى فتح النّافذة ويمكن أن يكون القصد هيا لنذهب إلى البحر.

نلاحظ أنّ التّأويل التّداولي يشترط فيه وجود متكّم (مؤلف) ومخاطب (القارئ/المتلقي) يبحث عن الفراغات المتخفي وراء عبارة النّص، وهناك من يعدّ أنّ حصة الأسد تعود إلى المتلقي أو سامع الخطاب بصفته عنصرا فعّالا في التّأويل.

لذا نجد إمبرتو إيكو يقول: "بأنّ أي نص في حالة ظهوره من خلال سطحه اللّساني يمثل سلسلة من الحيل التّعبيرية التي ينبغي أن يفعلها المرسل إليه"²، فقد وضّح في قوله: إن المتلقي هو الذي يُعصد النّص ابتداء من المعنى السطحي وانتهاء إلى الافتراضات التي تقع تحت السّياق للوصول إلى المعنى غير المباشر.

ويبيّن إمبرتو إيكو بأنّ "كلّ البنى الدّلالية والعميقة التي لا يبسطها النّص على السطح فذلك أنّ القارئ يقدرها باعتبارها مفتاحا من أجل تفعيل النّص تفعيلا كاملا"³,

¹ - ينظر: ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، ص 100.

² - إيكو أمبرتو، القارئ في الحكاية "التّعاوض التّأويلي في النّصوص الحكائية"، ص 61.

³ - إيكو أمبرتو، القارئ في الحكاية "التّعاوض التّأويلي في النّصوص الحكائية"، ص 80.

فقارئ النص يعدّ البنية العميقة معاني مضمرة ومسكوت عنها، ومفتاحا من البحث والحفر في آبار النص وصولاً إلى مقاصد النص وحقائقه المهمة.

ويشترط ويلسن وسبرير على المتلقي "أن لا يتعامل مع القول بوصفه حرفياً تماماً"¹، يتوافق سبرير وويلسن مع ما قاله إمبرتو إيكو بأنّ كل نص يحتوي معنيين: معنى حرفياً وآخر مضمراً الذي نتوصل إليه عن طريق السياق والموسوعة المخزونة في ذهن المتلقي، فالمؤول يحتاج إلى سياسة تمكنه من إنتهاج السبيل الصحيح لتحديد المعنى المراد.

كما أنّ القارئ يسلم أولاً أنّ للملفوظ معنى يجب البحث عنه وفق قواعد ومبادئ تأويلية أي وفق الطريقة التي تنتهي له إلى أن يقول "لقد فهمت" حينها يكون التّواصل قد تم، ويكون التّأويل قد أدى دوره السليم"².

بمعنى أنّ المتلقي أو المرسل إليه يتفاعل مع النص لينتج تأويلاً سليماً وفق قواعد الاستيعاب والفهم والتعاون بين الطرفين وكفاءات موسوعية منطقية واستدلالية، إذ يلجأ المؤول/ المخاطب في أغلب الأحيان إلى تأويل ما يوجه إليه من خطاب لعدة أسباب قد "ترجع إلى رغبة المخاطب في إدراك القصد الحقيقي من الخطاب وعدم اكتفائه بالمعنى الظاهري، وقد ترجع إلى تصرف المتكلم/ المؤلف في كلامه إلى حد يصبح معه قبول المعنى الظاهر شيئاً مستحيلاً فيلجأ إلى التّأويل"³. إذ يرجع المؤول إلى تأويل الخطاب من أجل المعنى المضمّر عندما لا يكتف بالمعاني المباشرة ولا

¹ - ويلسن دان سبرير وويلسن ديدري، نظرية الصلة والمناسبة، ص 399.

² - إسماعيلي عبد السلام، تداولية التّأويل، ص 231.

³ - سرحان إدريس، التّأويل الدلالي والتّداولي، ص 137-138.

يتوصل إلى قصد المؤلف، التي قد تكون غامضة وغير واضحة، فما هو ظاهر يدفع بالمخاطب إلى التّأويل للولوج إلى المعنى الباطني.

تتعلّق مركزيّة التّأويل التّداولي بالمؤول /المتلقي، فالمتكلم يعدّ طرفا مشاركا في التّأويل. حيث يرى إمبرتو إيكو أنّ المؤلف والقارئ استراتيجيتان نصيتان، أي لا نستطيع الحديث عن طرف دون آخر كأنهما عملة واحدة لوجهين، ومن وجهة نظر ثروت مرسى للتّأويل التّداولي: " أنه ليس عملية خاصّة بالمخاطب وحده، بل يشترك المخاطب والمتكلم كلاهما؛ بما أن حدث التّخاطب، ذاته حدث تآزري، وبما أثبتنا للمخاطب من دور وتأثير في توجيه تصميم المتكلم للقولات؛ أي: في إنتاج الخطاب، فإننا نرى أيضا أنّ للمتكلم دورا في تأويل الخطاب عن طريق ما يقدمه للمخاطب من دلائل وأمارات على مقاصده الفعلية في السيرة التعاونية للتخاطب"¹، يرى ثروت مرسى بأن كلا الطرفين مهمان في عملية التّأويل التّداولي، مثلما للمخاطب أثر مهم في إنتاج التّأويل، فللمتكلم أثر في تأويل الخطاب كذلك؛ وذلك بما يقدمه للمخاطب من أقوال ومعانٍ تدل على وجود مضمّرات في داخل الخطاب، فهنا نستطيع إحضار ما يسمى بمبدأ التعاون بين الطرفين الذي يعدّ مبدأ من مبادئ الاستلزام التّخاطبي التي جاء بها غرايس.

وقد أرجع جون آدمز كذلك التّأويل التّداولي إلى المتكلم، يرى أنّ المتكلم هو الذي يضع استراتيجياته على قياس المتلقي إذ يقول: "إنّه الكاتب وليس القارئ من يصنع الاستراتيجيات التّأويلية لمجتمع تأويلي"² فمن الظاهر أنّ التّأويل خاضع لسلطة المتكلم الذي يترك إشارات للمتلقي تساعد على الوصول إلى التّأويل التّداولي.

1- ثروت مرسى، في التّداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات"، ص 173-174.

2- ثروت مرسى، في التّداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات"، ص 83.

إن المؤول/ المتلقي له أثر حاسم في التأويل التداولي، ولكن لا يتم التأويل التداولي، إلا بشروط يفترض أن تكون متوفرة في المؤول، فما الشروط التي يجب أن تتوفر لدى المؤول؟

1-2-كفاءات المؤول:

ويشترط على المؤول اكتساب كفاءات ليتمكن من التأويل؛ حيث تحدثت اوركيوني على أهم هذه الكفاءات في كتابها "المضمر" التي ترى "أنه يكمن قوام العمل التأويلي عموما في إنشاء تمثيل للقول يتسم بطابعه الدلالي التداولي التواصلي ويكون متماسكا وقريبا من الواقع وذلك من جمع المعلومات المستخرجة من القول (بفضل الكفاءة الالسانية اللغوية) فضلا عن بعض المعلومات التي يملكها المؤول مسبقا (بفضل الكفاءة الموسوعية)؛ بحيث أن تتطابق المحصلة النهائية مع قوانين الخطاب بفضل الكفاءة البلاغية التداولية، ومع مبادئ المنطق الطبيعي بفضل الكفاءة المنطقية"¹.

أي على المؤول أن يكون مشبعا بشروط الكفاءات وقوانين الخطاب والمبادئ التحدائية ليصل إلى التأويل المراد وصوله، كما يشترط سبربر وويلسن في المؤول أو السامع استعمال مخطط الافتراض فهما يقولان: "يكون من حق المستمع للفعل التواصلي أن يفترض بأنه لكي يستخرج التفسير أو التأويل المقصود، يتوجب عليه أن يستعمل مخطط الافتراض الذي توحى به الصيغة المنطقية التي تحضر باله والأبواب الموسوعية التي تنتجها المفاهيم المكونة لتلك الأبواب"²، يستوجب على السامع لاستنباط تأويل من خطاب ما أعمال ذهنه لاستحضار مخطط الافتراض يوحى بالكفاءة المنطقية والموسوعية أي خبراته ومعارفه.

¹ - كيريرات كاترين اوركيوني، المضمر، ص 541.

² - سبربر دان وويلسن ديدري، نظرية الصلة والمناسبة، ص 387.

وصنّف عبد السلام إسماعيلي بعض الكفاءات المطلوبة للمؤول ليؤول تأويلا
تداوليا منها:

الكفاءة التداولية: يعني امتلاك نوعين من المعارف "معارف متعلقة بواقع الحال
وملابسات التّخاطب وهي معارف موازية، ومعارف متعلقة بواقع التجربة الإنسانية
المشتركة وهذه معارف سابقة"¹.

وقسم عبد السلام هذه الكفاءة إلى كفاءتين: سياقية حالية وأخرى موسوعية

- الكفاءة السياقية الحالية: تتحدث "عن السياق المقامي الذي يعتبر كدعامة أساسية
وضرورية لإقامة التّأويل"²، لأنّ السياق المقامي يمثل أعظم القرائن الدالة على
مراد المتكلم.

وتساعدنا هذه الكفاءة السياقية على استنباط مؤشرات أخرى تتعلق بالأنأ والأنت وهيئات
الحضور في الزمان والمكان وهي مؤشرات تدعو إلى التّأويل كلها إذ بعثت على
إلحاق متغيرات قصدية.³ وهناك مجال آخر لاكتشاف مثل هذه المؤشرات، يتمثل
في ما وراء التّلفظ وهو مجال لاشتغال كفاءة أخرى هي الكفاءة الموسوعية.

- الكفاءة الموسوعية: يقصد بها: "المعارف المشتركة السابقة التي يكتسبها الفرد عبر
تجربته الفردية أو يستفيدها من مكتسبات التجربة الجماعية، وتكون زاده المعرفي
المتنامي باستمرار مادام يوجد ويتفاعل ويتأمل ويفكر في كلّ ذلك بعقل"⁴.

¹ - إسماعيلي عبد السلام، تداوليات التّأويل، ص 217.

² - المرجع نفسه، ص 217.

³ - إسماعيلي عبد السلام، تداوليات التّأويل، ص 218.

⁴ - المرجع نفسه، ص 218.

ومن خلال ماسبق لاحظنا تأثر عبد السلام إسماعيلي بأوركيوني ودان سبربر وديدري ويلسون وأخذ منهما ولكن أعاد صياغة ما جاؤوا بطريقتين، أن المؤول يحتاج إلى الكفاءة الموسوعيّة السابقة والكفاءة السياقيّة ليستطيع تأويل أي نص والوصول إلى المقاصد والمعاني المختفي وراء المعنى المباشر، ولما نواجه خطاباً ما لا نواجهه من فراغ وإنّما نستعين ببعض الأفكار والمعلومات والتجارب السابقة.

2-2- وسائل التأويل التداولي:

وحاولنا أن نتجلى وسائل التأويل التداولي الذي يتبعه المؤول في الوصول إلى المعاني والمقاصد المرادة في ضوء التأويل التداولي وهي كالاتي:

أولاً: التكميل (Complection): يعد التكميل مستوى من مستويات التأويل التداولي الذي "يعتمد على السياق للوصول إلى معنى الكلام وبعبارة أدق لاعتماده على السياق لتحديد الكلام الناقص (المحذوف) الذي به يتضح قصد المتكلم، ففي الجمل التي تحتاج إلى تكميل"¹، أي الجمل التي لا تفهم معناها فهي غير كاملة لذا نعتمد على السياق للوصول إلى معنى الكلام ونستدل على الكلام الناقص من خلال الكلام البين المذكور الظاهر.

وربط محروس بريك وسيلة التكميل بالسياق إذ يقول: "إنّ المتلقي رغم الجمل الناقصة، إلا أنه يكمل الجمل بناء على السياق"²، ومن أمثله لما تقول الأم لطفلها: إلى غرفة نومك الآن، فهنا المستمع يكمل تلك الجمل بناء على سياق الحال الذي تنطق فيه؛ كالإشارة إلى الخطاب في الجملة الأولى، وكون الطفل، -حال النطق

¹-بريك محروس، التأويل التداولي في كتاب سيبويه، ص 1049.

²- بريك محروس، التأويل التداولي في كتاب سيبويه، ص 1054.

بالجملة الثانية- قد سهر طويلا، وما يصاحب نطق العبارة من إشارة حاسمة إلى غرفة نوم الطفل.

ثاني مستويات التأويل التداولي التوسيع (Lexpansion):

إن المؤول /المتلقي يلجأ إلى التوسيع في نوعين من الخطابات:

1-الجملة التي تحتوي على حذف واجب

2- الجملة التامة التي يراد من ورائها معنى آخر أكثر إتساعا من معناها اللغوي، وهو ما يمكن تسميته المعنى التداولي¹، ويتحقق التوسيع إما باللجوء " إلى الافتراضات المسبقة أو إلى المعرفة اللغوية المشتركة بين الطرفين أو باللجوء إلى السياق المقامي الذي يساعد في التعرف على ذلك المعنى التداولي"².

وقد انصب اهتمام التداوليين على النوع الثاني من الخطاب، أي الجملة التامة التي يراد من ورائها معنى آخر أكثر اتساعا من معناها اللغوي؛ وذلك لأنّ التداولية تهتم بالمعاني المتخفية وراء المعنى الظاهر فعلى سبيل المثال: لو افترضنا أنّ طفلك يبكي لأذى أصابه، فنقول له: أنّك لن تموت، فأنت لا تعني أنه لن يموت أبدا، أيلن يموت بسببذلك الأذى، فلا نعني بهذه الجملة المعنى الحرفي وإنما نعني شيئا أكثر تحديد، أي المراد من هاته الجملة ليس معناها اللغوي وإنما معناها التداولي أكثر اتساعا، أي يلجأ المتلقي إلى التوسيع على المستوى الدلالي معتمدا على المعارف المسبقة.

¹ - المرجع نفسه، ص 1050.

² - المرجع نفسه، ص 1054.

ثالثاً: التّضمين التقليدي: يراد به " أن يعني المتكلم شيئاً فيما وراء معنى الجملة، من دون اللّجوء إلى تقديم محذوف بعينه، ومن دون اللّجوء إلى التّغيرات المجازية، فنحن نتحدث عن ما هو **ضمني** أو **مضمر** أكثر مما نتحدث عما هو غير مكتمل"¹، فإن المتكلم /المخاطب يقول قولاً ولم يقصد المعنى الحرفي، وإنما يقصد معنى خفياً وراء هذا المعنى الحرفي، وبالتالي فكلّ خطاب له معنيين معنى مباشر ومعنى **مضمري** يتوصل إليه المتلقي عن طريق السّياق ولاسيما السّياق **المقامي**، فمثلاً عند قولنا: كراسك على الأرض فهنا المتكلم يقصد معنى **ضمني** غير مباشر هو احمّل كراسك، فعن طريق السّياق نجد أنها تضمنت معنى تنبيه المخاطب إلى حمل كراسه. فمما سبق نستنتج أنّ التّضمين التقليدي مثله مثل التّوسيع والتّكميل يعتمد على السّياق، الذي يعد جزءاً مهماً للوصول إلى المعاني والمقاصد **المضمرة** و**المسكوت عنها**.

كما تحدث محروس بريك عن وسيلة أخرى من وسائل **التأويل التداولي** وهو **التأويل المجازي** ف: "يصار إلى **التأويل المجازي** إذا كان الكلام غير مطابق للواقع أي خال من عنصر الصدق، فعندئذ يلجأ المتلقي إلى **التأويل المجازي** لفهم معنى المتكلم معتمداً على السّياق **المقامي**"²

إذن، فالمتكلم يقول شيئاً ويريد شيئاً آخر، وعلى المستمع وفق سياقات يتوصل إلى ما يعنيه المتكلم، وفي مجال **التداولية** ينظر "للمعنى الذي يقصده المتكلم على أنّه معنى سياقي"³

¹-بريك محروس، **التأويل التداولي في كتاب سيبويه**، ص 1061.

²- بريك محروس، **التأويل التداولي في كتاب سيبويه**، ص 1063.

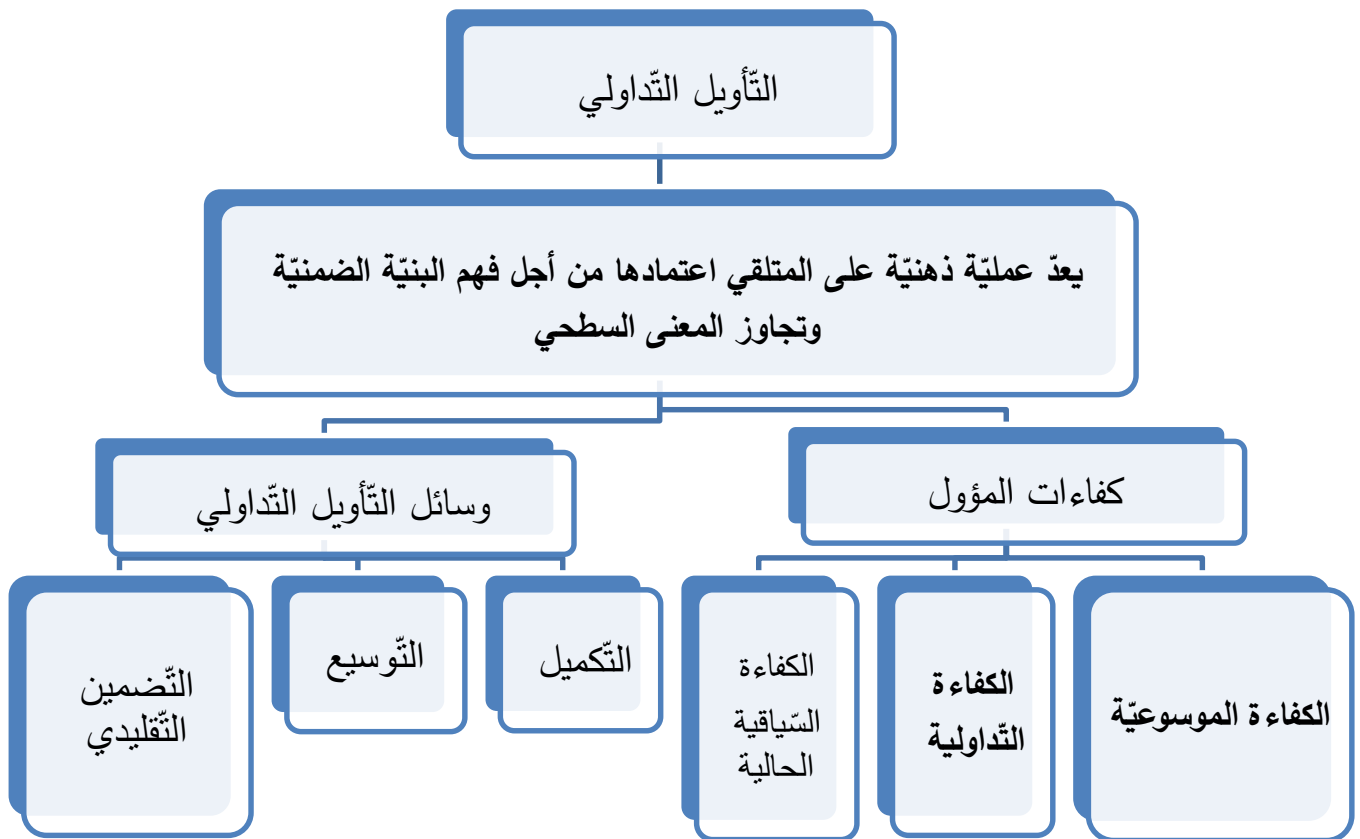
³- المرجع نفسه، ص 1063.

أي يلجأ المؤول أو المتلقي إلى وسائل تساعد على الوصول إلى التّأويل الدّاولي، أهمّها: التّكميل والتّوسيع والتّأويل والتّضمين المجازي التي ذكرناها آنفاً، وما ارتأيناه أنهم يختلفون في بعض النقاط ويتقاطعون في أخرى.

حيث يعتمد التّكميل على العنصر العباري المذكور في النّص فهو عنصر تركيبّي، فأما التّوسيع يعتمد على المعلومات الخلفيّة المعرفيّة التي تسمى بالافتراضات، أما التّضمين التقليدي يراد به الضّمني للجملة أو معنى المعنى الذي يقصد به المسكوت عنه الذي يتضمنه المتكلم في خطاب ما، ونعود للتّأويل المجازي لما يكون الكلام لا يطابق الواقع.

وتتقاطع هذه الوسائل في نقطة مهمة وهي اعتمادهم على السّياق وخاصة السّياق المقامي الذي عن طريقه نتوصل إلى المعاني الخفيّة المضمرة التي تكون وراء المعنى الظاهر.

ونجمل كلّ ما جاء في مبحث "التّأويل الدّاولي" على شكل مخطط هيكلي:



تتضمن استراتيجية "التأويل التداولي"، وسائل على المتلقي أن يكون على دراية بها، وعليه أن يكون ملماً بكفاءات ليتوصل إلى المعنى المضمّن المضمر من ما هو صريح ومباشر

المبحث الخامس:

1- الاستدلال.

2- الاستلزام التّخاطبي.

3- القصد التّداولي.

من هنا سنذهب إلى الاستدلال باعتباره عملية من عمليات التأويل التداولي، فما هو الاستدلال؟.

1- ماهية الاستدلال Inférence:

مصطلح الاستدلال: هو مصطلح شاع منذ القدم في مختلف الميادين والعلوم؛ حيث تطور إلى أن دخل العلوم الحديثة، كما يعرف بمفهومه المتداول والمشارك في المجالات المعرفية، إذ يذكر شكري المبخوت في كتابه **الاستدلال البلاغي**: "أن الاستدلال مفهوم مشترك في المنظومة المعرفية القديمة بين علوم المنطق والكلام وأصول الفقه والبلاغة، فهو أيضا يشترك في علومنا الحديثة بين اللسانيات والدلائيات، والتداوليات، والعرفانيات"¹.

لذا يمكننا طرح السؤال الآتي: ماذا يقصد بالاستدلال؟

ويُعرف الاستدلال بأنه: "عملية تأويلية تتمثل في الربط بين ما يقال صراحة وشيء آخر غير ما يقال"²، أي أن مضمرة القول يخالف ظاهره فالمعنى الأولي هو حرفي يخالف المضمرة المسكوت عنه.

فالاستدلال من وجهة نظر كيربرات أوركيوني أنه: "كل جملة مضمرة يمكننا استخلاصها من القول واستنتاجها من محتواها الحرفي عبر التوفيق بين معلومات ذات

¹ - المبخوت شكري، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط2، 2010، ص 13.

² - شارودو باتريك ومنغنو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار

سيناتر، تونس، ط2، 2008، ص 303.

وضع متغير من داخل القول ومن خارجه"¹، ترى أوركيني أنّ كلّ جملة نستطيع أن نستنبط من معناها الظاهري معنى باطنيّ يسمى استدلالاً.

اتضح لنا أنّ تعريف الاستدلال عند أوركيني يتفق مع تعريف إيكو "Eco" إذ يقول: "للقيام بالاستدلال، على القارئ أن يمضي باحثاً في موضع آخر عن إحدى المقدمات المنطقية المحتملة لقياسه الاضماري المخصوص وفي عبارات أخرى، إذا كانت الحكاية يقوله "س"، قام بهذا العمل، جعل القارئ يجازف بهذا الطرح، طالما أنه كل ما قام "س" بعمل موصوف خلص على جري العادة، إلى نتيجة "س"²

أي يشترط إيكو على القارئ أن يكون باحثاً غير سطحي وإنّما معمق متغلغل في النصّ ليكشف عن ما أضمر عنه النصّ؛ وذلك عن طريق ما هو ظاهر للوصول إلى المضمّر، كما يعطي لنا مثالا على أن أيّ عمل يقوم به الشخص الظاهر "س" سوف تكون له نتيجة أي المضمّر "ن".

فأما الاستدلال من وجهة نظر سيرل (searl)، وغرايس (Grais) المنتميان إلى فلسفة اللغة، فسيرل: "أثار قضية العمل المضمّن في القول غير المباشر، فمثلاً تعمل عمل وتجزه وأنت تقصد إلى عمل آخر، ويعتبر سيرل الاستعارة والشعر من ظواهر العمل غير المباشر نستدل عليه بالمقام ومن هذه الظواهر، يختلف المعنى الظاهر عن المعنى المقصود إليه"³، أي سيرل هو الذي أثار قضية الكلام غير المباشر (الضمني)، إذ يرى أنّ المتكلم لا يقصد ما يقوله حرفياً، بل هو يرمي من

¹ -كيريرات كاترين أوركيني، المضمّر، ص46.

² - إيكو إمبرتو، القارئ في الحكاية "التعاقد التأويلي في نصوص الحكاية"، ص 154.

³ - الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص "مداخل إلى سرديات استدلالية"، دار نهى للطباعة

والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2012، ص106.

ورائه إلى قول شيء آخر، فمثلا لما نثبت أن الحر شديد هذا المعنى ظاهر، نرمي وراءه معنى آخر قد يكون لفتح النافذة، أي هنا ننجز قولنا نطلب فيه فتح النافذة.

ويقصد غرايس بالاستدلال: "أن يكون المقام مشكلا من عديد الفرضيات التي تكون بمثابة المقدمات التي يستنتج منها المعنى المقصود من قبل القائل"¹، إذن نستطيع القول بأنّ المقام يتشكّل من المعارف والأفكار والمحيط والخطاب المتداول بين المتخاطبين ليتوصل إلى المعنى المقصود من كلام القائل، يعني أنّ الاستدلال هو الاستخلاص من الظاهر للوصول إلى المضمّر.

ولاحظنا أنّ أقوال سيرل وغرايس للاستدلال أنّها تقتضي حاجياتها من الظاهر والبيّن، ثم نستدل عليها لنصل إلى المعنى غير الظاهر المضمّن في مقام معيّن.

وقد عرّف محمد الخبو الاستدلال تعريفا قريبا من تعاريف المنظرين الأوائل كإيكو وأركيوني وغيرهم، إذ يشترط في تعريفه المرور من الحقائق الظاهرية للوصول إلى المعنى المضمّر ففي قوله: "إنّه عمل تأويلي يقتضي استخلاص ما حقق من شكل أو معنى باطن من معان قائمة في الملفوظ بالاعتماد على معطيات لغوية وغير لغوية مقامية"²، ويفهم من القول إنّ الاستدلال له علاقة متواشجة بالتأويل، إذ يجب المرور من المستدل به للوصول إلى المستدل عليه عن طريق قرائن لغوية، وتداولية "حالية" غير لغوية.

وبعد تحديداتنا للاستدلال من عدة باحثين ودارسين، ارتأينا أنه ليس من السهل الوصول إلى الاستدلال بل هو صعب وخاصة في الكتابات الأدبية كافة ولاسيما

¹ - الخبو محمد بن محمد، مداخل الى قصصية المعنى، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2016،

² -الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص، ص 99.

القصصية المتصفة بالتعتيم المرجعي برؤية سيرل أي أنّه: "يجب قراءة النص قراءة استدلالية نستدل بها على باطن النص لا قراءة سطحية"¹.

فعند قراءة نص ما يجب على القارئ أن يغوص في ثنايا النص الأدبي مستخرجا معانيه المضمرة والمسكوت عنها، فما ذهب إليه سبربر sebrber وويلسن wilson: "أن الوضع التخاطبي فيه جهود كبيرة كلما كانت أكبر كان الموصول إليه من النتائج الحاصلة بالاستدلال أكثر مناسبة خاصة بالنص الأدبي"² أي يجب على المتلقي القيام بمجهود كبير عند استدلاله لتكون نتائجه (الاستدلال) أكثر مناسبة وملاءمة للنص، فقد ربط سبربر وويلسن نتائج الاستدلال بمبدأ المناسبة ما يناسب ويلائم موضوع القول.

كما وسعت أوركينيوني في تعريف الاستدلال إذ رأت أنّ الاستدلال خاضع إلى "آليات استدلالية (سواء أفرزت استدلالات تحليلية أو تداولية تواصلية، أو منطقية أو تجريبية)، إلى ترميز أشد صرامة من ذلك الذي ينظم استخراج الاستدلالات الطبيعية"³.

ولاحظنا ومما سبق أنّ الاستدلال عمّا خفي صعب ومعقد؛ لسببين ذكرهما محمد الخبو وهما:

1- الاستدلال معقد بسبب التواصل غير المباشر بين القائل والمخاطب في هذا المقام التخاطبي غير معيّن فكثيرا ما يقول الكاتب كلام يقصد به شيئين وهو يستحضر قارئه.

¹ - ينظر: الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص، ص 113.

² - المرجع نفسه، ص 113.

³ - كيربرات كاترين أوركينيوني، المضمّر، ص 46.

2- الاعتبار الثاني يتمثل في ما سماه سبربر وولسن محيطاً عرفانياً يتخذ سبيلاً إلى الاستدلال¹، فهو صعب؛ لأنّ الكلام غير الصريح الذي يكون بين المتخاطبين فيه قول مضمّر فالمتكلّم يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر مضمراً يستطيع أن يتوصل إليه القارئ وقد لا يصل إليه أو لا يفهمه فعليه أن يكون على دراية تامة بسياق المتكلّم محيطه وبيئته وثقافته ومعارفه.

ونستنتج أنّ التّحديدات كلّها تصب في معنى واحد، إذ يقتضي النّظر إلى الاستدلال من منظورين وهما: مستدل به ويكون ظاهراً أمّا المستدل عليه فالوصول إليه من الظاهر أي الباطني.

وتكمن وظيفته حسب أوركيني فضح محتويات المضمّر.

1-1-1 من المستدل به إلى المستدل عليه:

إنّ العلاقة بين المستدل به (الشكل) والمستدل عليه (المعنى)، هو ما رآه بعض المنظرين علاقة بين الشكل ووظيفته (أي معناه). وللمستدل به إمكانات أهمها.

1-1-1-1 إمكانات المستدل به:

يستصفي كلّ نص أدبي مواطن نصيّة ملتبسة قد تبحث عن الفراغات الموجودة ما بين السطور لتملأ ويكتمل المعنى. فالاستدلال يعمل على كشف المعاني التي لم تبد في ظاهر النص ويكون ذلك عن طريق بعض إمكانات المستدل به، التي تتحقق في مستويات مختلفة وهي:

- الاستدلال من ناحية الوضع الإحالي المتعلق بالمراجع: إنّ الخطاب الإحالي كثيراً ما يتشكّل في النصوص الحديثة تشكلاً ملتبساً يقيم فيها المراجع، فمثلاً

¹ - ينظر: الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص، ص 113.

أقصوصة "فاكهة الرجل الأخيرة"* لإلياس فركوح هي قصة مبهمة وغامضة تحتاج إلى هذا المستوى الذي نستدل به للوقوف على مواطن اللبس للحصول على انسجام بين المراجع.

أي يمكن أن يكون هناك مرجع أساس يربط بين جميع المقاطع.

- من ناحية الوضع الحكائي: فهذا المستوى يتعلق بالتركيب القصصي للأحداث التي تكون مملوءة بفراغات وتقاطعات لا توصلنا إلى المتخاطبين، كما ينظر هذا المستوى في أشكال الالتباس القصصي من ناحية الحكاية وما تقتضيه من أعمال استدلالية.
- المستوى الخاص بالخطاب السردى حامل الحكاية: قد يكون الاستدلال ما يلحق أشكال السرد من تشوب الانسجام السردى.
- كما يلجأ إلى الاستدلال على طبائع وجهات النظر وإلى الناظرين وقد التبس الواحد منهم بالآخر، وفي هذه تتعد وجهه النظر فلا ندري هل هي خارجية أم داخلية؟ وهل هي مرتبطة بالشخصية أم بالراوي؟
- وهناك مستوى يتعلق بالأصوات السردية: عندما يكون ظاهر النص غير معلن عن صوت المتكلم ولا يميز المخاطب بين المتكلم وغير المتكلم، وذلك لاختلاط الأصوات البوليفونية، ولا يميز ذلك إلا بعد الاستدلال على حقيقة أصحابها في النطاق البوليفوني المذكور¹.

* إن أقصوصة «فاكهة الرجل الأخيرة» عبارة عن مختارات قصصية للكاتب إلياس فركوح هو كاتب أردني ولد في عمان، له عدة روايات وقصص كقامات الزيد وأعمدة الغبار أما في القصص كطيور عمان تحلق منخفضة ومن يحرق البحر وغيرها.

¹ - ينظر: الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص، ص 118 - 119.

نلاحظ وجود علاقة بين هذه المستويات الاستدلالية، وأنّ كلّ راوٍ له أعمال مضمّنة في خطابه القصصي وعلى هذا النحو تلتئم مستويات الاستدلال في النصّ السردى، ويمكن أن يتم العمل الاستدلالي داخل كلّ مستوى وفق درجات تحليلية.

وإذا لم يتوفر في نص من النصوص هذه المستويات التي تؤدي إلى الانسجام فهذا يعني أنّ النصّ يحتاج إلى استدلالات على دلالات ضمنية نجدها في النصّ الأدبي، وذلك من خلال الدلالة السطحية الظاهرة في النصّ، أي من خلال الدلالة السطحية الظاهرة نستدل على الدلالة الضمنية في النصّ الأدبي.

1-1-2-المعنى النصي: المستدل عليه:

إنّ المعنى النصي هو المعنى "الذي يقصده القائل ويريد توجيهه إلى المقول له وهو ما يسميه جاك موشلار "معنى تواصلياً" الذي يكون عادة مضمراً ولا يكون الانتهاء إليه إلا بعملية استدلالية"¹.

ويكون بطريقتين:

- الاستدلال السياقي: تعتمد فيه الذات المؤولة على الملفوظات المحيطة بالملفوظ المعنى في التّحادث أو نص مكتوب، فمثلاً عند قراءة عنوان في صحيفة يفهم أنها ترتبط بالعناوين الفوقية والفرعية والصور المحيطة به.
- والاستدلال المقامي: عندما تركز الذات المؤولة إلى معطيات المقام الذي يقال فيه هذا القول أو ذاك².

¹ - الخبو محمد بن محمد، مداخل الى قصصية المعنى، ص 111.

² - شارودو باتريك و منغينو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ص 302.

ويمكننا القول: بأنَّ الاستدلال السياقي يقصد به تلك المعاني المستدل عليها من السياقات المحيطة بالنص المرتبطة بالمقاصد التي يسعى المتكلم أن يوصلها إلى الملتقى، ضمن ما سماها "موشلار" معنى تواصليا.

و يقصد بالاستدلال المقامي الظروف المقاميّة خارج النص بالاعتماد على مبدأ المناسبة حسب ما ذكره محمد خبو إذ قال: "إن هذا النوع من الاستدلال يكون بالاعتماد على ما سماه ويلسن وسبربر مقاما أو محيطا عرفانيا يتمثل في كل ما هو متاح للمؤول من معارف تكون ظاهرة للعيان وتكون مستخلصة من مقامات القول في الخطابات المتعلقة بالمتخاطبين للوصول إلى معنى ملائم وهو أقرب إلى ما يقصد إليه المتكلم.¹"

ويُعَدُّ الاستدلال المقامي عملا خطابيا متجزأ في مقام يتكون من أطراف الكلام المخاطب والمخاطب وأحوال زمنية ومكانية وتكون ظاهرة قريبة إلى ما يقصد إليه المتكلم.

فمسألة المعنى الروائي تبدو مسألة معقدة؛ لأن المعنى لا يرفع من النص أو يؤخذ وإنما يبيّن ويستخلص من مقدمات مستدل بها كالحوار مثل الإحالة والخطاب...إلخ، وللوصول إلى المستدل عليه يجب المرور بالمستدل به، فهما يعدّان وجهين لعملة واحدة ومكملان لبعضهما البعض.

ومن هنا يمكننا التّطرق إلى الاستلزام التّخاطبي الذي تولد حسب غرايس عن طريق الاستدلال، فما هو الاستلزام التّخاطبي؟

2- الاستلزام التّخاطبي (Conversational implicature):

¹ - الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 111- 114.

يُعَدُّ الاستلزام* التّخاطبي آلية إجرائيّة أساسيّة في التّداولية، دعا إليه الفيلسوف الانجليزي بول غرايس (P.H Graise**) وذلك "ليسّد الثّغرة الموجودة في توصيف عملية التّخاطب وتفسيرها"¹، أي يحلّل المعاني غير الظاهرية، وجاءت هذه النظرية لتزودنا بتفسير واضح وهو "كيف يتّسّى لنا أننعني أكثر مما نقول"²، أي أكثر ما نعبر عنه منطقاً وصريحاً، فالاستلزام يتعدى المنطوق إلى المضمّن وغير المباشر، حيث انطلق غرايس من نقطة "أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون فجعل كلّ همة إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه السّامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنالسّامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلّم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل

* بعد قراءتنا نلاحظ أن هناك اختلاف في ترجمة impicateur إلى العربية، فهشام محمد الشيباني يترجمه إلى الاستلزام، أما هشام خليفة ترجمه بالتلويح، و صلاح اسماعيل وعادل فاخوري ترجمه بالاعتضاء .

**ترجع نشأة البحث في الاستلزام التّخاطبي إلى المحاضرات التي دعى إليها الفيلسوف بولغرايس التي ألقاها بجامعة هارفارد سنة 1967م؛ حيث قدم فيها بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدّرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات سنة 1975 في بحث له يحمل عنوان "المنطق والحوار"، الذي حاول فيه التفريق بين ما يقال وما يقصد. للتوسيع العودة إلى: محود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2002، د.ط، ص 32، محمدعكاشة، النّظرية البرجماتية اللّسانية، ص86.

¹ - ثروت مرسي، في الاستدلالات التداولية "قراءة تأصيلية بين السيرة والتأويل"، ص 241.

² - خليفة هشام عبد الله، نظرية التلويح الحوارية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 28.

الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام ¹implicateur¹ يعني الاستلزام التخاطبي هو كيف نقصد أكثر مما نقول؟، حيث أراد غرايس أن يعرف كيف يصل السامع إلى مقاصده ومعاني المتكلم غير الصريحة التي يرمي بها داخل حديثه اللفظي والصريح. إنَّ الاستلزام "عمل المعنى أو اللزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل أنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي له ويقترحه ولا تكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"²، بمعنى الاستلزام شيء يعنيه ويقصده المتكلم فهو معنى غير مباشر، وللوصول للقول المضمن أو المستلزم عن طريق ما هو ظاهر وبيّن، سنتأمل المثال الآتي:

- الفتاة (ج): هل تستطيعين الذهاب إلى الحلاقة غدا؟

- الفتاة (س): يتعين علي أن أذهب عند جدتي؟

من البيّن أنّ المحاورة (ج) تطلب من (س) الذهاب معها إلى الحلاقة، إلى أنّ الجواب (س) يستلزم بأنّها لا تستطيع الذهاب معها إلى الحلاقة بطريقة ضمنية بإجابة أخرى، إذ يعدّ هذا المعنى إضافيا يتجاوز المعنى الحرفي لجملتها (يتعين علي أن أذهب عند جدتي)، يعني في القول استلزام شيء يعنيه ولا يمثل جزءا من المعنى الحرفي للجملة، أي الاستلزام لدى المتكلم هو المعنى غير المباشر يتوصل إليه المتلقي (ج) من خلال حديثه.

وورد جواد ختام في كتابه "التداولية أصولها واتجاهاتها" عن الاستلزام التخاطبي أنّه "يساعد على بناء استدلال محكم يحتاجه المتلقي لفهم الملفوظات داخل سياق

¹ - نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

² - صلاح إسماعيل، النظرية القصصية في المعنى عند غرايس، ص 79.

كلامي معيّن¹، إذ يساعد الاستلزام المتلقي لفهم السياقات والمعاني الموجودة داخل الخطابات من خلال تكوين استدلالات.

ويرى هشام خليفة أنّ الاستلزام التّخاطبي حسب غرايس هو "الاستدلال الذي يجب أن نتوصل إليه لكي نحافظ على افتراض التّعاون بين المتحاورين"²، فالاستدلال له علاقة بالاستلزام لنصل إلى التّعاون بين المتخاطبين.

وينص أيضا غرايس على أنّ المتخاطبين عندما يتحاوران فإنّهما يقبلان ضمنا بجملة من القواعد والمواضع، وهي قواعد تحكم عمليات التّواصل وتوجه نحو نهايته الإيجابية بعد سيرورة من الاستلزمات والاستنتاجات والاستدلالات والتّخمينات والافتراضات المسبقة وعلى هذا الأساس أضحي تأويل الملفوظات رهينا بثلاثة عوامل: "معنى الجملة والسياق اللّساني وغير اللّساني، علاوة على مبدأ التّعاون"³ الذي اقترحه غرايس باعتباره يصف ويفسر ظاهرة الاستلزام التّخاطبي؛ إذ يتبع المتخاطبون هذا المبدأ العام "مبدأ التّعاون" لضمان نجاح التّواصل والتّفاهم.

فعلى ماذا ينص هذا المبدأ (مبدأ التعاون)؟ وماهي القواعد التي يتفرع إليها هذا المبدأ الحواري؟ وكيف يتوصل السّامع المخاطب إلى المعاني غير المباشرة أو الاستلزاميّة؟.

2-1- مبدأ التّعاون، (Principe de cooperation). وكيفية توليد

الاستلزام التّخاطبي:

ركّز غرايس في مقاله الشهير (المنطق والمحادثة) Logic and conversation على الممارسة الحواريّة التّخاطبية التي تهدف إلى التّعاون بين

¹ - ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، داركنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص99.

² - خليفة هشام عبد الله، نظرية التلويح الحواري، ص 31.

³ - عكاشة محمد، النظرية البرجماتية اللسانية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، ص99.

المتخاطبين، لذلك اقترح مسلمات ومبادئ على المتحاورين اتباعها لنجاح السلوك التّخاطبي، فهذه القواعد والمسلمات والحكم تسير تحت مبدأ عام يطلق عليه اسم "مبدأ التّعاون" مفاده " لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك في مرحلة حصولها، الغاية أو الهدف أو الاتجاه المقبول من المحادثة التي تشارك فيها"¹؛ إذن، كلّ المحادثات التي تكون بين المتخاطبين تتضمن تعاوناً وجهوداً بينهما مشتركة أو جملة من الأهداف لهما ووجهة مشتركة مسلم بها من هذا التّخاطب بين المتكلّم والمخاطب.

ويتفرّع هذا المبدأ الشامل إلى أربعة قواعد أو حكم (Maxims) فرعية استعارها عن الألماني إيمانويل كانط وهي:²

- 1- قاعدة الكم (Maxims of Quantity): تهتم هذه القاعدة بكمية المعلومات التي يجب توفيرها وتقديمها في التّخاطب، وتتحقّق:
- اجعل إسهامك في التّخاطب بالقدر المطلوب (لتحقيق المقاصد الراهنة للمحاور)
- لا تجعل إسهامك بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب.

- 2- قاعدة الكيف (QualityMaxims of): اجعل إسهامك التّخاطبي صادقاً. وتتمثّل في:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب

¹-H.P.Graise, Logic and conversation, University of california, Berkeley, p. 45.

² - المرجع نفسه، ص 45-46 .

ويمكن العودة إلى ترجمة هذا المقال: بول غرايس، منطق المحادثة، تر: محمد الشيباني وسيف الدين

دغغوس، كلية الاداب والعلوم الانسانية، صفاقس، تونس، 2003.

- لا تقل ماليس عندك دليل كاف على صدقه.

3- قاعدة المناسبة أو الصلة (Maxims of Relation): ليكن كلامك مناسباً
وذا صلة بموضوع الحديث.

4- قاعدة الطريقة (Maxims of Manner): ولتكن واضحاً:

- تجنب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز كلامك، ورتب كلامك.

جاء غرايس بهذه القواعد لهدف واحد وهو ضبط مسار وطريق الحوار؛ إذ يتم التّخاطب بالطريقة المثلى والنّاجحة لضمان التّواصل والتّفاهم وأنّها كفيلة بجعلنا نصل إلى مقاصدنا ومعانيها، كما أنّ المتكلّم لا يقول أكثر أو أقل مما هو مطلوب منه وعليه أن يكون صادقاً في خطابه وأنّ ما يقوله يكون ملائماً لهدف الحديث ويكون واضحاً وموجزاً ومرتباً.

فمثلاً - الأم: أين إخوتك؟

- البنت: إمّا أنّهم يلعبون في الحديقة المجاورة، أو ذهبوا لشراء الحلوى من الدكان، ولست متأكّدة أين هم على وجه الدقة.

هنا نلاحظ أنّ البنت قدمت القدر الصحيح من المعلومات، أي قاعدة الكم، وأجابت بصدق أي قاعدة الكيف، وأدركت هدف الأم عند طرحها السؤال واتّجهت إيجابتها نحوه، أي أنّ الإجابة لها علاقة بالموضوع أي قاعدة المناسبة، وكانت إيجابتها واضحة أي سلكت قاعدة الطريقة، وفي مثل هذه الحالة لا يوجد استلزام تخاطبي طالما لا يوجد فرق بين ما قيل أي ما هو منطوق وما يقصد أي ما يفهم.

ومن هنا يمكننا طرح السؤال التّالي: لماذا لم نتوصل إلى الاستلزام التّخاطبي مادام توصلنا في مثالنا إلى كلّ القواعد التي جاء بها غرايس؟

يتحقق الاستلزام التّخاطبي عند مخالفة وخرق إحدى القواعد التي أرسى دعائمها الفيلسوف الانجليزي غرايس، إذ يقول هشام خليفة في كتابه: "فقد نخالف أو نستغل القواعد عن قصد معتمدين على إفتراض المستمع بأننا لا بد أن نطيعها على مستوى آخر، ومن هنا فهو (السامع) يعمل فكره للبحث عن تأويل لكلامنا، تكون من نتائجها أننا نعتزف بالقواعد لكننا نقوم باستغلالها لا يصلح ما نعنيه، وهذا الأخير هو التّلوّيح أي الاستلزام"¹، فالمتكلم لا يتبع القواعد حرفياً وإنما يخالفها، تارك السامع يعمل ذهنه ليتوصل إلى المعاني المقصودة المراد إيصالها، وأما إذا أطعنا القواعد ولم نخالفها وأظهرناها للمتكمّل بشكل صريح وسطحي، فعندئذ لن نولد استلزاماً بل يكون كلامنا مباشراً.

تأثر ثروت مرسي بما جاء به هشام خليفة، أن خرق إحدى القواعد يؤدي إلى الاستلزام التّخاطبي إذ يقول: "دائماً يستنتج الاستلزام بناء على مبدأ التعاون وقواعده، وقصد المتكلم إلى التلاعب بهذه القواعد في السياقات الموقفية المختلفة، أو الاستلزام بها ظاهرياً، والطرائق التي يقوم عبرها بذلك"² نتوصل إلى الاستلزام التّخاطبي بعد التلاعب بالقواعد الأربعة واخفائها وعدم إظهارها للمتلقي، لكي لا يكون حديثاً صريحاً سهل المنال.

ويوضح أيضاً هشام خليفة أن ما يرمي إليه غرايس أن "المتحاورين لم يطيعوا القواعد بحذافيرها، وإنما يضعونها بنصب أعينهم ويستترشدون بها بحيث حين يخالفها المتكلمون فإن المستمعين يستمرون بالافتراض، إلى أن على المتكلمين أن يلتزموا

¹ - خليفة هشام، نظرية التّلوّيح الحوارية، ص 31.

² - ثروت مرسي، في التّداوليات الاستدلالية "قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، ص 243.

بقاعدة مبدأ التّعاون"¹، بمعنى ظاهرة الاستلزام التّخاطبي تنتج عن خرق وكسر إحدى القواعد والمبادئ عمداً مع إحترام مبدأ التّعاون بين المتخاطبين، فيكون المتكلّم حريص على إبلاغ المخاطب معنى يقصده المعنى المستلزم الضّمني، ويبذل هذا المخاطب جهداً للوصول لمعنى المتكلم، فمثلاً عند قول:

-الأم: هل راجعت دروسك، وغسلت أسنانك؟

- الابن: راجعت دروسي.

في هذا الحوار خرق وانتهاك لمبدأ الكم، لأن الأم سألته عن أمرين، فأجاب عن سؤال واحد (هل راجعت دروسك) وسكت عن الثاني (غسلت أسنانك)، فهنا إجابته كانت مبتورة أقل من المطلوب ويستلزم من الأم أن تفهم أنّه لم يغسل أسنانه، وأنه لم يرد الإجابة بنعم حتى لا تشتمل الإجابة شيئاً لم نقم به.

المثال الثاني: -التلميذ: تقع وهران في تونس؟

-الأستاذ: نعم، ومكة في مصر؟

ففي هذا الحوار انتهاك لمبدأ الكيف، فالأستاذ انتهاك مبدأ الكيف عمداً ليبين للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويستلزم على التلميذ الوصول إلى مراد الأستاذ، لأنه يعلم أن مكة ليست في مصر، فالأستاذ يستلزم ويقصد شيئاً وهو أن قول التلميذ غير صحيح.

يمكننا القول في الأخير إنّ غرايس استطاع أن يتوصل إلى كيف يمكننا أن نقول شيئاً ونقصد شيئاً آخر؟ وذلك من خلال الاستلزام التّخاطبي الذي ينطوي تحته مبدأ التّعاون: فهو يساعد المتخاطبين للوصول إلى المعنى غيرالمباشر للمتكلم، الذي

¹ - خليفة هشام، نظرية التلويح الحوارية، ص 30.

يندرج تحته عدة قواعد تخرق عمداً أو قصداً ليترك السّامع يفترض ويستدل للوصول إلى ما هو مسكوت عنه ومضمّر.

ولاكتشاف المخاطب السامع وجود استلزام تخاطبي فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار المعطيات الآتية:¹

- 1- المعنى الحقيقي للألفاظ والكلمات المستعملة.
 - 2- مبدأ التعاون والقواعد المندرجة تحته.
 - 3- السياق اللّغوي وغير اللّغوي.
 - 4- المعلومات والمعطيات الخلفية السابقة أي الافتراض.
 - 5- كون جميع المعطيات توفرت بين المشاركين في المحادثة، وهم جميعاً يعلمون أو يفترضون إن الأمر كذلك.
- إنّ، على السامع / المتلقي اليقظة عند التّحاور مع المتكلّم، ليصل إلى هذه المعطيات التي تساعد للولوج إلى ما يريده المتكلّم ايصاله استلزاماً من حديثه.
- ومن خلال هذه النظريات والآليات التي توقّفنا عندها، التي تسعى دائماً للوصول إلى قصد المتكلّم وفك شفراته المضمّرة، لذا يجب التّطرق إلى القصد التّداولي، فما هو القصد التّداولي؟ وأنواعه عند سبربر وويلسن؟ وما هي منازلها؟

3- في تداوليات القصد:

يعدّ القصد من أهم الدّراسات التي لها حظ وافر في المقاربة التّداولية، إذ يذهب التّداوليون إلى أنّ النّص هو مجمل الخطاب فيه مقاصد تداوليّة وخطابيّة انطلاقاً من قاعدة "لا نص من دون مقاصد".

¹-P.H.Graise, Logic and conversation, p. 50.

أول من اهتم بمصطلح **القصد** في البحث **التداولي** «جون أوستين» وذلك "منذ أن أسس نظريته في أفعال الكلام العامة التي يقوم على مبدأ أساسي مفاده أننا حين ننتج قولاً فإننا ننجز فعلاً أو ننشئ جزءاً منه"¹.

يعدّ أوستين أول من اهتم **بالقصد** في كتابه أفعال الكلام يرى فيه بأن كلّ قول يؤدي إلى فعل، فمثلاً نطلق قول: أنت طالق فهذه عبارة عن كلام، لكن لما ننقوه بها تؤدي إلى فعل الطلاق، أي نقصد به فعل فك رابط الزوجين الزوجين، كما اهتم أيضاً بفعل **القصد** بالقول "الذي يقصد به المعنى الذي يقصده المتكلم عند إنتاج هذه القولة، وما يتحقق عند قولها"²، إذ يربط أوستين القصد بالمتكلم الذي ينتج قولاً ومن خلاله، يحقق إنجازاً أو فعلاً قد يغير أو يؤثر في المستمع/المتلقي.

وشهد **القصد** تطوراً فلسفياً على يد «سيرل» في كتابه **القصدية** من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل، فالقصد عنده "عمل شيء معين، وهو صورة من صور **القصدية**"³، أي يتعلق القصد بالعمل، وكلّ قصد يجب أن يكون وراءه إنجاز، فمثلاً أنا أقصد قراءة كتاب لأنجز عملاً وهو إنجاز أطروحة، كما أن **القصدية** عامة و**القصد** خاص أي وجه من وجوه **القصدية** وأشمل من **القصد**.

¹ - أوستين جاك، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف تنجز الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق،

القاهرة، مصر، د.ط، 1991، ص39

² - ثروت مرسى، في التداوليات الاستدلالية قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، ص.59.

³ - سيرل جون، **القصدية** "بحث في فلسفة العقل"، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،

د.ط، د.ت، ص 23-24.

والقصد عند «غرايس» مرتبط بالمعنى وبناء على هذا: "فهو المعنى الذي يريده المتكلم شريطة أن يزيد إحداث تأثير في سامع يعينه، أي أن يفعل شيئاً بالقول"¹، فالتكلم لما يتحدث مع السامع قد يقول قولاً يقصد منه هدفاً معيناً أو غاية معينة يريد أن يوصلها إلى السامع للتأثير أو التغيير فيه، أي للقصد غاية هو أن يقول شيئاً ظاهرياً والمراد منه شيئاً آخر ضمني.

ويقدم «دان سبربر وديدري ولسون» في كتابهما نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك تعريفاً للقصد على أنه: "حالة نفسية، ويفترض أن محتوى القصد يجب أن يمثل أو يرمز ذهنياً، وبالأخص يجب أن يكون في ذهن المتواصلة (المتكلمة) تمثيل أو تصوّر لمجموعة الافتراضات التي تقصد أن تجعلها ظاهرة أو أكثر ظهوراً للمستمع".²

يعتبر المؤلفان أنّ القصد حالة نفسية وذهنية، ويشترط على المتكلمة أن تحتوي على مخزون معرفي في ذهنها تتركه عمداً ظاهراً وصريحاً لا ضمنيّاً ليتوصل المتلقي ببساطة إلى فهم مقاصد المتكلمة.

وقسم سبربر ووليسن القصد إلى نوعين: قصد إخباري وقصد تواصلي.

القصد الإخباري: يتعلق بالتكلم الذي يوجه للمتلقي شيئاً ما، "وأن تجعل (المتكلمة) مجموعة من الافتراضات ظاهرة أو أكثر"³، فهذه الافتراضات والتوقعات تقصد المتواصلة المتكلمة أن تظهرها وتوضحها للمخاطب.

¹ - ثروت مرسى، في التداوليات الاستدلالية "قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، ص 60.

² - سبربر دان و ولسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك"، ص 112.

³ - ينظر: سبربر دان و ولسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك"، ص 112.

ولما يكون قصد المتواصلة هو أن تظهر بعض الافتراضات المحددة، فحينئذ قد يكون تمثيلها لهذه المجموعة من الافتراضات التي تقصد المتواصلة أن تظهرها على شكل قائمة من الافتراضات التي هي أعضاء في هذه الافتراضات، فعلى سبيل المثال:

- الطالب: متى تصل حافلة الطلبة؟

- المعني بالحافلة: على الساعة السابعة صباحا.

هنا قصد المعني بالحافلة إخباري هو أن يجعل من الظاهر للطالب الافتراض بأن الحافلة تصل على الساعة السابعة؛ حيث تذكر المتواصلة افتراضا موجود فعلا في ذهنها، فهنا تخبر المتواصلة المستمع عن افتراض من افتراضاتها لتسهل الوصول إلى فهم المقاصد.

ب- القصد التواصلي: المتعلق بالمخاطب (المتلقي) والمخاطب (المتكلم) الذي يكون على دراية بالقصد الإخباري بمعنى "أن تجعل من الظاهر تبادليا للمستمع وللمتواصلة، بأن يكون لدى المتواصلة هذا القصد الإخباري"¹، وعلى المتواصلة التواصل بواسطة الإظهار وبصورة مقصودة، يعني أن تصدر حافزا أو منبها معينا بهدف تحقيق هدف إخباري.

من خلال ما سبق نستنتج أننا لا نستطيع التخلي أو حذف أي نوع من هذين النوعين (الإخباري والتواصلي) حسب سبرير وويلسن "فبمجرد الإخبار وحده يغيّر البيئة الإدراكية للمستمع، أما التواصل فيغيّر البيئة الإدراكية المتبادلة لكل من المستمع والمتواصلة"².

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص116.

² - سبرير دان و ولسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التواصل والإدراك"، 117.

فكلّ نوع مكمل للآخر، فالقصد الإخباري يهتم بالمتكلم وإخباره للمتلقّي وفقط، إلا أنّ القصد التواصلي يهتم بالمخاطب والمخاطب والتبادل التواصلي بينهما للتفاعل والتأثير والتغيير بين المتخاطبين.

ومن سمات القصد كونه: "قائم في العقول خليفاً بتمثيل الأشياء والقصد القائم بالتمثيل يقوم على ثلاثة عناصر: الممثل - العمل القصدي للتمثيل - والشيء الممثل"¹، فانطلاقاً من هذا التحديد نجد أنّ القصد يكون داخل القول، ويحتوي على عدة عناصر أساسية متكاملة في ما بينها داخل القول مثلاً: لما نقول أنت تتجح (الممثل) هو متكلم والشيء الممثل أنت ناجح، والعمل القصدي فقد يكون أملاً أو رغبة أو أمراً بحسب السياق الذي استعملت فيه القولة.

ويرى محمد الخبو أن للقصد وجهين:

- قصد تمثيل حدث أو إحالة من الأحوال إلى الأشياء

- قصد إيصال هذا التمثيل إلى الآخر وإنفاذه لإحداث أثر من الآثار²

فالقصد يمثل الحدث ويحيلنا إلى شيء ما، ويعتبر أيضاً تمثيلاً لتمرير رسالة إلى الآخر ليترك فيه أثراً، فمثلاً نقول: لتلميذ ناجح في الامتحان أنت فائق النجاح، فنحن قصدنا إلى تمثيل التلميذ الناجح بالتفوق، ثم قصدنا إلى إنفاذ هذا التمثيل فيه بهدف جعله أكثر تفوقاً بنجاحه والاعتزاز بهذا النجاح، وأيضاً يعلم التلاميذ أن الناجح يثمن جهده، أي كل قصد يترك أثراً من الآثار في الآخر.

3-1- منازل القصد:

¹ - الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 35.

² - المرجع نفسه، ص 35.

ويخضع القصد لدرجات في النصّ الأدبي، سماها محمد الخبو: منازل القصد، فماذا يقصد بها؟

1-منزلة القصد النصّي: هو ما يقصد إليه من صياغة شكلية تتجلى في العديد من البنى النصّية(الزمن والصوت والصيغة)، باعتبار أنكل قراءة للنص هي قراءة تأويلية، وكل قراءة تأويلية موصلة إلى قصد ما مولدة المعنى.

1-القصد المقامي أو التداولي: يكون هذا القصد جاريا في الخطاب متداولاً بين المتخاطبين، وأن نقصد إلى تقديم فكرة أو شيء إلى المخاطب للتأثير فيه، فمثلاً عملية القص يقول شارودو: "إنّ فعل القص ليس فقط أن يتصف بوقائع وأحداث... وإن حصول قصة يقتضي راوياً، تكون له قصديّة أي إرادة نقل شيء ما إلى المرسل إليه بطريقة معينة"¹، يعني أنّ النص القصصي ليس وحدة مغلقة، وإنّما تجاوز ذلك إلى مقاصد ومعاني ومضمرات، نتوصل إليها عبر قرائن تداوليّة ولغويّة ومنطقيّة .

2-قصديّة المؤلف: إنّ هذه المنزلة متعلقة بالمؤلف متوجّها بها إلى القراء، هناك من يعتبر أنّ القصد منسوباً إلى المؤلف وذلك ما يوجد في النصّ من تماسك ومظاهر للتركيب والتّعقيد، ومنهم من اعتبر الآثار النّاتجة عن النصّ التي يمكن ربطها بالمؤلف، وما قد يستدل عليه من أعمال لا قولية منوطة بالمؤلف يحققها تحقيقاً تتأدّى به مقاصده، فمثلاً رواية "إيميل حبيبي" حين حلت شخصية سعيد النّحس، هذه الشخصية ذات وجهين وجه ظاهر تبدي الولاء حتى تضمن حياتها في ضل الاحتلال وآخر خفي لها وهي تبطن الكره لهم وتسعى إلى النيل من سطوتهم، وما جاء في هذه الرواية من مظاهر الإثبات لوضع الشخصية ظاهراً وباطناً، فهذا عمل لا قولياً هو التّحريض على المقاومة الذي هو قصد المحرك لهذه الرواية، وهو ذلك القصد الذي

¹ - الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 48.

يمكن تعليقه بالمؤلف ذي الجنسية الفلسطينية المكبلة هي أيضا بأوضاع الاحتلال¹، نستطيع القول بأن المؤلف رغم ابتعاده عن النص إلا أنه يكون بطريقة أو بأخرى داخله، كما أن فعل السرد لا يرتبط فقط بالمُتخاطبين، وإنما يتعلق أيضا بالقائل الأكبر أي المؤلف.

ونستخلص مما سبق أن القصد مهما اختلف عليه إنما يطلب من النص، وللقصد درجات ما هو نص ثابت وما هو متحرك متحكم في المقام الذي منه نستدل إلى القصد، وللقصد منازل منها ما هي مرتبطة بالنص ومنها ما هي مرتبطة بالمقام وما هي مرتبطة بالمؤلف.

وعلى القارئ الاستدلال على الخطابات الغامضة المتشعبة بالمقاصد والمضمرات غير الظاهرة التي يمكن الاستدلال عليها من ما هو ظاهري.

3-2- القصد لدى أطراف الخطاب:

لقد عرف الباحثون أهمية القصد في الخطاب، وأصبح العلم بمعرفتها ضرورة حتمية لتكوين الخطاب وتحقيق أهدافه ولبلوغ المتكلم غايته من خلال إيصال مراده إلى المتلقي، إذن يعد القصد منسوب إلى طرفين مخاطب ومخاطب.

سمي غرايس القصد بمعنى المتكلم، فعنده يتعلق بالمتكلم لأنه يرى بأن "المرسل يعبر عن قصده بما يستجيب لتلك القواعد* تارة وبخرقها تارة أو يتجاهلها تارة أخرى"²، فالمرسل يتلفظ ليمرر مقاصده وفق قواعد ومبادئ خاصة كمبدأ التعاون بين الطرفين

¹ - ينظر: الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 47-48.

* يقصد بالقواعد المبادئ التحدائية التي جاء بها غرايس كمبدأ التعاون الذي يتسم بعدة مبادئ هي ومبدأ الكم والكيف والنوع والمناسبة...

² - الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ص 197.

الذي جاء به غرايس، فالمرسل مرة يقتضي هذه القواعد بحذفها ومرة أخرى يتجاهلها وفق خطابه.

ويقول «غرايس» بأن بدون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدل المتكلم على ما يريد، "لأنّ المواضعة، وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيداً، فهي غير كافية إذ لابد من اعتبار المتكلم، أي قصده"¹، إنّ القصد ضروري جداً فبدونه لا نستطيع استنباط واستنتاج ما يريد أن يقوله المتكلم أي "قصده"، لأنّ المتكلم يقول قولاً ويقصد قولاً آخر خفي.

ويرى ثروت مرسي أن "المتكلم يقصد أن يتلفظ بقولة ما، ويقصد أن يعينها وفق شروط معيّنة، ويقصد أن يتواصل مع مخاطب لا بد أن يعي مقاصده هذه، ويفهم القولة"²، وانطلاقاً من هذا التحديد نفهم أنّ المتكلم مسؤول عن التّلفظ وعن مقاصده التي يوصلها إلى المتلقي وعليه أن يفهم هذه المقاصد من خلال العبارة التي قالها المتكلم.

وغاية المرسل من ذلك هو "إفهام المرسل إليه، كما يشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللّغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدّلالي وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدّال والمدلولات، وكذلك بمعرفته لقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تنظم إنتاج الخطاب بها"³، فالمتكلم غايته من القصد إفهام المتلقي، كما يشترط في المرسل أن تكون لديه كفاءة لغوية وتداولية موسوعيّة ليستطيع أن يوصل للمتلقي قصده من خطابه.

¹ - المرجع نفسه، ص 198.

² - ثروت مرسي، في الاستدلاليات "قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، ص 63.

³ - الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ص 183.

ونجد عدة باحثين آخرين اهتم بقصد المتكلم والمتلقي، لاعتبارهما مفتاح لفهم الخطاب ولا يمكن فهم الخطاب بدونهما.

وذكر إسماعيل صلاح في كتابه "النظرية القصديّة في المعنى عند غرايس" أن المخاطب والمخاطب يشتركان في عملية **القصد** إذ يقول: "إن قول شيء ما ومعناه هو مسألة قصد إنجاز فعل عن طريق الكلام، إذ ينجز المرء فعلاً كلامياً (للسؤال)، إذا نطق جملة قصد بها أن يُقدم المستمع بعض المعلومات، وينجز المرء فعلاً كلامياً (للتقرير) إذا نطق جملة قصد بها أن يجعل المستمع يعتقد بفكرة أو قضية معينة، وهكذا نلاحظ أن التأثير الذي يقصد المتكلم أن يحدثه في المستمع هو في رأي غرايس ما يميز فعلاً كلامياً (السؤال مثلاً) من فعل كلامي آخر (التقرير)."¹، فانطلاقاً من هذا التحديد يعني أن **القصد** حسب أن المتكلم من خلال قوله يقصد إنجاز فعلاً، فهذا يعود بنا إلى أوستين في أفعال الكلام أن كل قول يؤدي إلى فعل، فإذا نطق المتكلم قولاً يقصد إعمال تأثير أو تغيير في المتلقي، وذلك حسب السياق المحدد.

وذكر الباحث إلفي بولان في كتابه أن **القصد** يتعلق بالمخاطب والمخاطب يرى بأن المخاطب يتلفظ قولاً وعلى المتلقي فك شفرات هذا القول" فالمراد بالنسبة للمتلفظ قول شيء دون قوله، إما بخصوص المتلقي، يفك رموز **المسكوت عنه** أو **المقتضيات المتضمنة** في أفعال اللغة غير المباشرة وتأويله بشكل دقيق.²

إنّ المتلقي يكشف عن ماهو **مسكوت عنه** وماهو **مضمر** من خطاب المتكلم الذي يقول قولاً صريحاً ويقصد قولاً آخر يكون **ضمناً مسكوتاً عنه**.

¹ -صلاح إسماعيل، النظرية القصديّة في المعنى عند غرايس، دار المنظومة، الكويت، د.ط، 2005، ص 56.

² -بولان إلفي، المقاربة التداولية للأدب، ص 52.

ونذكر إلفي بولان أنَّ النَّصَّ الأدبي يخبئ الكثير من القضايا بين ثناياه على المتلقّي فضحها والكشف عنها عن طريق الاستدلال والتأويل للوصول إلى القصد؛ وذلك من خلال طرحه عدة أسئلة: ماذا قصدت هذه الشخصية من كلامها؟ ولماذا؟، وبأية مقصدية يجعل الكاتب شخصياته تقول ما تقوله وتفعل ما تفعله؟.

وبناء على هذا فإن "قصد المتكلم لا يمكن أن ينتج إلا عن طريق الاستعمال التآزري بين المتكلم والمخاطب والخلفية المشتركة بينهما، فتبدأ بقصد المتكلم وتنتهي إلى المخاطب فيصبح المخاطب شريكا في القصد نفسه من حيث إنه شريك في إنجازه"¹، إذن يُشترط لفهم قصد المتكلم مخاطباً وافتراسات ومجموعة من التوقعات التي بها يدرك المتلقّي هذا القصد، ويصبح شريك في عملية التواصل.

فالمخاطب له دور كبير في عملية القصد، باعتباره لب عملية التواصل، فهو يُحلل ويُفسر ويؤول، ليتمكن من الوقوف عند القصد.

3-3- القصد والتأويل:

وبناء على كلّ التّحديدات السابقة، يمكننا طرح السؤال التالي: كيف يمكننا الوصول إلى هذا القصد واستنباطه من الخطاب؟

يعتبر العديد من المنظرين أمثال: "غادامير وآن روبول وجاك موشلار"، أنَّ القصد له علاقة بمسألة التأويل.

يقول غادامير بأنّ: "التأويل الخاص بالبحث عن المقاصد، إنما يقتضي أن يبدأ المؤول بمرحلة قراءة النص ثم مرحلة الفهم ثم الصّفة التاريخية للمؤول، وهو يتناول

¹ - ثروت مرسى، في الاستدلاليات التداولية "قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية"، ص 64.

نصا غائبا زمانه، وليس بمقدوره استحضار مقام قوله على سبيل الدقة وهذا يعني أن من يؤول النص بعيد المنشأ زمانا ومكانا عن **المقام التأويلي** هو بمنزلة الذات المتنزلة في المقام الذي منه، وفيه وبه يكون **التأويل**¹

اعتبر غادامير أن أول مرحلة في **"التأويل القصدي"** قراءة النص ثم تليها مرحلة الفهم، كما يشترط في **التأويل** أن لا يكون بعيدا عن الصفة التاريخية للمؤول ثم يؤول ليصل للمقاصد، وكذا المقام يلعب دورا أساسيا في **التأويل**؛ وتنخرط الذات المؤولة في ما تأوله ولكن لا تخرج عن النص المؤول.

ويلاحظ أحمد كروم أنما "يُميّز الدراسات المقصدية بأنّ هناك بعدا منهجيا تقوم به، وهو تأويل منطوق النص وملفوظة باعتباره صادرا عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل في هذا المجال، أن يبحث عن هذه المقاصد في جميع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم، ثم البحث في مختلف الظروف التي أسهمت في صدور هذا الكلام"²

فالقصد له علاقة بالتأويل، فالمتلقي ليصل إلى قصد المتكلم عليه بالتأويل، وذلك من خلال التلفظ والسياق والافتراضات التي تساعد على التأويل والاستدلال على مقاصده، فهو "يشكل محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات"³.

¹ –Gadamer, Verite et methode

ينظر: نقلا عن: الخبومحمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 38.

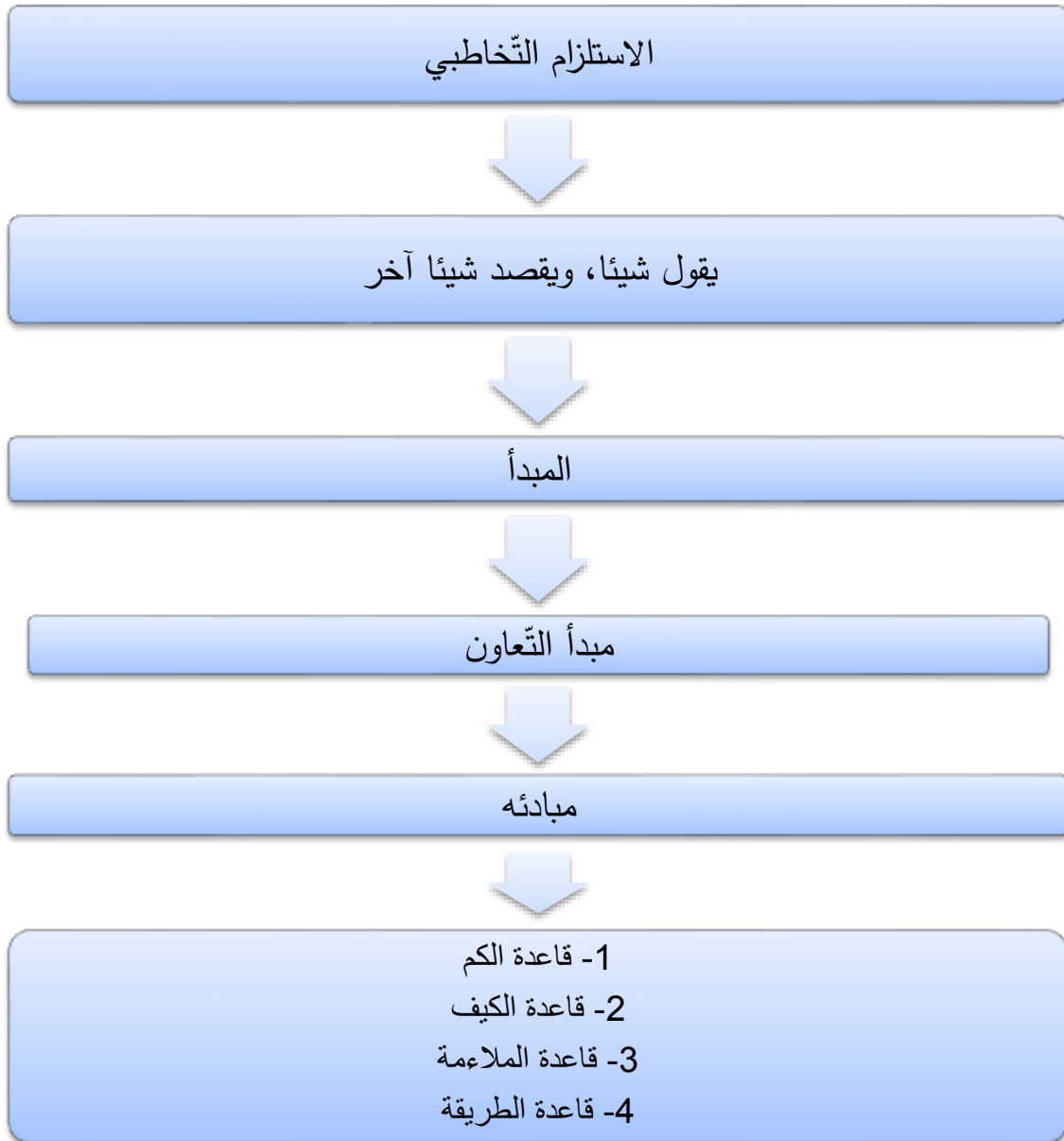
² – كروم أحمد، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط، 2015، ص157.

³ – روبول آن و موشلار جاك، تداولية الخطاب، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 157.

ومما سبق توصلنا أنّ القصد لقي اهتماما كبيرا من عدة باحثين، إلا أنّ جل تعاريفه تصب في فكرة واحدة مفادها أنّ القصد ينحصر في كلّ خطاب يحتوي على غاية وهدف مضمرومسكوت عنه، على المتلقّي فهم هذا المراد المقصود والمعنى المبتغى الذي يختلف عن الدلالة الظاهرة، وبعبارة أخرى المتكلّم يقول شيئا ويقصد معنى آخر يتوصل إليه من خلال ما هو صريح وظاهر.

ونجمل كلّ ما جاء في المبحث الخامس في مخططات تساعد القارئ على

الفهم.



إن "الاستدلال"، آلية تداولية فهو عملية تأويلية تقتضي ما هو ضمني ، مما هو صريح

إن الاستلزام التّخاطبي آلية تداوليّة دعا إليها غرايس "وهي كيف تسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول"

نستنتج في الأخير، أنّ كلّ هذه "الآليات التداولية"، تساعدنا على الوصول إلى المسكوت عنه، لكن في كليتها وفرادتها، أي إنّنا لا نستطيع فصل آلية عن أخرى في التّحليل التطبيقي.

في الأخير يمكننا القول بأن هذه الآليات التّداولية كانت تطبق على النّصوص اليومية، ولكن نحن سنحاول أن نغوص بها على النّصوص الرّوائية للوصول إلى التّاريخ المضمّر والمسكوت عنه.

وقبيل الوصول إلى المضمّر، سنمر على بنية النّصوص، لكن لم نخذ فيها كثيرا، لدراستها في كثير من الأطروحات والكتب، سنتطرّق إليها لأنّها تساعدنا على تنظيم وترتيب الأحداث والقضايا التّاريخية للوصول إلى المضمّر.

ثم سنحاول أن نطبق الآليات التّداولية التي لامسناها في الفصل النظري على النّصوص الرّوائية، لأنّنا ارتأينا أنها تتلاءم مع موضوع بحثنا وتساهم كثيرا في الوصول إلى التّاريخ المضمّر.

الفصل التّطبيقي:

1- حضور التّاريخ على المستوى النّصي في

المتون المختارة

2- إعادة بناء الأنساق المسكوت عنها والمضمرة

التّاريخية في الرّواية الجزائريّة المعاصرة في

النّصوص المختارة.

3- تقاطع القضايا التّاريخية المسكوت عنه

والمضمرة وتباينها في الرّوايات المختارة

المبحث الأول: حضور التّاريخ على المستوى النّصي.

1-الموضوعات الكبرى في المتون المختارة.

2- الخطابات المنقولة ورصدها للتّاريخ المضمّر على

المستوى النّصي.

3- الرّؤية السّردية وحضور التّاريخ المضمّر على

المستوى النّصي.

4- المفارقات الزّمنية التّاريخية وتشكلاتها في

المتخيل التّاريخي.

سنعتمد في الفصل التّطبيقي على عدة روايات تتفاعل بين البعد التاريخي والبعد الفني التّخيلي وهي [رواية "كولونيل الزّبربر" للحبيب السايح ورواية "الحركي" لمحمد بن جبار ورواية "طير اللّيل" لعمارة لخص]. سننطلق من عدة أسئلة وهي:

لماذا أصبحت الرّواية الجزائريّة المعاصرة تفتشي أسراراً كان مسكوتاً عنها ومضمراً في روايات قديمة، ولم يتناولها التّاريخ الرّسمي؟ هل يمكن للروايات الجزائرية المعاصرة وهي تكتب في مثل القضايا التاريخيّة أن تحاكي تلك الفترة وتروي ما وقع، أم أنّها مهما أفشت من أسرار فإنّها ستسكت عن أخرى؟

تحدثت الرّوايات الجزائريّة المعاصرة عن موضوعات غيّبت في الوسط الجزائري، كما أنّها سكّنت عن أشياء أخرى، فعنواننا يتماشى مع جانبين، أي أنّ الرّوايات التي اخترناها تناولت مواضيع تاريخيّة طالما غيّبت من جهة، ومن جهة أخرى وهي تتطرق لهذا التّاريخ المغيّب سكّنت عن أشياء أخرى، أي الرّوائي مهما يفضح يسكت عن بعض الموضوعات لأسباب ما.

قسمنا الفصل التّطبيقي إلى مبحثين: حضور التّاريخ على المستوى النّصي المضمّر، وحضور التّاريخ على مستوى الضّمني المضمّر، ومن هنا يمكننا طرح الأسئلة الآتية:

- في ما تجسّد حضور التّاريخ في الرّوايات المعاصرة الجزائريّة؟
- وكيف نظم هذا التّاريخ الموجود في روايتنا على المستوى النّصي؟
- وكيف يمكننا التّعرف على التّاريخ المضمّر في المتون المختارة؟
- وما هي الأشياء التي لم يتحدّث عنها تاريخ الجزائر الرّسمي وتحدّثت عنها الرّوايات والعكس؟

1- الموضوعات: حضور التاريخ في المستوى النصي.

يعدّ الهولندي اللّغوي "تون فان ديك" من أهمّ المنظرين الذين نظروا إلى البنى الكبرى، وهناك من يعتبره أوّل من صاغ هذا المصطلح حيث "استقاه من البنى العميقة والسطحية اللتان ظهرتتا في مدرسة النحو التوليدي على يد رائدها نعوم تشومسكي، ثم اتسعت رؤية فان ديك، فتجاوزت هذين المصطلحين إلى سياقات تداوليّة تواصلية أكثر سعة"¹ المعتمدة على السياقات والافتراضات والمواقف...، وهذه التّيمات تحقق انسجام وتماسك الخطاب، ومن هنا يمكننا طرح السؤال التالي: ماذا يقصد فان ديك بالبنى الكبرى أو الموضوعات؟ وكيف تقوم هذه البنيات الشّمولية الكبرى في مساعدتنا على معرفة أهم الموضوعات المُدرجة في المتون الروائية المختارة؟

وباعتبار "فان ديك" أوّل من جاء بهذا المصطلح ألف العديد من المؤلفات والمقالات منها: "كتاب النصّ والسّياق" و"علم النصّ" "مدخل متداخل للاختصاصات" و"النصّ بنى ووظائف" وكان محورها "البنيات الكبرى"؛ حيث ضُبط لها تحديدات وقواعد كبرى عن طريقها يمكننا الولوج إلى البنية الكبرى الشاملة لخطاب ما.

فالبنية الكبرى من منظور فان ديك : تتألف من قضايا، تكشف عن الأحداث نفسها في مستوى أعلى، أكثر تجردا وأكثر عمومية أو أكثر إجمالاً²، ويعطي لنا مثالا: ذهبت إلى المحطة، اشترت بطاقة، ارتديت على الرصيف، صعدت إلى القطار، ويمكن لهذه القضايا أن تعرض على المستوى العام، أكثر عن طريق القضية "قمت برحلة في القطار"، أي حذفنا كلّ التفاصيل الدّقيقة ولم تبق إلا المعلومات

¹ - مزعل خالد توفيق، مصطلحا البنية الكبرى والبنية العميقة، 367.

² - ديك فان، النصّ بنى ووظائف، ص 159.

الأكثر أهمية والتي يمكننا الحفاظ عليها في ذاكرتنا، إذن البنية الكبرى الشاملة لخطاب هي " كل ما يحتفظ به في الذاكرة، والتي يمكننا بعد عدة أسابيع إعادة إنتاجها، واسترجاعها وتذكرها، كما تجعلنا البنية الكبرى نقدر على فهم أعقد المعلومات وتنظيمها في الذاكرة"¹، بمعنى عند وصولنا في خطاب ما إلى البنى الكبرى، أي قابل للفهم وباستطاعتنا تنظيم معلوماته في الذاكرة فهو خطاب منسجم، وعدم الوصول إليها أي الخطاب غير قابل للفهم ولا نستطيع ترتيبه وتنظيمه في الذاكرة وبالتالي فهو خطاب غير منسجم.

تستطيع البنى الكبرى حسب فان ديك أن تتغير من شخص لآخر؛ وذلك لأنك لقارئ تختلف طريقته في القراءة، كما يمكننا في خطاب واحد إيجاد عدة بنى كبرى وذلك "إذ وجدت متوالية من قضايا تستوفي شروطا معينة، أمكن أن تصاغ بموجبها بنية كبرى جديدة من مرتبة أعلى تعميما وهذا يعني أن نصا معينا يجوز أن تكون له مستويات من بنية كبرى م1، م2، م3... من أعم بنية كبرى من النص ككل"²

وقدم فان ديك أربعة قواعد كبرى³ Macros regles لتحديد البنى الكبرى، هي عبارة عن خطوات متوالية تساعد المتلقي للوصول والظفر بالبنية الكبرى الشاملة والكلية للخطاب وهي:

¹ - ينظر: ديك فان، النص والسياق، ص 216-217.

² - المرجع نفسه، ص 203.

³ - تختلف تسمية البنى الكبرى: فان ديك في مقاله النص بنى ووظائف يسميه الضوابط الكبرى، وفي مقاله

مدخل إلى التخصصات يسميها القواعد الكبرى.

-الحذف أو الانتخاب: هو حذف كل القضايا التي لا تعدّ ضمن شروط التأويل، أي كل المعلومات غير المهمة وغير الجوهرية في النصّ.

-الاختيار: أي اختيار القضايا التي تعدّ شروطاً للتأويل، وتكون مهمة داخل الخطاب ولها معنى.

-التعميم: تعويض تتابع من القضايا لقضية تستلزمها كل قضية من قضايا التتابع، ونضرب مثالا على ذلك: على الأرض دمية، على الأرض قطار خشبي، على الأرض مكعبات، يمكن أن تحل محل هذه القضايا قضية واحدة هي "اللعب على الأرض".

-التركيب أو الإدماج: تلعب هذه القاعدة دورا مهما، أنه تعويض تتابع من القضايا بقضية تحيل إليه قضايا التتابع في مجموعها، وهذه تنطبق على المثال السابق "رحلة في القطار"¹.

إنّ هذه الضوابط أو القواعد، لا تستطيع أن تعمل إلا بالاستناد إلى معرفتنا بالعالم ومحيطنا العرفاني، وتجاوز "فان ديك" النص في ذاته إلى المنحى التواصلي البرجماتي بين المتكلّم والمتلقي والبيئة العرفانية، أي الوقائع التي يدركها ويستنتجها ويستدل عليها من معارفه القبلية والمعلومات المخزنة من طرف المتلقي والتأويل الواقعي للنص ووظيفة التلّفظ المرتبط بسياق الاستعمال، فكلّ هذه المبادئ تساعد القارئ على تحديد البنى الكبرى أو التيمات باعتبار أنها "لا تذكر صراحة في النص، وهي تضمن الوظيفة الإدراكية المهمة التي تهیئ القارئ والسامع لأنّ يبني

¹ - ديك فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: حسين بحري، ص 74-75، ديك فان، النص بني

ووظائف، ص 160-161.

التفسير الأكبر الصحيح للنص: فهو يتلقى بذلك وسيلة معينة لتحمية يمكن من خلالها أن يعالج النص¹.

وحسب فان ديك يمكن أن تظهر البنى في النصوص كعناوين وكلمات مفتاحية ومختصرات.. فهي تعدّ جزءاً من البنية الكبرى؛ بحيث يمكننا إدراك ما يريد أن يتحدث عنه الخطاب.

وكخلاصة لما قدم، فإنّ البنى الكبرى تلعب دوراً مهماً في الوصول إلى أهم الموضوعات المدرجة في نص من النصوص، ما يبيّن أنّ الخطاب قابل للفهم، بعد وقفنا عند تحديدات البنى الكبرى كما يطلق عليها فان ديك أو ما يصطلح عليها باختين تيمات أو كما يسميها إيكو البور²، كما علينا الوقوف على العناصر الفرعية الموجودة في متوننا السردية، أهمّها العنوان الذي أصبح في الدراسات الحديثة ذا أهمية كبيرة باعتباره العتبة الأولى لدخول عالم النص، فهو يقودنا للخوض في التيمات الموجودة في النص الروائي، وبعدها ننقل إلى الاستمرارية الموضوعاتية باعتبارها شرطاً مهماً يأخذنا لفهم طريقة تدرج الموضوعات التاريخية في الروايات.

ومنه يمكننا طرح السؤال التالي:

ما مدى حضور التاريخ المضمّر فيالمتون الروائية؟

وكيف رُسم هذا التاريخ وتجلّى على المستوى النصي، وأي تاريخ حضر ما أسبابه ووظائفه؟

¹ - ديك فان، العلاماتية وعلم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص 88.

² - أم السعد مختار حياة، تداولية الخطاب الروائي " من الملفوظ إلى التلّفظ"، ص 247.

1-1- العنوان إحالة للنص الروائي "كولونيل الزبربر":

يعدّ العنوان أول ما يقرؤه القارئ، لذا سنلجأ إلى فك دلالاته وشفراته وما مدى انعكاسه وتعاضده مع مضمون النص.

جاء عنوان رواية "كولونيل الزبربر" مركبا من لفظتين أولها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا وهو مضاف، أما اللفظة الثانية زبربر مضافا إليه، وما نلاحظه أن كلمة "كولونيل" فرنسية الأصل وما يقابلها في اللغة العربية "عقيد" رتبة عسكرية في مرتبة الضباط له مكانة مرموقة في الجيش العسكري رجل صنديد وشجاع ينفذ استراتيجيات ومخططات للإيقاع بالمجرمين.

أما لفظة "زبربر" التي التصقت بكولونيل تعني بالأمازيغية العنب البري، والمكان الكثيف بالغابات وإليه نسب الجبل، الذي أصبح اسمه "جبل زبربر" ويقع في منطقة الأخضرية ولاية البويرة، معروف بصلابته للثورة التحريرية وملجأ للجماعة الإرهابية المسلحة.

يرمز "جبل زبربر" إلى الشجاعة والصمود، ما لجأ بالكاتب أن يضيف هذا اللقب لكولونيل ليعكس بصورة واضحة إلى مضمون النص، باعتبار "كولونيل الزبربر" شخصية محورية مركزية داخل النص الروائي، أطلق عليه هذا اللقب لقوته وصبره وشجاعته لاختراق حواجز الجماعات المسلحة ونصب لهم مؤامرات دون خوف أو خشية في جبل زبربر.

أي يحيلنا العنوان مباشرة إلى مضمون الرواية المحمل بأحداث تاريخية تكشف لنا عن واقع مرير مليء بالأزمات مر به المجتمع الجزائري الذي يستنبطه القارئ بعد تحريره المتن الروائي.

1-2- تيمات/البنى الكبرى كولونيل الزّبربر وتمثلها للتاريخ:

إذا كان عنوان الرواية يحيل في بعده الظاهر إلى الرتبة العسكرية فإن دلالات الرتبة تستدعي الكثير من الدلالات من بينها الحرب والاستراتيجيات والعدو، فكيف تدلنا بنى النص على ما يخفيه العنوان من دلالات؟.

ركزت رواية "كولونيل الزّبربر" على ثلاثة تيمات كبرى تعدّ جوهر هذا النص لتصنع من الرواية تاريخا مضادا للتاريخ الرسمي الذي اعتراه النسيان والتهميش من قبل المنتصرين والأقوياء، فالروائي عن طريق هذه التيمات الكبرى استطاع أن يكشف اللثام عن حقائق وجرائم طبقت في حق الشعب الجزائري، أهمها:

- تيمة الاستعمار: ويقصد به الاستعمار الفرنسي العاشم وسطوته على الجزائر.
- تيمة قبيل الاستقلال: ما بعد الاستقلال هذه المرحلة التي كانت مهمة للشعب الجزائري، إلا أن أصدقاء جيش التحرير الوطني الذين كانوا رفقاء الأمس اختلفوا فيما بينهم، لأجل المصلحة التي كانت ستخلف أزمة خطيرة تبعد جميع التّضحيات التي قدمها الشعب الجزائري في سبيل الحرية.
- تيمة ما بعد الاستقلال: تحكي عن الأزمة الجزائرية في التسعينات أو كما تسمى بالعشرية السوداء بين أبناء الوطن التي خلدت أثرا ورعبا في نفوس الجزائريين.

حاول الروائي "الحبيب السّايح" من خلال هذه التيمات الثلاث أن يجمع بين ثلاث مراحل تاريخية تحمل جزءا مهما من ذاكرة الجزائر، التي كانت مأساوية وذات واقع مرير مليء بالأزمات.

واستطاع الروائي في متنه أن ينسج شبكة من الأحداث التاريخية دون الإخلال بالمعنى ما حقق انسجاما بين فصول الرواية، فهي كانت عبارة عن مذكرات كتبها

الجد بوزقزة في كراسته، وأضاف إليها كولونيل الزبربر جلال يومياته ونقلها على فلاش ديسك بتسليمها لابنته طاموس باعتبارها ساردة هذا الخطاب.

1-3- دلالة العنوان وعلاقته بالمتن الروائي "الحركي" لمحمد بن جبار:

نحاول بدايةً دراسة العنوان بواسطة النصّ الروائي باعتباره سلطة النصّ والواجهة والعتبة الأولى للولوج إلى عالمه، فالعنوان يحمل جزءاً من موضوع النصّ فهما يتعالقان فيما بينهما إذ الآخر مكمل للأول، وكذا يحمل دلالات وإضاءات تساهم في فك شفرات النصّ.

ففي رواية "الحركي" لمحمد بن جبار جاء عنوانها يلفت الانتباه ويدخل القارئ أو الباحث في متاهة التساؤلات ماذا يقصد محمد بن جبار بالحركي، من هو الحركي الذي يقصده؟، ماذا يريد أن يوصل للقارئ من خلال هذه الرواية؟، فالقارئ يحاول استنباط واستكشاف الدلالات والشّفرات من خلال تغلّغه داخل غمار النصّ الروائي، خاصة الباحث الجزائري الذي لديه معلومات قبلية عن من يلقب "بالحركي" وفي أي حقبة تاريخية.

عنوان رواية "الحركي"* اسم معرف يحمل دلالات كبيرة في المجتمع الجزائري، لقب كان يلقب به من اختاروا الانضمام إلى الجيش الفرنسي إبان معركة الجزائر الكبرى ويكون من الفرق الموالية للاستعمار، شخصية خانت وطنها الجزائر في سبيل الاستعمار الفرنسي إبان الثورة الجزائرية.

اختار الروائي محمد بن جبار عنواناً معرفاً لروايته "الحركي" لغاية وهدف وليدخلنا إلى بواطن التاريخ وليعرفنا بالوجود التاريخي والسياسي والثقافي والاجتماعي

* الجمع منها الحركي (Harki)، صفة أُطلقت خلال حرب التحرير على الخونة، خاصة من الذين حملوا السلاح

ضد مواطنهم من الجزائريين، العودة إلى: رواية كولونيل الزبربر، للحبيب السايح، ص83.

للحركي...، فإن كان العنوان في كلمة واحدة إلا أنه يعكس سياقاً تاريخياً حافلاً بالأحداث، ولأنه معرف فهذا يربطه بالرواية التي ستكون خبراً يجعل للحركي حضوراً مركزياً في الرواية كلّها فهو الحركي المهمش في الواقع الجزائري وتاريخه يعود في النصّ مركزاً وبطل الرواية أو السارد العليم بكلّ شيء، يصبح له صوت ليشفي غليله ويبين الأسباب والظروف الاجتماعية والسياسية التي أرغمته لاتباع طريق فرنسا.

كما حملت الرواية في طياتها العديد من الحقائق التاريخية التي تولى السارد محمد بن شارف نقل الأحداث التي قهرت هؤلاء الحركي من صراع مع أنفسهم وتأنيب الضمير والخوف من الاستقلال والمخاطر التي تهددهم وتلحقهم مهما طال الزمن، فالعنوان يشي بتاريخ مسكوت عنه ومضمّر سيطفو في هذا النصّ ليكون للقارئ القدرة على فهم تاريخ مغيب.

1-4- تاريخ الحركي من خلال البنى الكبرى في رواية "الحركي":

بعد ضبطنا لدلالة العنوان وبعده التاريخي، نتوقف عند البنى الكبرى/التيّمات التي تساعدنا على فهم النصّ وما يؤديه من وظائف في مجال استعماله وتنظيمه وحفظه في ذاكرة القارئ، فلا يوجد نص بدون موضوعات، لأننا حين ننتج أي خطاب نطلق من مقصدية ما نصوغ خلالها ما نود إيصاله أو التأثير به أو تبليغه، بالتالي لا نص بدون معنى، أي كلّ نص له معنى سواء كان ظاهراً ومباشراً أو قد يكون معنى مضمراً مسكوتاً عنه يتوصل إليه القارئ من خلال الاستنباط والاستنتاج من السياقات والظروف التاريخية.

وانطلق محمد بن جبار في روايته من قصدية وغاية أضمرها ترك القارئ الناقد أن يتوصل إليها من خلال فهم فحوى النصّ.

وبعد قراءتنا للنص الروائي "الحركي" رصدنا عدة بنى كبرى باعتبارها جوهر النص، إلا أننا لأمسنا تيمة/بنى كبرى بارزة تتحكم في كلّ البنيات الأخرى استطاعت أن ترسم وتعطي فريدة لهذا النص الروائي من بدايته إلى نهايته وهي تيمة "الحركي" هذه التيمة لم تقارننا في كلّ الرواية تعتبر المكوّن المركزي والأساسي في الرواية؛ حيث تجلّى حضورها في عدة مقاطع نذكر بعضها:

- رحلت مثل آلاف الحركي والفرنسيين واليهود إلى فرنسا¹

- لا فرق بين حركي ومخزني فنحن كلّنا حركي من اليوم الذي دخلنا فيه لأصااص اليوم الذي -بعت فيه نفسك للشيطان دخلت فيها لتحركات من بوابة
اللاشرف²

وعلى أساس هذه البنية تتابعت بنيات أو تيمات أخرى لا تقل أهمية عن البنية الأولى أهمّها:

-الثورة أو التاريخ الثوري: جاءت هذه التيمة كبنية كبرى باعتبار أن الحركي من شارك في الثورة الجزائرية في صف الجيش الفرنسي، لهذا لم يستطيع محمد بن جبار الاستغناء عنها.

-بنى سياسية: تتجلّى في الصراع الساخن بين الآخر فرنسا والأنا الجزائر.

-صراع اجتماعي: يتجسد في الصراع القائم بين بن شارف وعمه على قطعة الأرض، ويظهر أيضا بين سي وهاب وبوعمران ولد عايشة حول الأرض العالقة بينهما.

¹ - بن جبار محمد، الحركي، منشورات القرن الواحد وعشرون، حسين داي، الجزائر، ط1، 2016، ص 07.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص115.

-صراع الأنا مع ذاتها: نكتشف ذلك في تأنيب الضمير الذي قهر الحركى وخاصة في السنوات الأخيرة من الاستقلال، مما أدى إلى إنتحار العديد من المخازنية أو الحركى وكذا الخوف والقلق مما سيؤولون إليه بعد الاستقلال، المقصلة والموت على يد المجاهدين هو ما كان ينتظرهم.

-تيمة العنصرية التي كانت بين الجنود الفرنسيين والحركى والنظرة الدونية إليهم.
-تيمة الانتقام المجسدة في إنتقام جبهة التحرير الوطني من الحركى والفرنسيين المدنيين والعسكريين.

-تيمة المصلحة: بقي بن شارف مع مونتروي لآخر دقيقة ليأخذه معه إلى فرنسا إبان الاستقلال لينال عيشة راضية وامتيازات ووسائل.

- وحشية الاستعمار: فهو استعمل شتى أنواع التعذيب مع المجاهدين وقتل وتدمير وتهديم القرى والمدن بدون سابق إنذار.

- تيمة الخيانة: خيانة الحركى لوطنهم لأجل ظروفهم ومصالحهم.

هذه أهم التيمات /البنى الكبرى الموجودة في النصّ الروائي التي يمكن للقارئ أن يسترجعها في أية لحظة كانت، لكن قد تختلف هذه التيمات من قارئ لآخر، كما ساهمت هذه البنى الكبرى في لملت شمل الرواية والوقوف على اللحظات التاريخية الكبرى التي لملها الكاتب في هذا النصّ، جاءت هذه البنى لترسم تاريخا مليئا بالثغرات والفجوات سكت وأضمّر عنها المجتمع الجزائري وهمشها وغيبها، فهذه الرواية استطاعت أن تعطي صوتا للمهمش والمنبوذ المقموع "الحركى" الذي لم يعيش النصّر ولم يتذوق حلاوة الاستقلال ولا نعيم الوعود الفرنسية فعاش منبوذا في كلّ الفضاءات، فهذهالبنى الكبرى تشي بأشياء وتسكت عن أخرى إلا أنّها حاولت أن

تسترجع أهم المحطات التاريخية وخاصة التي تتعلق بالمنبوذين الحركي في الوسط الجزائري.

1-5- "طير الليل" المضمّر التاريخي في سواد الليل:

يعتبر عنوان "طير الليل" مليئاً بالتساؤلات والدلالات، "الطير والليل" تشيان بالكثير، هل هي رواية مليئة بالسّواد، أم بالأسئلة التي لانجد لها إجابة إلا عند دخولنا إلى مضمون النص، فالعنوان يستدعي فعلا تأويليا لفك شفراته ورموزه.

يطرح عنوان "طير الليل" بمبتدئه المحذوف والمضاف إلى الليل المحيل إلى النص الروائي بما يحمله من موضوعات عدة تساؤلات أهمّها: من هو طير الليل؟ لماذا استعمل الروائي طير الليل عن غيره؟ وماذا يقصد الروائي بهذا الاسم؟ إن القارئ لهذا العنوان يجد نفسه أمام لفظتين، الأولى هي "طير" هو اسم جمع لما يطير في الهواء بأجنحة، جمع طائر ويطلق أيضا على واحد¹.

أما كلمة "الليل" فهو ما يعقب النهار من الظلام والليل يقصد شديد السّواد لا ضوء فيه² ويدل على الغموض والمجهول وارتباطه بالزّمن، ومن خلال قراءتنا للعنوان في ضوء النص نرصد أنّ "طير الليل" هو الشخصية الرئيسية ميلود صبري في الرواية، هذه الشخصية المليئة بالخفايا والغموض لقب بهذا الاسم لكونه يلعب على الحبلين، قال عباس: "إن الشيخ بزيان فرحي هو أول من أطلق كنية طير الليل على ميلود، روى لهم مرارا قصة الخفاش الذي يلعب على الحبلين، إذا التقى

¹ - بن هادية علي والبليش بلحسن وآخرون، القاموس الجديد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط7،

1991، ص 597.

² - المرجع نفسه، ص 980.

بالطّيور أظهر لها جناحيه قائلا بأنه واحد منهم، وإذا التقى بالفئران، أبرز أسنانه قائلا بأنه مثلهم¹.

استطاع الكاتب من خلال هذه الشخصية أن ينقل لنا عدة أحداث ووقائع تاريخية من ذاكرة الجزائر، بداية من الثورة التحريرية التي تحمل عدة رسائل مشفرة إلى ما بعد الاستقلال مباشرة من "الانقلاب إلى الأزمة" التي عرفت الجزائر في مرحلة التسعينيات للتوقف بعد ذلك عند الحاضر الحامل لدلالات عن الفساد واستغلال الجهاد في المصالح الشخصية والسلبية.

1-6- التاريخ الاستعماري في تيمات/البنى الكبرى "طير الليل" :

سنتطرق إلى تسييج تيمات/موضوعات رواية "طير الليل" وذلك بعدما نعيد بناء سياق النص الروائي من جديد، فالقراءة الخطية للأحداث لمثل هذه الروايات لا تخدمنا باعتبار النص قائم على المفارقات الزمنية وكسر النمطية مليء بخلخلة الأحداث وكثرة المحكيات المنشطرة والخطابات المتداخلة.

وبعد قراءات متكررة وإعادة بناء النص من جديد استطاعنا أن نرصد الموضوعات الكبرى التي ساعدتنا على فهم النص وترتيبه والوصول إلى ما أراد الروائي أنيوصله إلى قارئه، فهو ترك الكثير من الفراغات بين السطور بيضاء على القارئ ملأها من خلفياته المعرفية والشروط التاريخية المساهمة في بناء هذه الرواية.

نذكر منها أول تيمة أو بؤرة كبرى التي بنى عليها الروائي روايته من بدايتها إلى نهايتها المتمثلة في التحقيق في جريمة قتل "ميلود صبري" ووفق هذه البنية الكبرى تتوالى بنى أخرى متجسدة في:

¹ - لخص عمارة، طير الليل، دار الحبر للنشر، الأبيار، الجزائر، ط1، 2019، ص 201.

-الخيانة والشرف: اللّتان كانتا إبان الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال بين المجاهدين، والصراع القائم بين المستعمر والمستعمر وبين أبناء نفس الجلدة المتمثلة في النّيمة السّياسية، بالإضافة إلى تيمة السلطة القائمة على سلطة المجاهدين والدولة على أبناء الوطن، وهناك بؤرة أخرى الصّراع الاجتماعي القائم على الحب والكره والانتقام والعنصريّة والخبث والشر.

وبعد تطرقنا إلى **البنى الكبرى** في الرّوايات الثلاث "كولونيل الزّبير الحبيب السّايح والحركي لمحمد بن جبار وطيّر اللّيل لعمارة لخص"، لاحظنا أن كلّها تخوض في تاريخ الجزائر إبان الاستعمار وبعد الاستقلال، لذلك يمكننا القول إن هذه الرّوايات تتشابه في **البنى الكبرى** أو **النّيمات**، لأنّها تتحدث عن الحرب التّحريرية والأحداث المأساوية، ثم تذهب بنا الرواية إلى ما بعد الاستقلال والعشرية السّوداء، كلّ هذه **البنى الكبرى** تحمل أجزاء من الأحداث التي تعيد تكوين نفسها رغم أن الزّمن يتغير من (آلام ومعاناة وخيانة وظلم وذبح وقتل وتضحية في سبيل الوطن)، كلّ هذه المواضيع تشكّلت منها الرّوايات قيد الدّراسة.

إذا استنتقت هذه الرّوايات سياقات تاريخيّة أسسها الرّوائيون على أثر متخيل كالشّخصيات المكان والزّمان، ساعدت على لملمة بعض الفجوات التّاريخية.

إنّ الرّوائيين من خلال تطرقهم إلى هذه **المواضيع التّاريخية** الحساسة ونقلهم من موضوع إلى آخر ليس عبثاً وإنّما بهدف ومقصديّات موجودة في النّص الرّوائي، قد تكون لتأسيس وعي إيديولوجي جديد عن طريق التذكير بمنجز الثورة أو لإيصال رسالة للقارئ ليرفع السّتار عن بعض الحقائق التّاريخية التي اندثرت أو غُيّبت.

وكلّ هذه الرّوايات هي عبارة عن رحلة بحث عن خفايا وخبايا التّاريخ الجزائري محاولين كشف السّتار عما هو مسكوت عنه ومضمّر في مجتمعنا الجزائري.

1-7-الذاكرة التاريخية في الروايات:

بعد تطرقنا إلى البنى الكبرى لروايات "كولونيل الزّبربر والحركي وطيّر اللّيل"، سننتقل الآن إلى البحث عن الاستمرارية الموضوعاتية أو التتابع الموضوعاتي *continuite thematique* أي "العلاقات بين محتويات الملفوظات المتعاقبة التي تعتبر حسب محلي الخطاب إنّما أحد العوامل المهمة في أحكام الانسجام على خطاب معطى"¹، ونركز على استمرارية الموضوعة التاريخية في كلّ النصوص الروائية التي محل الدراسة، وسؤالنا كيف استمرت الموضوعة التاريخية في كلّ رواية ووصلت إلى نهايتها؟ هل حافظ الروائيون على وتيرة واحدة في سرد الموضوعات التاريخية؟.

1-7-1-رواية "كولونيل الزّبربر" موضوعات الذاكرة التاريخية:

إذا قرأنا "رواية كولونيل الزّبربر" للحبيب السّايح في فرادتها باستطاعتنا ضبط الاستمرارية الموضوعاتية، رغم أنّها رواية مليئة بالموضوعات والأحداث والشّخصيات والقفز من موضوع إلى آخر هذا كلّ لا يعيقنا عن تحديد التتابع الموضوعاتي، لأنّ هذه الرواية تسطر مقصد تسير لأجله.

ومما سبق نلاحظ أنّ الاستمرارية الموضوعاتية، في رواية "كولونيل الزّبربر" التي تحمل جزءا من الذاكرة التاريخية من بدايتها إلى نهايتها ممزوجة بالبعد التخيلي الذي يساعدنا على رسم خطى هذه الرواية المليئة بالتناورات الزمنية التي تخرق خيط السرد وتنوع حضور التاريخ الثوري في النص.

إذ تبدأ الرواية بعد تسليم "طاوس الحضري" ابنة "جلال" الملقب "بكولونيل الزّبربر" فلاش ديسك الذي يحتوي على مذكرات "مولاي الحضري" كان ضابطا في

¹ - روبول آن و موشر جاك، تداولية الخطاب الروائي "من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب"، ص 216.

جبهة التحرير الوطني، سجل فيه المعارك التي خاضها في جبل زبربر وعن سبب استقالته من الميدان السياسي غداة الاستقلال، وكذا يوميات جلال الذي أراد إكمال مشروع الأب في التّضحية لأجل الوطن بحياته في أكاديمية شرشال ومهمته التّصدي للجماعة الإرهابية المسلحة.

كما لاحظنا أنّ الاستمرارية الموضوعاتية أتاحت لنا فهم الرواية التي تحمل في ثناياها الكثير من الآلام والمآسي والمشاهد وتصور لنا وحشية وبشاعة الحرب بأنواعها، وما جعلنا لا نجد صعوبات في فهمها وجود سارد متحكم في السرد نظم لنا المعلومات وأعطى لنا إحالات وإشارات ملأت الفجوات والثغرات الموجودة بين المواضيع.

ونستنبط من جهة أخرى احترام الرواية للاستمرارية الموضوعاتية من خلال تطرقها لعدة حقبات تاريخية، ليمرر الكاتب بعض الرسائل الموجودة بين سطور الرواية فعلى القارئ الاستدلال عليها ليكشف اللثام عن المضمّر والمسكوت عنه، لأنّ الكاتب بهذه الرواية أبى أن يفضح ما كان مسكوتا عنه ومضمرا في هذه المراحل التاريخية.

1-7-2- صوت الحركي موضوعة مستمرة في كلّ الرواية:

نشير بداية إلى أنّ الاستمرارية الموضوعاتية، تختلف من نص إلى آخر وذلك حسب كلّ روائي وطريقة كتابته وتأليفه، سنتتبع استمرارية موضوعة التاريخ في هذه الرواية.

إنّ رواية "الحركي" عبارة عن مذكرات صاغها السارد العليم بكلّ شيء "محمد بن شارف" عن حقبة حساسة من تاريخ الجزائريّين السنوات الأخيرة من عمر الاستعمار من 1960-1962، فالكاتب أعطاه المشعل ليمارس حضوره دون أسر أو زيف.

بدأ السارد "بن شارف محمد" الملقب بالحركي مذكراته بسيرة ذاتية عن حياته باعتباره أحد الحركي الذين رحلوا من الجزائر بعد الاستقلال، ومن هنا ولج إلى الأوضاع السائدة في تلك الفترات خاصة أوضاع الحركي أو المخازنية الذين انضموا إلى صفوف فرنسا وخانوا وطنهم لأسباب، باعتبار أن هذه الثيمة الكبرى للرواية وجوهر النص الروائي، ويتجلى في داخل هذا الموضوع بعض الموضوعات الأخرى؛ حيث استطاع الكاتب الانتقال من موضوع إلى آخر دون الإخلال بالمعنى والبقاء على الاستمرارية الموضوعاتية كالحديث عن الاستعمار ووحشيته والعنصرية التي كانت بين الجنود الأوروبيين والحركي أو المخازنية وتأنيب ضمير الحركي والخوف من المستقبل أدى إلى انتحار بعضهم.

وما أحالنا أيضا إلى وجود استمرارية موضوعاتية داخل النص الروائي الشخصيات التي تلعب دورا مهما يستتبط منها القارئ تتابع الموضوعات، فرواية "الحركي" تعتمد على العديد من الشخصيات أهمها السارد الذي يضطلع بتنظيم الأحداث ونقلها مع تهيئة الجو المناسب للقارئ ليوصله إلى المقاصد المبتوثة بداخله، فهو يعدّ شخصية مركزية وفي نفس الوقت سارداً عليماً بكلّ شيء به ابتداء السرد وعليه انتهى وهو "محمد بن شارف" الذي يستمر موضوعه عن الحركي، ونلاحظ الشخصيات نفسها موجودة في الرواية ككلّ، هناك من أعطى لهم السارد صوتاً وهناك من تكلم بلسانهم كشخصيات المخازنية أحمد بلوط وبن عيسى الريح وجلول... تحدثوا عن حياتهم في لاصاص ومصائرهم وما سيؤولون إليه بعد الاستقلال، وشخصية العقيد مونتروي والعديد من الشخصيات التي عن طريقها خلقت استمرارية موضوعاتية رغم اختلاف المواضيع إلّا أن هناك رابط بينهم هو "الحركي" والقارئ بمجرد قراءته للرواية لا يحس بقطع أو انشطار في النص الروائي، فالكاتب استطاع أن يللمم شمل الرواية ولا يعيق القارئ.

ومما تقدم يمكننا القول بأننا توصلنا إلى الاستمرارية الموضوعاتية من خلال وضوح الفكرة التي بنى عليها الكاتب روايته، واستطعنا تحديد بداية ونهاية هؤلاء الحركي منهم بن شارف محمد، وهذه الاستمرارية الموضوعاتية كانت تمشي داخل الرواية وفق غاية ومقاصد أراد الكاتب "محمد بن جبار" أن يوصلها للقارئ بمعرفة ضمنية متسترة، يمكننا الاستدلال عليها بما هو ظاهر ومباشر، فالكاتب قصد أن يعطي للحركي صوتا ليعيد بناء سياق يُحاكم عن طريقه كلّ الأصوات التي تهمش الحركي، كما أنه يدعو من خلال هذا القارئ إلى إعادة النظر حول "صوت الحركي" الذي كان مغيبا ومضمرا، محملا بالمكبوتات التي لا أحد تجرأ للحديث عنها في رواياتهم ذاكرًا الأسباب التي دفعت بهؤلاء الحركي أن يصبحوا كذلك ويفرطوا في أرضهم وأبناء شعبهم ويقفوا مع العدو، لكن السؤال الذي يطرق باب تفكيرنا هل الحركي الذين تكلموا في النصّ الروائي هم الحركي الذين خانوا الوطن؟ أم أن الروائي حافظ على صورة نمطية حولهم وسكت عن قضايا كثيرة تمسهم؟.

1-7-3- طير الليل" موضوعة لموضوعات متفرعة:

يلاحظ قارئ رواية "طير الليل" أنه نص متشعب ومتشظي، ينتقل فيه الروائي من فصل إلى آخر ومن موضوع إلى آخر، ما أعاقنا عن ضبط الاستمرارية الموضوعاتية التي بإمكاننا الوصول إليها إلا إذا قرأنا الرواية ككلمة واحدة ونعيد بناء سياقاتها وعالمها الخاص ما يساعدنا على فهم التداخلات الزمنية وفهم سر الاسترجاعات، ونجد بعدها تبريرا للموضوعات المقحمة بطريقة لا يمكن اعتبارها عشوائية، فالقارئ هنا كسر نمطية القراءة الكلاسيكية.

جاء الروائي "عمارة لخص" في هذه الرواية بنوع جديد من الكتابة عن غيرها من رواياته الأخرى كالقاهرة الصغيرة وكيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك.

أراد الرّوائي من خلال هذه الرّواية استتطاق تاريخ متقاطع مع الحاضر، أغفله المؤرخون أو سكتوا عنه عمداً، فهذه الرواية كانت بمثابة إكمال بعض النّقائص التي هي عبارة عن فجوات وثغرات في التّاريخ الجزائري الرّسمي.

بدأ الرّوائي روايته من الأخير من جريمة قتل شخصية ميلود صبري الملقب بطير اللّيل فهي تشبه الرّواية البوليسيّة، وعن طريق هذا الحدث استحضر الرّوائي أحداث مرجعيّة تاريخيّة ربطها بهذه الشّخصية المركزيّة في الرّواية التي تسلط الضوء على خبايا التّاريخ، إذ خلق الرّوائي تشابكات من المواضيع ليكشف عن قضية "طير اللّيل" أن فيها أحداثاً تاريخيّة استعمارية وبعد الاستعمار، تحدث أن ميلود صبري دخل في تصفيات وكان الخائن في وقت الثورة خان أصدقاءه، لذا تحدث عن الخيانة التي كانت ماثلة بين المجاهدين والصراع القائم بينهم، ما أدى إلى الظلم والآلام، ثم انتقل إلى العشريّة السّوداء عن طريق الاسترجاعات والاستنكارات، ساعدتنا على الوصول إلى الاستمراريّة الموضوعاتيّة وصولاً إلى الحاضر المليء بالفساد والرشوة والعنصريّة التي نتجت عن السلطة أو كما يلقبها عمارة لخص في روايته "جماعة الفوق"، وكلّ هذه المواضيع حافظت على الاستمراريّة الموضوعاتيّة لوجود شخصيّة ميلود صبري في كلّ المواضيع التّاريخية باعتباره مجاهداً خان الثّورة واستغلّلقب "المجاهد" في مصالحه الشّخصية الفاسدة والسّلبية.

كما نتأمل وجود سارد عليم بكلّ شيء قام بتنظيم الأحداث والربط بينها من خلال إحالات وإشارات كالضمير الغائب وأسماء الشّخصيات فهو تكفل بنقل الأحداث وتمريضها للقارئ من وجهة نظره، إذا نلاحظ أن هذه الرواية حافظت على استمراريّة مواضيعها من البداية إلى النهاية لأنها تسير وفق مقصد وغاية هي

إمالة اللّثام عن بعض الحقائق التّاريخية التي كانت متخفية ومتسترة وراء التّاريخ المزيف كتبه المنتصرون.

بعد وقوفنا عند الاستمرارية الموضوعاتية التي حددناها في رواياتنا "كولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل"، لاحظنا أنّ مواضيعها متماسكة ومترابطة تدفع بعضها البعض لتحقيق المعنى الذي يسعى الخطاب إلى بثه وطرحه، والمتأمل في الروايات يرى أنّها مزج بين السّرد والتّاريخي، فهي أعادت استرجاع واستذكار أجزاء من الذاكرة التاريخية تعدّ بمثابة رسائل مشفرة بعثها الرّوائيون إلى القارئ لإعادة النّظر والرّؤى في بعض الحقائق التّاريخية التي غيّبت وتناست في التّاريخ الرّسمي قد يكون عمديا وقصديا أو عن غير ذلك، فكلّ الروايات التي بين أيدينا جاءت لتتقّب وتحفر وتبحث عن خفايا التّاريخ المسكوت عنه والمضمّر لتعريه وتقضحه كما هو في حقيقته التّاريخية وبأخطائه المضمرة في الواقع الجزائري.

2-الخطابات المنقولة ورصدها للتاريخ المضمّر على المستوى النّصي:

احتفت الرواية الجزائرية المعاصرة بالعديد من أنماط الخطابات التي تنوعت صيغها السّردية في بنائها، منها الخطابات المنقولة التي لقيت ترحيبا من قبل المنظرين والباحثين أهمهم: وميخائيل باختين وبانفيلد جيرار جينيت وآخرون...، حيث اختلفت تسمياتها من خطابات منقولة وخطاب مروي وخطاب الغير.

ومما تقدم فقد لاحظنا أنّ الروايات الجزائرية قيد الدّراسة " وكولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل"، تميّزت بكم هائل من هذه الخطابات المنقولة التي شكل حضورها خاصية بارزة من بداية إلى نهاية الرواية، وتنقسم هذه الخطابات المنقولة إلى عدة أنواع متجسدة في: الخطابات المنقولة المباشرة والخطابات المنقولة غير المباشرة، التي سنحاول الوقوف عندها ونرصد أهم المقاطع مثلث ونقلنا التّاريخ المضمّر من خلال المتون الرّوائية.

2-1- السرد التاريخي من خلال الخطابات المنقولة المباشرة:

يتميز هذا النوع من الخطابات بإحداث قطيعة بين الراوي والشخصية، إذ يتمكن الراوي من إعطاء صوت للشخصية لتلفظ مباشرة عن ذاتها، وما يراودها في ذهنها لتعرض أقوالها دون تدخله (الراوي)، أي هو "قول يصدر عن إحدى الشخصيات فينقل بحرفيته، وتكمن مهمة الراوي في إيراد كلام الشخصية التي تنتهي إلى المروي له"¹، كما عليه الاكتفاء فقط بتمهيد لخطاب الشخصية²، فينصهر السارد أو الراوي فتحل الشخصية محله، ويردّ الخطاب المباشر في عدة أشكال نكتشفها من خلال الأقوال التي نستخرجها من متوننا الروائية.

وشهد الخطاب المباشر تطورا حاسما في الروايات الجزائرية المعاصرة، ما لمحناه عند قراءة النصوص الروائية التي اعتمدنا عليها في دراستنا (كولونيل الزيرير الحركي وطيير الليل)؛ حيث تناثرت عبر فصولها، ومنها سنقوم برصد جملة من الخطابات المنقولة المباشرة نقلت مراحل تاريخية مربها المجتمع الجزائري، هذا ما نوضحه في الجدول التالي:

¹ - القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، ص 186.

² - للتوسع في أشكال ورود الخطاب المباشر يمكننا العودة إلى: كتاب جيران جينيت خطاب الحكاية وكتاب

محمد القاضي وكتاب الراوي مدخل إلى النظرية السردية، الورقة 18.

165

الاستقلال من طرف الدولة غير المبالية لا بالمجاهدين ولا الشهداء، وإنما تنحوف فقط وراء مصالحها.		برتبة عقيد في صفوف جيش التحرير بتهمة الخيانة من طرف الدولة الفرنسية.	-أطعنا الأوامر بأن ندينه بأقصى عقوبة. فعلنا الآن نلتمس منكم تخفيف الحكم عليه بالموت إلى عقوبة السجن المؤبد. -نفذوا الحكم. هذا أمر...¹
صور لنا هذا الشاهد معاناة المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية، الذي حرّمهم من أبسط حقوقهم وهو الدفن وقراءة الفاتحة على أرواحهم. من خلال هذا المقطع أراد	شخصية منصور شخصية متكلّمة تتكفل بنقل الحدث بطريقة مباشرة دون وساطة الراوي.	جاء هذا الملفوظ من منصور يكلم مولاي بوزقة بحزن وبحرقة، عما يجري للأهالي في المحتشد الذي أقامته فرنسا لحراستهم	قال منصور: أهالينا في السلك صاروا مراتع للسل والخرع يموتون بالعشرات. يردمون. لا يحظون، مثل البشر، بدفن.

¹ - السايح الحبيب، كولونيل الزيرير، ص 274.

الكاتب أن يذكر القارئ أن فرنسا قامت بأبشع المجازر في حق المجتمع الجزائري.		بأسلاك شائكة، ماولد معاناة من جوع وقهر ومرض، هذا ما جعل منصور يتوسل إلى مولاي بوزقزة تسليمه بندقية لطرّد فرنسا بأسرع وقت ممكن.	
نلمس من خلال هذا المقطع المونولوجي اعتراف من طرف الحركي، الذي حاول محمد بن جبار من خلاله	الشخصية المتلفّظة محمد بن شارف الملقب	هذا الخطاب عبارة عن مونولوج جاء سياقه عن الحركي محمد بن شارف يخاطب نفسه	رواية الحركي "وقفت أمام نفسي بشجاعة نادرة، طيب أنا الآن حركي، سواء حملت السلاح، أم لم تحمل السلاح، أنت خائن، خائن وطنه، هكذا يقولون عنك، يجب أن تعرف بكل قذارتها فأنت قذر ومغرق في القذارة، هل هناك مخرج لهذه الوضعية، لا أعتقد، لا مخرج سوى الاستغراق في العمالة، إبقى حيث أنت وحاول

أن تحافظ على حياتك قدر المستطاع، هذا ما تبقى لك" ¹	ويعترف أمام المرأة بأنه خائن وطنه، يمزج هذا الاعتراف مع الحسرة والحزن على ما وصل إليه.	الحركي مع ذاته.	تصحيح فكرة القارئ الخاطئة عن المخازنية أن لديهم ضمير يؤنبهم لخيانة وطنهم رغم تعاملهم مع فرنسا وذلك وفق طاقاتهم وجهدهم.
"لا يهني تمرد الجنرالات بقدر ما يهمني أن أبقى مع النقيب مونتروي فذهابه يمسني بسوء وخصوصا في وجود أشخاص أمثال الغيري، مخاوفي بدأت تنمو كما تنمو الطحالب، التغييرات الطارئة لم تكن أبدا في صالح المخازنية العالقين بين الشرف والخيانة وبين جزائريتنا وفرنسيتنا، بين الحق والباطل، نحن أشبه بالعاشرات ننتقل من يد إلى أخرى ومن شخص إلى آخر دون أن	جاء هذا المقطع، عند نشر الغيري أفكار تمس بالنظام والشرف العسكري، مما أدى إلى انشقاق وتمرد	الشخصية المتحدثة سارد عليم بكل شيء محمد بن شارف.	يتجلى في هذا المقطع محاولة الكاتب تبين أن الحركي لم يقبلوا الوضع الذي هم فيه، ودائما ضمائرهم تؤنبهم لخيانتهم للوطن، والخوف

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 167.

والقلق من المستقبل، لأن الحركى لن يثقوا في فرنسا لولا الظروف التي أجبرتهم للذهاب في صف الجزائريين.		ألبير الغيري عن السيد مونتروي، فقام بن شارف بتحليل هذا الوضع داخل الثكنة متخوفا من التغييرات التي طرأت لأن مصيره ومستقبله مجهولان.	يكون لنا موقف في هذه الحياة، فقط ما نحصل عليه من مرتب في آخر يوم من الشهر"¹
			رواية "طير الليل"
المتمعن في الحوار يلاحظ أن الكاتب لامس في روايته جزءا من الواقع الجزائري بطريقة	حوار دار بين النقيب سمير والعقيد	ورد هذا الملفوظ في مكتب العقيد سلطاني عند قضية قتل ميلود	قال سمير: عندي معلومات حول قضية الكوكابين يا حضرات. -أنا في الاستماع. -أحد شركاء ميلود صبري في قضية الكوكابين هو شخص نعرفه جيدا.

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 105.

-من هو؟ -بلقاسمي. -عميدنا؟! - لا، طارق بلقاسمي. -ابن سي المعلم؟ -هو بالذات -والمعلومة مؤكدة؟ -مؤكدة جدا، يا حضرات.¹	صبري، ومن خلال التحري والبحث، توصل النقيب سمير إلى أن عميد الأمن ابنه طارق شريك مع ميلود صبري في قضية الكوكايين أو الفساد بصفة عامة.	السلطاني كريم.	متخيلة، وهي قضية الكوكايين التي شارك فيها العديد من أبناء الدولة، المتعلقة بتهريب الكوكايين المتورط فيها البوشي وآخرون.
- أيها الشعب الجزائري الأبّي، لم يكن صمتك خوفاً أو خضوعاً للاستبداد، كما كان يظن الطاغية الذي عزل اليوم عن الحكم، لقد اعتقد أنك استسلمت لنوم عميق، ولكن الأحداث قد برهنت أنه على عكس ذلك، وأنك علمت أن تأرك من الذين تحبهم لأبد أن	جاء هذا الخطاب المبتور عن سياقه خطاب الرئيس	الشخصية المتكلمة هواري بومدين	إن الروائي أراد استذكار حادثة الانقلاب العسكري عام 1956، هواري بومدين على

¹ - لخص عمارة، طير الليل، ص 162.

الرئيس أحمد	محاورا	السّابق	يكون في مستوى ثقتك بهم وإخلاصك وتأبيدك
بن بلة،	الشعب	هـواري	لهم قبل أن ينحرفوا عن الطريق السوي أو
والأحداث التي	الجزائري.	بومدين	يخونوا الأمانة التي وضعتها بين أيديهم ¹
وقعت في تلك		لشعبه في	
الآونة من		التّلفاز،	
موافق		ليخبرهم أنّ	
ومعارض،		الجزائر	
وتعذيب وقتل.		سترى الضوء	
		وتخرج من	
		كابوس	
		السّيطرة	
		والظّلم مع	
		الرئيس أحمد	
		بن بلة.	

يتضمن هذا الجدول أهم مقاطع الخطابات المنقولة المباشرة الموجودة في سائر نصوص مدونتنا، ولكن بنسب متفاوتة؛ حيث حاولنا اختيار بعض المقاطع المهمة التي نقلت لنا تاريخاً مغيباً مسكوتاً عنه ومضمراً بطريقة غير مباشرة، ففي المقطع الأول والخامس والسادس، وردّت على شكل حوار منقول مباشر بين شخصيتين، جاء الحوار مستقلاً عن كلام الراوي فهي نقلت على لسان شخصيات متحدثّة عن تاريخ

¹ - لخص عمارة، طير اللّيل، ص 95.

منسي يختلف ذلك من مقطع لآخر، إضافة إلى متأمل للناحية الشّكلية يلاحظ الاحتفاظ بجميع القرائن الشّكلية كعلامة الاستفهام؟ والاختلاف الأسلوبي من صيغة المتكلّم "أنا وعندي وعميدنا" وصيغ المخاطب "أيّها وسيدي..."، هذا ما دلّ على أنّ الخطاب منقول مباشر وجاهز نقل بحذافيه وبطريقة حرفيّة.

أما بالنسبة للقولين الثّالث والرابع من رواية "الحركي" على شكل حوار داخلي مونولوج، الشّخصية تتكلم مع ذاتها عن أفكارها دونما إعلان صريح عن القول، فالقولان مُسندان إلى ضمير المتكلّم الدال على الذات المتكلّمة المخاطبة في صيغة المفرد "لا يهمني، وقفت وحملت مخاوفي..."

وإذا تفحصنا المقطعين الثّاني والخامس يحتويان على شكل آخر، يدّل على الخطاب المنقول المباشر، يتجلى في "نقطتي القول قال:" الذي يبيّن انفصال كلام الشّخصية عن كلام الرّاي، أي نقل الخطاب بكل حذافيه على لسان شخصية (منصور وسمير).

ووفق ما تقدم فقد لامسنا الخطاب المنقول المباشر يمنح السّطة للشخصيات الرّوائية للتعبير عن ذاتها وأفكارها دون تدخل الرّاي، ونكتشف ذلك بقرائن: كالمونولوج الداخلي والحوار وبروز ضمير المتكلّم أنا، وصيغة الذات المتكلّمة المخاطبة إلى المتلقية المخاطبة، ونقطتي القول والاستفهام والنداء...

ويمكن القول بأنّ **الخطابات المنقولة المباشرة** الموجودة في المتون الرّوائية على مستوى الوظائف، قد خدمت جزءا من مقاصد الكّتاب الذين حاولوا الكشف عن بعض الفترات التّاريخية **المغيبة والمضمرة في تاريخ الجزائر** كالظّلم والقمع والفساد والخيانة وتأنيب الضمير، خلال الاستعمار وبعد الاستقلال مباشرة مرورا بسنوات الجمر إلى يومنا هذا.

2-2- رصد السرد التاريخي من خلال الخطابات المنقولة غير المباشرة¹:

يختلف هذا النوع من الخطابات عن الخطاب المنقول المباشر، يتميز بدمج كلام الراوي بين أقوال الشخصيات "فيضطلع السارد بخطابها"²، وينقل أقوالها الخاصة بلسانه، حتى يصعب على القارئ تحديد خطاب الشخصيات من خطاب السارد أو الراوي في النسيج الخطابي إذ "يقوم على الامتزاج والانصهار من صوتين صوت الراوي وصوت الشخصية"³، أي ينقل الكلام بلغة الراوي مسندا إلى ضمير الغائب، لعدم إحداث قطيعة بين تلفظهما الراوي والشخصية، فيختلط صوت الراوي بصوت الشخصية.

ومما تقدم سنستخرج جملة من الخطابات المنقولة غير المباشرة التي نقلت

لنا أحداثا تاريخية لحقبات معينة

الخطابات	سياق الخطاب	المتكلم	أنواعها	الوظائف
رواية "كولونيل الزبربر"				

¹ - يتولد من الخطاب المنقول غير المباشر شكل آخر من الخطابات هو الخطاب المنقول غير المباشر الحركما يسميه جيرار جنيت، أو ما تسميه كون مونولوجا مسردا، الذي من أبرز خصائصه عدم وجود معلّقات القول عنه ويكون الضمير الغائب إذ يكون الراوي متكلمًا بلسان الشخصية ويفكر بتفكيرها، للتوسع أكثر يمكن العودة إلى كتاب الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، ص 100. ص 24، القاضي محمد وآخرون، ومعجم السرديات، ص 181.

² - جنيت جيرار، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1988، ص 188.

³ - سيليفي باترون، الزاوي "مدخل إلى النظرية السردية"، تر: أحمد السماوي وآخرون، دار سيناترا، تونس، ط1، 2017، ص 307.

يصور هذا الخطاب صور شنيعة عن العشرية السوداء والجرائم التي حصلت فيها، فكان الكاتب يعتمد ذكر هذه الوقائع وما آلت إليه المزارع والقرى والسكان من خراب وقتل وذبح.	خطاب منقول غير مباشر حر.	نقل هذا القول بلسان الراوي في مكان شخصية كولونيل الزّيرير	ورد هذا المقطع عند تذكر كولونيل الزّيرير عملية تمشيط للإرهاب إثر تنصيب كمين للدرك من قبل المجموعة المسلحة، استرجع الهول والجرائم التي وقعت في سنوات الجمر.	1/ مثلاً أوراق خريف، هامي تنثال عليه صور من تلك السنين العشر من الاقتتال آثاراً لحرائق وخراب كانت تظاهرت له، وهو يغادر الزّيرير على طرفي الطريق الرئيسية التي يخوضها وطرق فرعية بعيدة قريبة في انحدارها المتدرج إلى السفح: أكوام رماد متحجرة هنا وبقايا هياكل مركبات عسكرية وأخرى مدنية بعضها مقلوب بفعل تفجير، وتلك الجدران المنهارة تشهد له على أنفي هذه الديار، تلك المزارع، ساكنين كانوا فيها، قتلوا أو هجروها¹
---	---------------------------------	--	---	---

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّيرير، ص 51.

2-أشار أوساريس إلى المظليين، فأصعدا بن مهدي فوق مقعد مكبل اليدين إلى الخلف ووضعاه في رقبته الحبل المدلى من عارضة سقف خشبية، ولم يفعل أكثر من أنه ركل المقعد بجذائه ثم ولى، مرددا ما كان سيعطنه لقد انتحر في مركز الاستنطاق كان فجر الرابع مارس من العام الثالث 1957 يزفر حزنه ¹	جاء المقطع عند جلب بوزقزة جريدة قديمة عليها صورة العربي بن مهدي وهو يبتسم بين المظليين عند القبض عليه بكل شجاعة وافتخربأنه أحد أبطال المجاهدين الجزائريين، فذهب بوزقزة برحلة ذهنية إلى كيفية قتل العربي بن مهدي على يد أوسارس واتهامه بتقرير الانتحار المعد سلفا.	على لسان الساردة نقلا عن كلام مولاي بوزقزة عن قتل العربي بن مهدي.	الخطاب غير المنقول المباشر الحر	يكشف لنا الكاتب حدثا واقعيا تاريخيا مهما مسكوتا عنه لعدة سنوات من طرف الجيش الفرنسي لاتهام الشهيد العربي بن مهدي بالانتحار في زنزانته، ولكن بعد سنوات تم كشف هذا المغيب والمسكوت عنه أنها عدم من طرف المظليين الفرنسيين.
--	---	---	---------------------------------	--

3/ الحركى بكل أصنافهم سواء كانوا من الدفاع الذاتي أو القومية أو المخازنية قلقون لأنهم اكتشفوا أنهم بدون قانون أساسي داخل وحدات الجيش، مجرد أشخاص يعلق عليهم الحركى ¹	ذكر هذا المقطع عند الاعتقاد بأن الزمن الفرنسي أوشك على نهايته، مما أدى إلى خوف وقلق المخازنية والحركى مما سيؤولون إليه بعد نهاية الحرب وهم بدون قانون يحميهم، وإنما هم أشخاص خانوا وطنهم يلقبون بالحركى.	السّارد ينقل لنا أخبار المخازنية.	الخطاب منقول من خلال هذا الاستدلال أن الحركى رغم خيانتهم للوطن، ووقوفهم في صف فرنسا لم تكن لديهم أية هبة أو كرامة من طرفهم، إنما في نظرهم أناس باعوا وطنهم وأبناء جلدتهم سيخونون فرنسا في أي وقت ليس لديهم أي ثقة في
---	--	-----------------------------------	--

¹ - بن جبار محمد، الحركى، ص 210.

المخازنية قمن خان وطنه، يخون غيره.				
يتضح من خلال المقطع أن هناك عدة مخازنية التحقوا بصفوف الجيش في الربع الأخير من الزمن ليس حبا في الاستقلال أو مصلحة الوطن، وإنما خوفا من المستقبل وسوء السمعة وعدم تقبله في الوسط الجزائري،	خطاب منقول غير مباشر	السّارد محمد بن شارف يتحدث عن المخازنية.	جاء هذا الخطاب عند دخول بن شارف إلى شالي المخازنية وجدهم في بؤس وحزن من المستقبل، إذ نقل لنا الكلام عن أحد المخازنية الذي أراد الفرار والالتحاق بجبهة التحرير الوطني، لمسح سوء السمعة الملتصقة بهم، لغسل ذنوبهم وليكسبوا معركة الضمير.	4/ كل شيء غامض الآن أي حركة غير محسوبة تقتلنا قال أحد المخازنية وهو يدخن بقوة ينفث ويلهث وينفخ، كأنه يطرد عليه الهواجس ويبحث عن الفرار والالتحاق بالجبهة، سمعنا هذه الأيام عن جنود نظاميين عرب انضموا إلى الجبهة في الربع الأخير من الزمن يمسح ما مضى من التاريخ من سوء السمعة، قابض خيانتهم برشاش فرنسي، أغلب المخازنية يفكرون كذلك، تبييض الوجوه وتبرئة الذمم وشراء الشرف وإسكات صوت الضمير، الجميع يعرفهم، انضموا إلى جيش التحرير بروح فرنسية وبنفس انتهازية

باعتبار هذا المقطع تاريخاً مسكوتاً عنه.				خبيثة، لكنهم كسبوا معركة الضمير وكسبوا قلوب الشعب وخمدوا من ثأرهم ونقمتهم، بدلاً من ذلك أصبغوا عليهم صفة الأبطال الأبطال الربع الأخير من الزمن ¹
				رواية "طير الليل"
كشف لنا الرّوائى تاريخاً مضمراً ومغيباً، سبب قتل بوضياف أمام الملاء مباشرة.	خطاب منقول غير مباشر حر	الرّأوى ينقل كلاماً عن خطاب بوضياف عن طريق شخصية ميلود صبري.	ورد هذا الملفوظ عند مشاهدة ميلود صبري ويوسف مصباح على التلفزيون خطاب رئيس الدولة الأعلى السّابق محمد بوضياف، الذي اعتبر أنّجبهة التحرير ماتت وانتهى عهداها، ماترك تساؤلات لماذا اعتبر	5/ تابع ميلود صبري مع نسيبه يوسف مصباح مراسيم وصول رئيس المجلس الأعلى للدولة محمد بوضياف في التلفزيون على المباشر، حظي باستقبال الأبطال وكان صف المرشحين من عسكريين ومدنيين طويلاً، وزع بوضياف قبلات كثيرة، في القاعة الشرفية، أدلى على تصريحات مهمة كقوله إن حزب جبهة التحرير انتهى

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 165.

دوره عام 1962، ويجب وضعه في المتحف ¹ .	بوضياف أن FLN مات عهدا ودورها وهو أحد أبطالها؟			
6/ كان النقاش بين ميلود صبري وإدريس طالبي حادا على الدوام، وكانت فريدة تتجنب المشاركة كليا فيما كانت زهرة تقف على الحياد، إذ لم تكن راضية كل الرضى على سياسة بومدين خصوصا في موضوع خرق حقوق الإنسان وممارسة التعذيب، ولكنها، في الوقت نفسه، كانت تعرف بفضلها في ترسيخ في الوحدة الجغرافية وحماية الجزائر من التمزق والتناحر. كادت الولايات الست المنبثقة خلال الثورة أن تتحول إلى دويلات	ورد هذا الخطاب حينما خرج إدريس طالبي من المعتقل عند تعذيبه بين 1965 و 1977 عند انقلاب بومدين على أحمد بن بلة، فمن خلاله دار النقاش...	التباس صوت الراوي بصوت الشخصية. حر.	خطاب منقول غير مباشر	لخص هذا المقطع مافعله هواري بومدين عند انقلابه على أحمد بن بلة لمعارضتي هذا الانقلاب من اعتقالهم وتذوقهم لأنواع التعذيب من جهة أخرى الأعمال الاجتماعية التي قام بها

¹ - لخص عمارة، طير الليل، ص 196.

ترسخ الوحدة الجغرافية وحمايتها من التشتت والانقسام إلى دويلات صغيرة.				بعد الاستقلال لولا إمساك بومدين بزمام الأمور ¹ .
--	--	--	--	--

ما نستخلصه من الجدول أنّ الأقوال كانت ممزوجة بين صوت الراوي وتأمّلات الشخصية، من خطابات غير مباشرة وخطابات منقولة غير مباشرة حرة، إذ نجد المقاطع 1 و2 و3 و4 و5 و6 مصوغة بطريقة الخطاب غير المباشر الحر، يتدخل الراوي في كلام الشخصية دونما إعلان صريح عن وجود معلّات القول، كما تغيب فيه ضمائر المتكلّم والمخاطبة، وتتوفر فيه ضمائر الغائب من حيث إنّ كلام الشخصية يساق في كلام الراوي كـ (وهو يغادر، أشار، فأصعدا، أصنافهم، اكتشفوا، تابع...)، فهذه الضمائر والأفعال تحيلنا على وجود متكلّم بلسان الشخصية عما في جيبها وتفكيرها عن أحداث تاريخية مغيبة في المجتمع الجزائري منقولة إلينا عن طريق خطاب منقول غير مباشر حر.

أمّا بالنسبة للمقطع الرابع منقول إلينا عن طريق شخصية السارد محمد بن شارف عن المخازنية أو الحركي، باعتباره خطابا منقولا غير مباشر لكنه صريح أي قول معلّن يصاغ بعبارة الراوي عند قوله "قال أحد المخازنية وهو يدخل بقوة وينفث"، ففي هذا المثال لم ينقل لنا القول بلسان الشخصية، وإنّما نقلت بلغة الراوي متكلّما

¹ - لخصّ عمارة، طير الليل، ص 117.

على ضمير الغائب "هو وهم"، والمتأمل الجيد في المقطع يعرف أنّه كلام إحدى الشخصيات "أحد المخازنية"، ومزجها السارد "محمد بن شارف" ضمن خطابه فهو حافظ على المضمون وغير في اللفظ.

نستنتج مما سبق أنّ الخطابات المنقولة المباشرة وغير المباشرة ساعدت الرواية على لملمة شتاتها في قالب واحد يؤدي إلى انسجام موضوعاتها وأحداثها التاريخية، فالروائي استطاع من خلال هذه الخطابات المنقولة استنطاق وفصح أحداث تاريخية متخفية وراء التاريخ المزيف، على القارئ الاستدلال عليها للولوج في غمار المضمّر والمغيب من كتب التاريخ.

3- الرؤية السردية وحضور التاريخ المضمّر على مستوى النص:

3-1- استراتيجية التّبئير ونقلها للتاريخ في رواية "طير الليل":

اقترح جيرار جينيت مصطلح "التّبئير"، كبديل عن المصطلحات¹ والمفاهيم التي عاب عليها الخط بين الصيغة والصوت، أي من يتكلم؟ ومن يرى؟ إنّ التّبئير أكثر تجريد وتجنب للبعد البصري والنظري فهو لا ينحصر وفق إطار النظر، وإنّما تجاوز ذلك إلى حواس الإدراك الأخرى كالسمع، فالتّبئير "مبدأ تنسق بمقتضاه عناصر العالم المتخيل انطلاقاً من بعض المنظورات أو انطلاقاً من موقع خاص"²،

¹ - تعددت مصطلحات التّبئير إلى مصطلحات الرؤية (vision) ووجهة النظر (point de vue) والنظر

(aspect)، إلا أنّ جيرار جينيت خالف هذه المصطلحات ووضع مصطلح التّبئير باعتباره ذات أبعاد بصرية ونظرية خاصة، للتوسع أكثر العودة لكتب: Gerard Genette. figures III. P206، الخبو محمد بن محمد،

الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 518.

² - الخبو محمد بن محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 518.

فالرّاي أو الشّخصية يأخذان موقعا بؤريا يحددان من خلاله إطار الرّؤية حول ما يجري في الخطاب ومن حولهم، فكيف يتجلّى هذا في المتن الروائي "طير اللّيل"؟
قسم جيرار جينيت التّبئير إلى ثلاثة أصناف، وأعطى لكلّ نمط تبئيري حدوده تكمن في¹:

1- التّبئير الصّفري أو القصة غير المبارة: أو ما يطلق عليه الأنجلوساكسونيين في الرّواية الكلاسيكية السّارد العليم بكلّ شيء Narrateur (omniscient)

2- التّبئير الداخلي (Focalisation interne): يرتبط بزوايا النّظر التي تنظر منها الشّخصية إلى الأشياء في مجال حصري، فالسّارد لا يقول إلّا ما تعلمه الشّخصية، ويكون هذا التّبئير ثابتا (Fixe): إذا تعلق الأمر بشخصية مبارة واحدة في الخطاب، أي لا تتغيّر تبقى ثابتة، يكون متغيّرا (Variable): إذا تغيّرت الشّخصية عدة مرات، ويكون متعددا (Multiple): إذا أمكن التّصدي للحدث الواحد مرات عدة حسب وجهات نظر شخصيات مختلفة.

3- التّبئير الخارجي (Focalisation exterieure): يقول السّارد أقلّ مما تعلمه الشّخصية، ويتحرك فيها البطل أمامنا دون معرفة أفكاره وأحاسيسه وعواطفه، يكتفي بالوصف الخارجي فقط.

لم يختلف تقسيم جيرار جينيت عن تقسيم جان بويون وتزفيتان تودوروف².

¹ - جينيت جيرار، خطاب الحكاية، ص 313. Genette. Figures III. P201.

² - يطلق بويون على السّارد العليم بكلّ شيء، الرّؤية من الخلف، ويرمز إليه تودوروف بالصيغة الرياضية سارد <شخصية>، ويطلق على الصنف الثّاني الرّؤية مع، وتودوروف يرمز له السّارد = الشّخصية، أما النمط الثّالث يطلق عليه بويون الرّؤية من الخلف أو الخارج، ويرمز إليه تودوروف السّارد > الشّخصية، للتوسع أكثر العودة

هذه إذن تصنيفات التّبيير عند جيرار جينيت سنحاول تطبيقها على النّص الرّوائي، فما مدى استجابة رواية "طير اللّيل" لهذه الأصناف؟

نال السارد العليم بكلّ شيء في رواية "طير اللّيل" حصة الأسد فكان قريبا من الشخصيات والأحداث التي بإمكاننا رؤيتها من منظوره الخاص، فسارد "طير اللّيل" لم يشارك بصفته شخصية، وإنّما بقي خارج الحكاية باحتلاله الدرجة الأولى¹، أي سارد من الدّرجة الأولى، لديه معلومات ومعارف تفوق طاقة إدراك الشّخصيات لها؛ حيث تكفل بها الرّاوي أو السّارد بضمير الغائب للقيام بالحكي عن متخيل تاريخي لمراحل تاريخيّة في الجزائر متخفيّة وراء السّتار كقوله: "انخرط ميلود فيلعبتين قلبا وقالبا: السّلطة والرّهان على سباق الخيول، اكتشف مبكرا من خلال عمله في الاستخبارات أيام الثّورة ونضاله في صفوف حزب جبهة التّحرير الوطني عقب الاستقلال أن السّلطة الحقيقيّة موجودة في الخفاء، هناك الكثير... السّياسيين مثل رفيق عمره إدريس طالبي، الذين يعتقدون أنّ السّلطة يجب أن تكون في الحكومة والبرلمان أو في دواليب الحزب، ولكن الواقع كان غير ذلك، فأول دستور معتمد بعد الاستقلال، تحديدا في عام 1963، تمت مناقشته على يد حفنة من السّياسيين الموالين للرئيس أحمد بن بلة، في قاعة السّينما الماجيستيك في باب الواد في العاصمة، بعيدا عن أعين أغلبية البرلمانيين الذين انتخبهم الشعب، كان سي أحمد أو الأخ بن بلة هكذا يجب أن يناديه الشعب، يمسك تقريبا بالسلطات

لكتاب. Gerard Genette. figures III. P206، وكتاب جيرارجينيت، خطاب الحكاية، ص 212، ، الخبو

محمد بن محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 522.

¹ - الخبو محمد بن محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 444.

كلها، فهو رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة...¹، يقوم السارد في هذا الاستدلال بتعرية تاريخ مسكوت عنه ومضمّر، قام بدوره كناقل للأحداث التاريخية التي وقعت في فترة محددة 1963، كان الزاوي في تبئيره عليما بكلّ المعلومات ماتركه يعبر عن معلوماته بدقة وثقة، أي بطريقة التّبئير الصّفري، فالزاوي أراد أن يبيّن أنّ التاريخ مليء بالمفاجآت يحتوي كما يقول باختين على جزء ظاهر يراه الشعب، وجزء باطني متخف وراء هذا الظاهر المتعلق بخفايا السّلاطة فيما بينها بعيدة عن أعين البرلمان والشّعب، فالزاوي مثل بهذا المثال ليدعم رؤيته، فأول اجتماع قام به أحمد بن بلة لمناقشة الدستور المعتمد بعد الاستقلال بعيدا عن البرلمانين مع ثلة من السّياسيين الموالين له.

ومن خلال القول اعتبرنا أن السارد عليم بكلّ شيء لوروده واقعة تاريخيّة متسلّ من البعد التّخييلي إلى البعد التّاريخي الواقعي هدفه تفتين القارئ لينتقلبه من النّظرة الأحاديّة إلى رؤية الأمور بطريقة يهز بها ثقته بجماعة تتلاعب بالتاريخ لمصالحها، ليسهم أيضا في تعديل بعض النّظرات والزوايا ويغربل كلّ كلام يقرأه أو يسمعه ليتوصل إلى الحقيقة المكنونة بين السطور ولا تُقال من طرف التّاريخ الرسمي.

لاحظنا أنّ رواية "طير اللّيل" تحتوي على "سارد عليم بكلّ شيء"، يروي الأحداث باستخدام ضمير الغائب، ويضع القارئ أمام مواضيع تاريخيّة يتخلّلها المتخيّل ليفضح أشياء ويسكت عن أشياء أخرى، من استعمار وما أفرزه من صراعات وخيانات بين المجاهدين إلى الانقلاب الحكومي مرورا بسنوات الجمر تاركة آلاما وثغرة في نفوس الجزائريين وصولا إلى الفساد الذي غزى الجزائر وأدخلها

¹ - لخص عمارة، طير اللّيل، ص 93.

في أزمة عدم الثقة لا بالسلطة ولا بالحكومة ولا بالتاريخ، كلّ هذه المواضيع مزجها السارد وحكاها بلسانه واقفا خلف شخصياته، لكي لا يغفل عن أية صغيرة أو كبيرة ولإبدائه أحكاما تقييمية وأخلاقية ومعارف وأخبارا تدفع فضول القارئ لطرح الكثير من علامات الاستفهام حول الوضع القائم ما كان وما سيكون.

يتبيّن لنا أيضا من خلال النصّ الروائي أنّ الكاتب منح في بعض المقاطع صوتا ورؤية للشخصيات المؤطرة التي تقوم بدور المبيّرداخل الخطاب ليتركها تتكلّم وتفضفض عن ذواتها بعيدا عن السارد في نطاق ماسماه جيران جينيت تبئير داخلي، أي تصبح الشخصية بمثابة السارد تنظر للأشياء من زاويتها ووجهة نظرها، ومن المواطن التي يبرز فيها النوع لما قال رشيد قادري إلى العقيد سلطاني: أنا ضد التعذيب، عذبي الاستعمار، وعذبي الاستقلال¹، فالسارد ترك في الخطاب دفة القيادة للشخصية قامت بتبئير نفسها بضمير المتكلّم ومدرّكة لما وقع لها عن حدث التعذيب الذي يعدّ جريمة في حقه فهو ذاق مرارته مرتين إبان الاستعمار وإبان الاستقلال، ماترك القارئ يتساءل، لماذا عذب إبان الاستقلال؟ هل كان التعذيب مسموحا إبان الاستقلال؟ فالروائي هدفه زعزعة بعض القنوات ليفتح للقارئ مجال التساؤل والتفاعل مع التاريخ وتأويله للدفع به للبحث في غماره واستنطاق ماتم إغفاله لتفكيك أنساقه المسكوت عنها والمضمرة.

ويستأنف السرد على الوتيرة نفسها والرؤية السردية الداخلية المؤطرة للعديد من المقاطع متساوية معرفة السارد مع معرفة الشخصيات، فهناك العديد من الشخصيات كميلود صبري والعقيد سلاني وزهرة... ساهموا في اتساق وانسجام الأحداث التاريخية من منظورهم الخاص في النصّ الروائي.

¹ - لخص عمار، طير الليل، ص 109.

وينتقل السارد إلى رؤية سردية أخرى، وذلك بواسطة قرائن سردية جديدة أي تغيير المنظور والرؤية إلى "تبئير خارجي" المتكفل بالسرد والتبئير، فهنا السارد يسجل كلّ ما يراه بموضوعية أو ما يسمعه من كلام الشخصيات دون النفاذ إلى دواخلها، وإنّما ما يدركه من أفعال وأقوال خارجية ما يجعل معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات، ونكشف ذلك من خلال الرواية التي هي موضوع دراستنا: **"كثرت الوشائيات وكثر الانتقام وعم الخوف والرعي، صار الموت أليفا للوهرانيين، وكانت الجثث ملقاة في الشوارع، كانت سهام القتلة توجه بطريقة عشوائية وعشبية، مثلاً أبدع بعض مقاتلي منظمة الجيش السري لعبة قتل جديدة، إذ كانوا يخصصون يوماً كاملاً لقتل أصحاب مهنة معينة يوم الثلاثاء، ويوم للخدمات في البيوت، ويوم لعمال البريد ولبائعي الجرائد، وهكذا دواليك، شهدت الطحطاحة في قلب المدينة الجديدة مجزرة مروعة خلال شهر رمضان في 28 فبراير 1962 بتفجير سيارة مفخخة أودت بحياة ثمانين شخصاً"**¹، قدمت الأحداث التاريخية في قالب متخيّل تحت نوع التبئير الخارجي، فالسارد رواها كما جرت في الواقع فاكتفى بتأطيرها وتنظيمها والتعليق عليها من الخارج، فهو ضمن خطابه عن المجازر التي قامت بها منظمة الجيش السري عند إنهاء الحرب ومنح الجزائر الاستقلال، والمتأمل يرى أن طريقة التبئير الخارجي التي أوهم بها الراوي ليست في نهاية الأمر إلاّ قناعاً للتبئير الصّفري الذي يتجسم خاصة في هذا العليم الكلي بالتركيب العام للنص وبغايته التي يصير إليها²، إذ يختلط ويمتزج أحياناً التبئير الخارجي والتبئير الداخلي.

¹ - لخص عمارة، طير الليل، ص 69.

² - الخبو محمد بن محمد الخبو، الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 529.

هكذا يبرز أن نص "طير اللّيل" المسرود بضمير الغائب قدم بصوت سارد من الدّرجة الأولى، لكن غالبا ما منح للشخصيات مجال الرّؤية والوعي والإدراك بأوضاعها وأحاسيسها والتفكير دون تدخله، هذا ما يُفسر تنوع الرّؤى السّردية التي عرفت الرواية التي ولدت تعدّد الأصوات، فكلّ ما تغيّر صوت تغيّرت معه الرّؤية ما أدى إلى خلق تعدّد أشكال التّبئير وتنوعت من تبئير صفري ندرك من خلاله الأحداث والمواضيع التّاريخية التي يكون فيها ساردا عليما بدقائق الأمور وإن كان بطريقة ضمنية خفية فهو يكشف لنا الظاهر والباطن أي ما خفي وما ظهر، إلى التّبئير الداخلي يمنح الحرية للشخصيات في رصد أفكارها ومشاعرها، إلى التّبئير الخارجي قد يتظاهر فيه السّارد بنقل ما يسمع وما يراه اعتمادا على قرائن وعلامات بعينها تظهر على الشّخصيات، فهو يعرف أقلّ مما تعرفه الشّخصيات، وإن كان التّبئير الصفري أو تبئير الرّؤية السّردية المهيمنة على المتن الرّوائي، هذا التعدد والاختلاف في الرّؤى والنّظر يولد حركة في الخطاب ما يؤدي إلى تلاحق الأحداث ببعضها البعض وتطورها وكسر النّظرة التّقليدية الكلاسيكية للنص التي تدور أحداثه بصوت السّارد فقط، وكلّ ما تعددت الأصوات والرّؤى اكتملت نظرتنا وإدراكنا للأحداث بدرجة أعمق وأفضل مما يحقق انسجاما في ذهن المتلقي.

3-2- الحركي: مسألة المبيّر (Focalisateur) والمبأر (Focalise)* وتأطير

الحدث التّاريخي:

* المبيّر والمبأر: المبيّر يقصد به الفاعل والذّات المدركة، والمبأر: موضوع التّبئير، الكائن أو الحدث المقدم .

بعد وقوفنا عند التّبيير وأصنافه لجيرار جينيت في رواية "طير اللّيل" متنوعة أنماط التّبيير ومتعددة الأصوات، سندرس الآن أنماطاً أخرى من التّبييرات جاءت بها ميك بال (Meike bal) المبيّر والمبّار، وسنطبقها على رواية "الحركي" لنكتشف مدى تمكن الرّوائي من ضبط هذين النّوعين من التّبييرات على متنه الرّوائي.

اشتقت ميك بال مصطلح "المبيّر والمبّار" من مصطلح التّبيير لجيرار جينيت، إلّا أنّ لديها نظرة تختلف عما قدمه جيرار جينيت، فالتّبيير عند ميك بال¹ يرتبط أكثر بفكرة الرّؤية أكثر مما يرتبط بفكرة تضيق حقل الرّؤية الذي يؤدي إليه تبني وجهة نظر في الحكاية²، يرتبط التّبيير عندها بالنّظر وأفعال الإدراك "كشهدت وسمعت وشعرت وفتح ووقف ورافق والفهم"، وتشير ميك بال إلى نوعين من التّبيير "المبيّر والمبّار أي الفاعل والموضوع، فالمبّار: موضوع التّبيير، الكائن أو الحدث المقدم من منظور المبيّر"³ أو إدراك المبيّر⁴ قد يكون سواء الشّخصية أو الرّاوي الذي يدرك الأشياء والأحداث من منظوره الخاص "قآليات البناء النّصي

¹ - وهي تريد الإحالة على السّؤال من يدرك؟ على خلاف من يرى؟، وأين تقع بؤرة الإدراك؟، ومن هي الذات

والموضوع في عملية الإدراك؟، جنيت جيرار وآخرون، نظرية السرد من وجهة النّظر إلى التّبيير، تر: ناجي

مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ط1، 1989، ص 117، القاضي محمد، معجم السرديات، ص 369.

² - جنيت جيرار وآخرون، نظرية السرد، ص 116.

³ - جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 71.

⁴ - تطلق ميك بال على المبيّر تسميات عديدة منها الرّائي أو المدرك أو ذات الإدراك وذات الوعي وذات التّبيير

ومركز توجيه القارئ وتسمى في السرديات التلفظية متلفظاً، القاضي محمد، معجم السرديات، ص 370.

لوجهة نظر مشتركة هنا بين الشّخصية والرّأوي، المبرّرين الوحيدين في النّصوص القصصيّة¹، فالمبرّر هو ذاك الفاعل الذي ينقل الأحداث من وجهة نظره، في تنظيم المتن الرّوائي، ليساعد المتلقي على ضبط الأفكار والشّخصيات الناقلة للأحداث في مخيلته.

ومن هنا نلاحظ أنّ النّص الرّوائي "الحركي" كلّ النّصوص الرّوائية لا يخلو من هذين العنصرين "المبرّر والمبأر".

تقدم لنا رواية "الحركي" صوتا سرديا واحدا هو الشّخصية الرّئيسية المهيمنة على كلّ المتن الرّوائي "محمد بن شارف"، يروي عدة أحداث ومواضيع تاريخيّة بضمير المتكلّم؛ حيث منح الرّوائي لشخصية بن شارف دورا فعّالا لتوجيه الخطاب باعتباره ساردا من الدّرجة الثانية، ذلك ما نلاحظه في عدة مقاطع دمج فيها بين وقائع تاريخيّة وعوالم ممكنة تخييليّة من شأنها نقل أحداث وحقائق عن أشخاص خانوا وطنهم، هل بإرادتهم أم الظّروف التي أقدمتهم في ذلك؟، فمحمد بن شارف أحد "الحركي"، يسرد على لسانه أهم الحقائق المغيبة والمضمرة في كتب التّاريخ عن الحركي، أول حدث يكرره السّارد في جل الرواية، سبب خيانتة لوطنه "انتقم من عمي أشد الانتقام لاستيلائه على قطعة أرضنا، ضربته ضربا موجعا إلى حد أفضى به إلى الموت تركته مرميا في الوادي، هنا انتهت علاقتي بالوطن، وانتهت علاقتي بالأهل، بعدها طلبت الانتقال إلى لاصاص"²، المبرّر هو السّارد الذي يأخذ بعدا ذاتيا، وذلك لاسترجاعه أحداث وقعت له في الماضي فاتخذها موضوعا للسرد،

¹ - العمامي محمد نجيب، الذّاتية في الخطاب السّردية "الإدراك والسّجل والحجّ"، دار محمد علي، صفاقس،

تونس، ط1، 2011، ص 35.

² - بن جبار محمد، الحركي، ص 09.

واقترح في الوقت نفسه المركز والبؤرة السردية، لهذا نتبع بصوته قصة دخوله أول مرة لاصاص بسبب عمه الذي انتقم منه لأجل عائلته.

تحول فاعل التّبيير من سارد عليم بكلّ شيء إلى تبئير داخلي مع شخصية العقيد مونتروي الذي تحدث بلسانه عن الإصلاحات الكبرى التي قامت بها فرنسا لولا إراداتنا التي أولت أهمية قصوى لمعيشة الأهالي وإيجاد أنماط زراعية حديثة تساعدهم في الخروج من شظف العيش، غرسنا الكروم والغابرة ومنشآت التحويل والمخازن، كلّ هذا ضمن الإصلاحات الكبرى عام 1956 التي غيرت جذريا هيكل البلاد¹، يتجلى هذا المقطع وسما ضمينا من طرف مونتروي، إذ لا نجد ذكرا لذات مدركة ولا فعل الإدراك، إلا أننا من خلال السّياق ندرك أن مونتروي هو المبيّر والإصلاحات الكبرى 1956 هي المبدأ، قامت بها فرنسا لغاية وهدف لا من أجل الأهالي وإنما من أجلهم لاعتقادهم أنّ الجزائر فرنسيّة، فالروائي في هذا المقطع غيب أشياء وسكت عن بعضها.

يستأنف السّارد "محمد بن شارف" دوره كراو، وينقلنا من رؤيته السردية إلى الموضوع المبدأ عن خوف وقلق المخازنية والحركة من الغد المشرق وذلك بضمير الغائب كما يقول: "يشترك المخازنية في البحث عن كيفية الخروج من جلودهم، كيفية الانسلاخ عن ذواتهم، الرهان الأكبر هو الزّمان، يعتقدون أن الزّمان يهاجم الذاكرة ويتلف الأحاسيس وتتغير الأحوال ويهدم الانتباه ويتلاشى العيب، وأرشيف العار، البعض الآخر ببساطة يستمر في الموالاة أو يرحل"²، يتحدث السّارد المبيّر بلسان كلّ المخازنية باعتباره الموضوع المبدأ، الذي يحتوي على وجود مكون

¹ - المرجع نفسه، ص 24.

² - بن جبار محمد، الحركي، ص 161.

قيمي يتجلى في شكل أحكام تقطع مجرى سرد الأحداث، فالروائي وصف أحوال الحركة من تشتت الأفكار وتأنيب الضمير والفرع من المستقبل، فلقد أراد المؤلف المتخفي وراء هذا السارد محمد بن شارف أن يكشف اللثام عن بعض الحقائق التاريخية التي تناساها التاريخ الرسمي عمدا أو عن غير عمد عن أحاسيس وأحوال الحركة.

فالرواية عبارة عن مبئر الذات المدركة ومبأر المواضيع التي يتناولها السارد المتمثلة في استتطاق وتعزية بعض الحقائق التاريخية الجزائرية، إذ كان يلوج بنا من موضوع إلى آخر، أي من تيمة كبرى حول "الحركة" وظروفهم إلى المنظمة السرية التي قامت بأبشع أنواع التعذيب لعدم قبولهم الاستقلال، إلى جيش التحرير الوطني الذي لعب دورا فعالا في الثورة التحريرية.

3-3- وجهات النظر ونقلها للتاريخ المضمّر في رواية "كولونيل الزّبير للحبيب السايح":

شغلت قضية "وجهة النظر" العديد من الباحثين الإنجليز والألمان والفرنسيين أهمهم: نورمان فريدمان، واين بوث وهنري جيمس وجان بويون وفاولر وآلان راباتال...، إذ يرى "فريدمان" أنّ "وجهة النظر هي" إحدى التّصورات النّقدية الأكثر أهمية لدراسة الرواية¹، ما شهد تطورا من حيث المضمون وتقنيات دراستها خاصة على يدي المنظر "آلان راباتال" الذي يعرفه أنّه: "تعبير عن إدراك يجمع دوما وبصفة نسبية، عمليات إدراكية وعمليات ذهنية وهذا التّداخل هو إحدى العلامات

* إن وجهه النظر لها نفس معنى التّبيير

¹ - جينيت جيرار وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التّبيير، ص 10.

المخصوصة لذاتية وجهة النظر¹، فالعمليات الإدراكية تشمل أفعال الإدراك ومصادر الإدراك المتضمنة للبعد التأويلي، والعمليات العقلية كأدرك وأورد وقرأ في وجهه وتأمل... ويتعلق هذا سواء بالراوي أو الشخصية، لأن العملية الإدراكية ترتبط بالذات المدركة، أي "كل عملية نظر تقتضي رائياً، هذا الرائي قد يرى الأشياء بأشكال مختلفة"²، فمن يدرك؟ هو الذات المدركة التي تدرك الأشياء وتقومها وتوجهها، فقد يكون هذا المدرك الرائي راوي أو شخصية للذات اعتبرهما راباتال منتجان لعالم التخيل بوصفهما ذاتي التأثير الوحيدين في النص السردي؛ حيث يتقاطعان ويتباينان في الدراسة، من هنا نتوصل إلى أنّ وجهة النظر تنقسم إلى قسمين وجهة نظر الراوي والشخصية، فوجهة نظر الشخصية يقصد بها جيرالد برنس: "أنّها المسؤولة عن تقديم المواقف والأحداث طبقاً لوجهة نظرها، ووجهة نظر الراوي تقدم المواقف والأحداث طبقاً لوجهة نظرها"³.

إنّ نص "كولونيل الزبربر" لا يخلو من وجهات النظر التي تتكفل بالوقوف على حقائق التاريخ ونقلها في سياق الرواية خدمة لمسارها ومقاصد الكاتب، وتنقل من طرف الراوي والشخصية اللذين يجمعان وينسقان التيمات التاريخية لتجسيد الاستمرارية الموضوعاتية في المتن الروائي، فالروائي في عمله يسر مواطن كثيرة مهمة بإسناد وجهة نظر الراوي والشخصية، سنستنبط البعض منها على ضوء حضور التاريخ المضمّر على المستوى النصي في الخطاب.

¹ - العمامي محمدنجيب، الذاتية في الخطاب السري، ص 71.

² - الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص "مداخل إلى نظريات استدلالية"، ص 35.

³ - برنس جيرالد، قاموس السرديات، ص 70.

حضر في رواية "كولونيل الزّبربر"، سارد أو راو داخلي هو شخصية رئيسية تقوم بترتيب الحقائق التاريخية وتنسيقها وتنظيمها هي "طاوس" ابنة ضابط سابق في حرب التحرير الملقب "كولونيل الزّبربر"، فهي تروي جملة من المذكرات سلّمها إياها والدها، يحكي فيها حياته عن الميدان العسكري، وحياته جدها المجاهد مولاي بوزقزة، يروي بعض الأخطاء التي جرت إبان الثورة التحريرية وبعدها حاول الكاتب من خلالها تعرية واستتطاق التاريخ المضمّر، إذ تقول: "ليست، فحسب مسؤولية، كنت أحسها أمانة أن أنزل الملف، بارتباك، بهشاشة وبخشية أيضا، ليكون شهادة على ما نهبت من تاريخ رجال الشرف أنانيات الساسة وزحزحة حساباتهم إلى عراء النسيان"¹، إنّ الذات المتكلّمة في هذا الشاهد "الساردة" لتوضح للقارئ أنّ الرواية عبارة عن مذكرات لمراحل تاريخية سادها الظلم والأنانية من قبل بعض الشخصيات الثورية، وللوقوف على مضمّرات توظيف التاريخ المسكوت عنه والمضمّر، علينا الحفر في أعماق النص وإعادة بناء سياقاته الثقافية والتاريخية القابعة خلف تلك المفترضات والتلميحات التي منحتنا إياها الساردة "طاوس".

وإنّ الذات المدركة عليمّة بكلّ شيء فهي مكلفة بسياق الحدث التاريخي الذي أغفل عنه الواقع، كالصراع القائم بين المجاهدين كقضية "النقيب حطابي" الذي خطط لقتل سي النّاجي باتهامه أنّه استحوذ على المبلغ المالي المتحصل عليه من التبرعات والاشتراكات في قوله: "احتمل مولاي بوزقزة أنّ سي النّاجي سيجد ذلك نريعة بأن يهتم النقيب حطابي بتدبير الخطة للاستيلاء على المبلغ، ومن ثمة أن يتخلص منه، منعا لترقيته، بدلا منه، إلى رتبة رائد"²، تخفي الشخصية ليظهر

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 18.

² - السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 134.

السارد الرئيسي ناقل اكلّ ما يموج في ذهن "مولاي بوزقزة"، وما نراه وجود وسم صريح في المتلقي من بذل أي جهد استدلالي، وذلك بفضل ذكر الراوي "اسم العلم والضمير المستتر" ساعدانا على معرفة الرائي هو "الراوي" أي وجهة نظر الراوي.

كما يتحول الصوت السردى من وجهة نظر الراوي إلى وجهة نظر الشخصية في العديد من المقاطع أهمّها شخصية المجاهد "مولاي بوزقزة" تكفل بنقل أخطاء التاريخ المضمرة والمغيبة الكامنة وراء الكلمات المتسترة في صيغ غير مباشرة، يمكن للقارئ استنباطها واستخراجها وفقا لكفاءات استدلالية وتأويلية، في قوله: "أتفهم أنيسقط جندي، فدائي، مسبل خيط الاتصال، وأن تهن عزيمة أحدنا فيرتد، لكن يقع مثل طريدة، قائد في كمين؟ كيف يلقي القبض على ضابط أو مسؤول، فلا يقاوم ويسدي للعدو خدمات تهدم ما بناه الجهد والتنظيم والضحية؟ أولئك نعرفهم فنحتاط عند وقوعهم، الخطر يأتي من داخل صفوفنا، من بعض هؤلاء الفارين من الجيش الاستعماري، إنها مؤامرة"¹، يتعلّق هذا المقطع بمنظور داخلي موسوم بنمط "أ" حسب فاوّلر، فهو يتصل بالذات المدركة "شخصية مولاي بوزقزة" الذي يصدر أحكاما أنّ الخطر موجود داخل صفوف جيش التحرير الوطني مع إظهار بعض الحزن والحسرة لخيانة الوطن، أيّ وجهة النظر في هذا الشاهد موسومة وسما صريحا بفضل إسناد الراوي التّبيير إلى مولاي بوزقزة.

وفي سياق آخر انسحب الراوي من التّلفظ وأفسح المجال لشخصية "المرضة زهية" تكفلت بنقل وجهة نظرها للقارئ، لبناء حبكة النص؛ حيث تكلمت عن شخصية الجندي عادل ولد الوردى الذي: "لديه عقدة نفسية بسبب اغتصاب أمه أمام عينيه من أحد العسكريين وقتل والده برصاصة "مسكين عادل ولد الوردى، يا لجمال أمه!

¹ - المصدر نفسه، ص 128.

كان في الخامسة عشر لما اغتصبها أمام عينيه أحد العسكريين، بعد أن قتل والده برصاصة في الجبين لأنه هجم عليه بمذراة، وذبحها من الوريد إلى الوريد، لأنها ضربته في الظهر بفأس، وبمعونة عسكري ثاني قيد عادل، بعد عراك إلى جذع كرمة الحوش ليغتصبه لولا تدخل ضابطهم¹، تنقل الممرضة هذا الملفوظ لتبين المجازر الشنيعة قام بها الاستعمار الفرنسي ضد الجزائريين من اغتصاب وظلم مما أدى لإصابة الكثير منهم بنوبات نفسية حادة جعلتهم يعيشون حاضرا مشوشا كتب عنه فرانس فانون الكثير في كتبه.

تنوعت وجهات النظر في رواية "كولونيل الزبربر" للحييب السايح بين وجهة نظر الراوي ووجهة نظر الشخصية؛ حيث يقدم الراوي أحداثا من منظور الساردة "طاوس"، وفي الوقت نفسه أعطى الروائي الحرية للشخصيات للتعبير عن أفكارها ومشاعرها ومواقفها لتُمرر عدة رسائل مشفرة ومضمرة في ثورتنا الجزائرية وما بعد الاستقلال من ظلم ومعاناة وآلام الاستعمار الفرنسي ورجال السياسة والإرهاب، لدفع القارئ للبحث في طياتها والغوص في ثناياها، لأنّ الروائي طمح إلى محاكاة الواقع وتصويره تصويرا غير مزيف، فكلّ الأحداث مجذرة في أزمنة وأمكنة "كالزبربر" الذي كان له وجود حقيقي خارج المتن الروائي وسنوات 1955-1956...، نهضت بهذه الأزمنة والأمكنة عوالم متخيّلة كشخصيات لعبت دورا هاما كـ "الحضري والطاوس وحكيم..."، وبعضها حقيقي عاش في الثورة ولهم تاريخ فعال مثل: زيغود يوسف والعربي بن مهيدي، فالروائي وظف تاريخا وأعاد تفعيله لكشف وفصح بعض الأنساق التاريخية المسكوت عنها والمضمرة في المجتمع الجزائري.

¹ - السايح الحبيب، كولونيل الزبربر، ص 74.

رصدنا في هذا العنصر السابق الرؤية السردية للمتون الروائية، ثم انتقلنا إلى عنصر آخر، لاحظنا أنه يخدم نصوصنا الروائية، وخاصة أنها متون وظفت حقبات تاريخية مضت.

4- المفارقات الزمنية وتشكلاتها للمتخيّل التاريخي:

جاءت الرواية الجزائرية المعاصرة بنمط جديد في تعاملها مع الزمن، تلاعبته من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى الحاضر تشابكت وتجانست، ما أدى "بجيرار جينيت" أن يأتي بمصطلح "المفارقات الزمنية"، باعتبارها الأهم في دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى، بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة؛ وذلك لأنّ نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك¹، هذا الاختلال الزمني في النصّ الروائي، السبيل إليه وعر وشاق خاصة إذا كانت الرواية متعددة ومتشعبة المواضيع التاريخية، فالغوص في ثنايا أحداثها تلتوي بنا من الحاضر مولية وجهها نحو الماضي المسترجع أو المستقبل المستشرف، ومن هنا ركز "جيرار جينيت" على نوعين من المفارقة:

الاسترجاع (L'analepse)²، والاستباق (La prolepse)³.

¹ - جينيت جيرار، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، ص 47.

² - للاسترجاع عدة ترجمات أهمها اللاحقة، الارتداد، الاستعادة، الخيو محمد بن محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية، ص 112.

³ - للاستباق أهمها: السابقة، الاستشراف، التوقع، المرجع نفسه، ص 113.

لقد اعتمدت الروايات الجزائرية المعاصرة قيد الدراسة "كولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل" هذا النوع من التّنافرات الزّمنية لبناء المتخيّل التاريخي في هذه النّصوص.

4-1- الاسترجاع التاريخي:

يستعمل الرّوائي الجزائري في رواياته هذه التّقنية السّردية، يستذكر أحداثا وقعت في وقت مضى أيّ "كلّ ذكر لاحق سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة"¹، أيّ يعود إلى الوراء مسترجع ذكريات وقعت في وقت انتهى أو مضي يرويها الرّوائي داخل الزّمن السّردى الحاضر للنص، فلقد وظفت روايات [كولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل] مجموعة من الاسترجاعات الزّمنية المتمثلة في استحضار حقبات تاريخيّة مرّ بها المجتمع الجزائري، جعلت من عنصر التاريخ مرجعيّة أساسيّة، لحاضر مؤطر للحكاية الأولى أو ما تسمى الإطار الرّوائي الذي يحدّد المفارقة الزّمنية حسب جيرار جينيت، وعلى سبيل التّمثيل ما تحمله رواية "كولونيل الزّبربر" للحبيب السّايح بين ثناياها العديد من الاسترجاعات التاريخيّة لفترات حاسمة في تاريخ الجزائر منذ زمن الاستعمار إلى العشريّة السّوداء.

إذ يقول عند استرجاعه لحدث تاريخي مغيب إبّان الاستعمار الفرنسي، عبارة عن شهادات مولود آيت زاهي تحدث فيها عما قام به بعض المجاهدين من تعذيب وظلم في الجبال ضدّ أبناء جلدتهم "كمال الطالب الملتحق من جامعة الجزائر، لم يردد خلال الاستنطاق سوى عبارة "صعدت لأشارك في تحرير بلدي"، إلى أن تحولت على لسانه ما يشبه الهذيان "بلدي ... بلدي"، فأعطى محفوظ أمره بأن يعلق، ثم أشار إلى الجندي، الذي يمسك بالطرف الآخر للحبل، ببدا رفع الجسم

¹ - جيرار جينيت، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، ص 51.

المعلق مثل دلو إلى حوالي متر ونصف على وقع صرصرة العجلة، وبعد تثبيت لثوان راح ينزله ببطء إلى أن غدا البطن يكاد يلامس جمر حطب البلوط المستعر في الكانون المهيأ¹، يسترجع الرّوائي هذه الحقيقة الخطيرة ليس من عدم، وإنّما من خلال إطلاعه على مصادر تاريخية كتبها المهمشون والمقهورون، إنّ هذا المقطع يطرح أسئلة، كيف استطاع المجاهدون القيام بمثل هذه المجازر بطلاب تركوا حياة الرفاهية وصعدوا للجبل لتحرير وطنهم دون رحمة وشفقة.

وفي استرجاع تاريخي آخر أعمق منه غورا بعد الاستقلال سنة 1964، كشف لنا الرّوائي الحبيب السّايح عن الفساد الذي بدأ من هذه الفترة "الفساد بدأ يوم حول شخص واحد في 1964 ما كان في حساب جبهة التحرير البنكي بكامله في سويسرا إلى جيبه، والبلد منهك القدرات موزع بين تضמיד جراحه من حرب تحرير وأخرى، اثنان وأربعون مليون فرنك سويسري، عرق جاليتنا في المهجر وتبرعات أصدقاء الجزائر في الخارج لإسناد مجهود حرب التحرير"²، نلاحظ أنّ الرّوائي عاد بنا إلى ماض مدة ستة وخمسين سنة، مباشرة بعد الاستقلال لما كانت الجزائر في انهيارها وتدميرها من طرف الاستعمار الفرنسي، لكن للأسف هذه المرة من طرف أبناء جلدتهم، لم يرحموا بعضهم البعض من خيانة زرعته الإدارة الفرنسية في جب جيش التحرير.

واعتمدت رواية "الحركي" على المعمار الزّمني والسّردي نفسه في بنائها مثل رواية "كولونيل الزّبربر"، هي عبارة عن مذكرات يسترجعها ويستذكرها السّارد محمد بن شارف، إذ تميّزت هذه الرواية المخيلة للتاريخ في تقديمها تاريخ "الحركي" لم

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 90-91.

² - المصدر نفسه، ص 39.

يتطرق له أيروائي من قبل؛ حيث أراد الروائي أن يوصل للقارئ قصد، ليغيّر نظرتّه إتجاه الحركي والمخازنية، لذا ذكر في عدة صفحات الأسباب التي دفعت بالحركي التّصدي للجزائر والمشاركة مع فرنسا، ما ورد ذلك من أمثلة: " انتقمتم بطريقتي كنت أسكن في أحد الدواوير بغابة سيدي عبد العزيز، يتيم الأب، درست التعليم القرآني والتعليم النظامي، وبعدها انتقلت إلى غليزان لإكمال تعليمي المتوسط وظروف الفقر والحاجة عدت إلى مسقط رأسي، وجدت أمي تبكي، أدركت أن القطعة الأرضية للمرحوم أبي استولى عليها عمي ضمها لأملاكه ثم انتقمتم من عمي أشد الانتقام ضربته ضرباً موجعاً إلى حد أفضى به إلى الموت تركته مرمياً في الوادي، هنا انتهت علاقتي بالوطن وبالأهل، بعدها طلبت الانتقال إلى لاصاص عين الحلوف"¹، لقد تكرر هذا الاستذكار في عدة صفحات، وظيفته التأكيد للقارئ أنّ هناك سبباً في تخليه عن الجزائر، لكن هذا حسب وجهة نظر الروائي، فعند سيطرة عمه على قطعة الأرض أشعل ذلك في قلبه نار الانتقام والحقّد عليه إلى أن قتله فذهب بعدها مباشرة إلى لاصاص خوفاً من أولاد عمه أن يقتلوه، فقدم الراوي معلومات مهمة تكشف عن بعض من جوانب حياة السارد أو الراوي الرئيسي.

فغاية الروائي من هذا الاستذكار الداخلي متابعة أحداث تاريخية موالية للاستعمار الفرنسي كتاريخ المنظمة السرية التي قامت بأبشع الجرائم في حق الشعب الجزائري عامة؛ حيث يستذكر أحمد بن شارف المهمة الإجرامية التي قام بها "بيير ألغيري" بالتعاون مع قوات المنظمة السرية والمخازنية في حق سكان قرية عين الحلوف أضحت قرية مدمرة، بسبب اعتداء عنيف أدى إلى هلاك وقتل السكان لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة حتى الحيوانات " أنكر في تلك الأيام من حكم الغيري بيير

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 8-9.

للكتيبة أنّه جهز شاحنتين عسكريتين وسار مع المخازنية إلى إحدى القرى بدعوى أنها تتعاون مع الجبهة فحولوها إلى قرية منكوبة، قرابة خمس ساعات نفذوا فيها جرائم مريعة كان إلى جنبهم بعض أفراد الجيش ومدنيون وأعوان شرطة، أشعلوا النيران في كل شيء حتى الحيوانات لم تسلم من اعتدائهم¹، غاية السارد من هذا الاستذكار أن يوصل للقارئ بأنّ الاستعمار الفرنسي عامة، وخاصة المنظمة السرية قامت بأبشع الجرائم في حق المجتمع الجزائري من حرق وتدمير القرى والمداشر، وصف السارد هذا المنظر الشنيع بدقة من وصولهم للقرى إلى تدميرهم لها، ورثى قريبه الذي تعرض للقهر والإبادة من طرف هؤلاء المجرمين.

أعطى "محمد بن جبار" صوتا واحدا في روايته لشخصيّة محمد بن شارف الذي عمد إعطائه مهمة الاستذكار والاستشراق، باعتباره الشاهد الوحيد على هذه الأحداث التاريخية، التي مازالت تدور في ذاكرته يتألم عند استرجاعه لها.

فالرواية هي جلب وعطاء، وهذه الذكريات تدل على وجود تراكمات في السرد الاستذكاري من أجل استنطاق المضمّر والمسكوت عنه المتمثل فيما آل إليه الحركي إبان الاستعمار الفرنسي.

وننتقل إلى رواية "طير الليل" لعمارة لخص، سعى فيها الروائي لاسترجاع بعض المقطوعات السردية المتوغلة في ترسبات التاريخ لتمثيل الحاضر، فلذا على الرّوائي أن يكون ملما بالماضي ماضي الاستعمار وما بعد الاستعمار.

تلاعب الرّوائي بالزمن فحضر الماضي البعيد والماضي القريب؛ وذلك لمنح القارئ قدرة الوصول إلى ما فعله الاحتلال وبين مافعله الإرهاب، في سنوات الجمر عن طريق شخصية واحدة عاشت كلا الحقتين وصولا إلى الحاضر.

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 124.

يسترجع السارد في رواية "طير اللّيل" أحداثا تاريخيّة مجسدة في المتخيّل وقعت مباشرة بعد الاستقلال في 11 جوان 1965، الإنقلاب العسكري الذي قام به "هوارى بومدين ليطيح برئيس الحكومة أحمد بن بلة"، ممّا أدى إلى سفك الدّماء لمعارضة هذا الانقلاب العسكري "لم يخن إدريس طالبي كنيته الصقر ولم يكتف بالمعارضة الكلامية للنظام الجديد، إذ انضم إلى مجموعة سرية من المناضلين، أكثرتهم يساريون، وأسسوا خلية لمناهضة انقلاب بومدين، بعد أقل من أسبوعين اكتشفت الأجهزة الأمنية أمر الخلية السرية، لأنها مخترقة منذ البداية وألقي القبض عليهم، وذاق إدريس طعم التعذيب في الجزائر المستقلة، مالم يذقه على يد الفرنسيين، وكان المشرف على التعذيب مجاهد اسمه مسعود، وكنيته المحروق، وقد عذب على يد الجنود الفرنسيين تعذيبا شنيعا، كان نصف جسده محروقا، صار يتفانى في أساليب التعذيب وطرق الاستنطاق"¹، جاء هذا الاستنكار ليزكنا بحقائق وقعت في الماضي وليعرفها جيل التّسعينات، وعلى ما يبدو أنّه حتى جيل تلك الآونة أرادو نسيانها، ما دفع بالروائي إلى استرجاع هذه الحقبة الحساسة وتوغل في أعماقها ليعيد استنكارها وكشف اللّثام عن حقائق مغيبّة وليبيّن أنّ ليس الاستعمار وحده قام بهذه الأعمال الشنيعة حتى من هم نفس الجلدة قاموا بها لأجل مصالحهم، وذكر الروائي تحديدا هذه الفترة مباشرة بعد الإستقلال ليوضح أنّ المجاهدين رغم أنهم كانوا يد واحدة لإخراج المستعمر من الجزائر، لكن بعد الاستقلال لأجل مصالحهم نسو الوطن والشّعب حتى أصبح مجاهد كبير يقوم باعتقالات ويطبق نفس طرق التعذيب التي قام بها المستعمر على الشعب، وليّوضح أيضا أنّ هناك واقع بعد الاستعمار خلد بصمات شنيعة ومريرة.

¹ - لخصّ عمارة، طير اللّيل، ص 99.

ثم انتقل الرّاي إلى استرجاع تاريخي، أعمق حقبة تاريخيّة قريبة من حاضر السّرد بسنوات قليلة مرحلة العشريّة السّوداء أو محنة الأزمة، كانت تشبه مرحلة الاستعمار في صراعاتها وآلامها، ويكمن الاختلاف في أنّ هؤلاء أبناء نفس الوطن قاموا بذبح بعضهم البعض باعتبار أنفسهم يجاهدون في سبيل الله: " ينظر إلى هذا الفيلم بطريقة مختلفة في التسعينات عندما اشتد الإرهاب، وأصبح الجزائريون يفجرون الجزائريين، كانت العبوات الناسفة توضع في الأماكن العامة المزدهمة بالناس كالأسواق والمحطات"¹، فهذا الاسترجاع الدّخلي هدفه إعادة الذاكرة إلى الجرائم المرتكبة في حق الجزائريين الذين راحوا ضحايا لمؤامرات قام بها الحزب الإسلامي وتم تنفيذها من طرف الإرهاب الذين صعدوا إلى الجبل، ونلاحظ أنّ الرّوائي ذكر لنا الإرهاب والأوضاع في الجزائر، لكن لم يتحدث عن الأيدي الخفيّة وضلوع الأيدي الأجنبية في ذلك فهو فضح أحداث تاريخية لكنه سكت عن أخرى.

نستنتج في الأخير أنّ الروايات التي بين أيدينا، استخدمت العديد من الاسترجاعات التّاريخية المتعلقة بحقبات وفترات تاريخيّة من الاحتلال الفرنسي ونزاعات كانت بعد الاستقلال عن السّلطة وسنوات الجمر وفساد جهاز السّلطة السائد في حاضرنا

وجاءت كلّ هذه الاستنكارات لتكشف اللّثام عن الوقائع المغيّبة أو بالأحرى منسية أو مغلوبة في تاريخنا الرسمي المضمّر، فلقد مزجت هذه الروايات زمنين، زمن تاريخي بتجلياته وزمن روائي بمخيلاته والعوالم الممكنة (الشّخصيات والحوار...)، وهدف هذا التّاريخ تزويد القارئ بمعلومات وتصحيح نظرتة للتاريخ

¹ - لخص عمارة، طير اللّيل، ص 136.

وسد الثّغرات التي يطرحها أثناء مخاطبته للنص الرّوائي الواقعي المضمّر، إذن لعبت دورا مهما في بناء الإطار الزّمني للرواية.

وبعدما قمنا باقتفاء أثر بعض الاستذكارات الاسترجاعات في الروايات، ننقل إلى عنصر آخر لا يقل أهمية عن الاسترجاع في بناء المتن الرّوائي وهو الاستباق.

4-2- الاستشراف التّاريخي في الروايات المختارة:

إن تقنية الاستباق أو الاستشرافات عكس تقنية الاسترجاع، فإذا كان الاسترجاع هو العودة إلى الماضي، فالاستباق هو تقديم الأحداث التي لم تقع بعد على شكل تنبؤ أو افتراضات وتلميحات إلى المستقبل، ويدل أيضا على أنّه "حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق، أو يذكر مقدما"¹، فالاستباق يسبق فترة زمنية للوصول إلى الحدث الرّوائي لصياغة مجرى الأحداث و"أقله توترا"² من الاسترجاع إلا أنّه تسويق يدفع بالقارئ لمواصلة القراءة حتى النّهاية للاطلاع على ما سيحصل، وجاء الاستباق بنوعين: الاستباق التّمهيدي والاستباق الإعلاني.

4-2-1- الاستباق التّمهيدي وعلاقته بالتّاريخ المضمّر:

هذا النوع من الاستشرافات: "مجرد استباق زمني الغرض منه التّطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، ويتخذ هذا الاستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص فتكون الفرصة سانحة لإطلاق العنان للخيال ومعاينة المجهول واستشراف آفاقه"³، ووظيفته التّمهيد لما سيقع من أحداث في وقت لاحق، وقد يتحقق وقد لا يتحقق، ولقد وظفته الرواية الجزائريّة

¹ - جينيت جيرار، خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 76.

³ - بحراوي حسين، بنية الشكل الرّوائي، ص 133.

المعاصرة المجسدة للتاريخ لكسر قالب استمراريّة زمن الحكاية وإدخال القارئ إلى غمار النصّ التاريخي لطرح عدد من الأسئلة مع الحفاظ على مسافة احتماليّة الوقوع، ومن ضمن الاستباقات المحتمل وقوعها هو التنبؤ الذي تنبأ به الإرهابي في سنوات الجمر في رواية "طير اللّيل" حملت في طياتها الثقة العمياء والقناعة التي وصلوا إليها في إكمال مسيرتهم في الجهاد في سبيل الله يقول: " نحن نجاهد في سبيل الله، وسنكمل المسيرة، بإذن الله، الله معنا"¹، هذا التنبؤ لم يتحقق في نهاية الرواية، فهي سنوات مرت وأصبحت ذاكرة تاريخيّة، وظفها الرّوائي لتحمل دلالات وشفرات استباقية.

جسد الرّوائي استباقا تمهيديا آخر على شكل توقع نابع من قلب التّاريخ عن طريق سؤالين وقفت عندهما شخصيات الرواية، عن جيش التحرير الوطني " وتوقفوا مطولا عند سؤالين هل سيتمكن جيش التحرير الوطني في الثكنة من تحقيق الاستقلال؟ وهل ستعود التنظيمات السياسية التي كانت موجودة عبثية اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954؟، وأكدوا أن اعتماد الحزب الواحد وإقحام الجيش في السياسة، هما بوابتان للأفراد والسلطة وقمع الحريات واضطهاد المعارضين وختم الدولة الفتية في المهد"²، هذا التّوقع الاستشرافي اتخذته شخصيات الرواية، لما يأملونه في المستقبل من الحزب الواحد لجيش التحرير الوطني؛ حيث استبقوا الأنظار والآراء إلى المستقبل، فاتخاذ الحزب الواحد حسب نظرهم ودمجه مع الجيش يولد أحداثا سلبية تقهر المجتمع بكل تشكّلاته، هذا الاستشراف بمثابة تمهيد خفي

¹ - لخص عمارة، طير اللّيل، ص 136.

² - لخص عمارة، طير اللّيل ، ص 67.

لما سيطراً في الغد من مستجدات متصلة بفكرة الحزب الواحد ودمج آلياته مع الجيش.

هناك أمثلة أخرى نسوقها للاستباق التمهيدي، نستمدّها من رواية "كولونيل الزّيربر والحركي" اللّذان يتخذان التّطلع على شكل تنبؤات وتوقعات قد تظلّ معلقة وقد تتحقّق نذكر مثلاً طاوس الحضري في رواية "كولونيل الزّيربر" تتحدّث عن أبيها: "إن لم يكن الرصاص قد قتل الوالد فهذه العزلة هي التي ستدمره"¹، هذا الاستباق عبارة عن توقعات، تتوقعها طاوس عن أبيها؛ وذلك إثر جلوسه لوحده وقهره لموت زوجته "بايا".

نجد في رواية "الحركي" وقائع تنبأت بها الغجرية لمصير النّقيب مونتروي؛ حيث أمرت القائد بإفراغ مسدسه وإعطائها تلك الرصاصات وقامت بوضعها على المكتب وضربت عليها بكفها، واستبقت الأمور في حديثها على ما ينتظره: "يا أنت هناك من ينتظرك بعدما ضاقت بك الأرض، قلبك المكشوف المظلم لا يقر تائه الدمع، خط قصصه يحاكي نكريات الحلم والكوابيس ليس بعيداً رحيلك، يفتك التمرد لا حرب معلنة ولا سلم دائم سكينه لروحك، أسمع الآن صفير مركبات البحر هدير الأمواج العالم يشرب... يحتضنك الوطن مجدداً، نصحني أن تبقي رصاصاً واحدة في مسدسك ستحتاجه لثلاثاء أسود..."²، هذا الاستشراف عبارة عن تنبؤ لما سيحصل في المستقبل من طرف الغجرية للعقيد مونتروي، وهو بمثابة استشراف تمهيدي ضمني وخفي غير صريح، والقارئ بعد انتهائه من قراءة الرواية يكتشف ما

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّيربر، ص 16.

² - بن جبار محمد، الحركي، ص 18-19.

قالته العجريّة لمونتروي سيّتحقق في نهاية الرّواية عند قتل جيش التّحرير الوطني والمنظمة السريّة زوجته وإنقاذ مونتروي لابنته بمسدسه في وهران.

نستنتج أنّ هذا النوع من الاستباقات لم يقوِّع الكاتب ويجبره على تحقيق الأحداث، وإنّما تركه حراً في تعامله معها، قد تتحقّق أو لا تتحقّق، ووظيفة هذا النمط من الاستشرافات حسب "حسن البحراوي" أنّ الكاتب يلجأ إليها كلما أراد تضليل القارئ أو رغّب في تمويه خطته السردية، ومن هذه الجهة على القارئ أن يكون فطنا ويساهم في إعادة بناء السرد وإنتاج المتعة الروائية.

4-2-2- الاستباق الإعلاني: علاقته بالتاريخ المضمّر.

ما يميّز هذا النمط عن غيره أنّه "يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيّشهدها السرد في وقت لاحق"¹، أي أنّ الحدث يقع ممكناً الوصول إليه يكون حتمياً في الرّواية بعد تقصير أو تطويل يصرّح به مباشرة.

إنّ الروايات التي بين أيدينا تحتوي على هذا النوع من الاستباقات في عدة مقاطع سردية، فمثلاً رواية "كولونيل الزّبربر" عند قول شخصية "المجاهد شعباني" الذي استبق الأحداث علنية بمصير إعدامه بعد الاستقلال " بل أنّ الرئيس الآن يكون أصدر مرسومة... وأعطى وثيقة أساس اتهامات بمؤامرة الانقلاب، وأعطى أوامره بالبقاء القبض علي، إنني أرى مصيري أمامي، مشترط بشريط"²، هذا الاستشراف معلن وصريح لما سيحصل لشعباني، وهذا ما حدث في الصفحات الموالية تم اعتقاله وإعدامه بعد إصدار الأوامر من رئيس الدولة نتيجة اتهامه بمؤامرة الانقلاب .

¹ - البحراوي حسن، بنية التّشكيل الروائي، ص 137.

² - السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 277.

كما ورد أيضا في رواية "الحركي"، استباق إعلاني يسهل للقارئ التّوقع مسبقا لما سيحصل بعد صفحات من الرواية عن الخوف مما سيؤول إليه الحركي بعد الاستقلال من نبذ و شتم و قتل على يد جبهة التّحرير الوطني الملقبة بالأفلان لخيانة وطنهم: "فإن الأهالي ينظرون إلينا بنظرة واضحة... أكيد أن الأفلان، عدت لنا القوائم سوداء لمستقبل الأيام ما دمنا في خدمة الراية الفرنسية، وإن كان ذلك قدرنا فكل محاولة تنصل من القدر ومن مصيرنا الذي آلت إليه مصيرها القتل، يجب أن نستمر في الولاء واتخاذ مواقف جذرية، تخلي فرنسا علينا ببساطة، في أحسن الأحوال، نبذنا من المجتمع، وسيمثلون جثتنا ثم يتركونها على قارعة الطريق لتنهشها الكلاب"¹، يصرح السّارد علنيّة وبطريقة مباشرة، ما سيحصل لهم بعد الاستقلال وهذا ما كان واردا ومعروفا أنّ خيانة الوطن شيء لا يغفر عليه من طرف FLN، فالسّارد "الحركي" محمد بن شارف خائف وكلّ المخازنيّة داهمهم الخوف من تخلي فرنسا عليهم إبان استقلال الجزائر ومن بقائهم في الجزائر حتما سيقتلون ويتشردون ويأخذ بأثرهم من طرف الأهالي.

كما نجد في رواية "طير اللّيل" مقطوعات سردية استباقية إعلانية تاريخية، وظفها الرّوائي لتحمل دلالات ورسائل عن تاريخ مضمرومغيّب في السّاحة الأدبية، ومن هذه المقاطع المتوسلة للتاريخ عن خطاب الرئيس السابق شاذلي بن جديد، الذي دعا الشعب للتمرد على البيروقراطية والفساد، عند سماع ميلود صبري هذا الخطاب لاحظ أن هذه الخبر سيغيّر الجزائر إذ قال ليوسف مصباح: "الطوفان قريب، يا خويا يوسف -وسفينة نوح جاهزة- لا بدّ -أن تمشي الجزائر في طريق

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 80-81.

آخر¹، وبعد أسطر من الحوار تحقّق هذا الحدث وجاء الطوفان في 5 أكتوبر وتخلص الشباب من الخوف وأضرموا النيران في مقرات حزب جبهة التحرير، فهذا الاستشراق الإعلاني جاء صريحا في كلام السارد "ميلود صبري"، والغاية من هذا القول استذكّار مظاهرات 5 أكتوبر 1988 واعتقال الشباب المتظاهرين وتعذيبهم، وليبيّن للقارئ أن عليه إعادة النظر في الكثير من الأحداث التاريخية وقعت وتناسّت من طرف الشعب الجزائري عليه استرجاعها وكشفها والبحث في خفاياها.

نستنتج مما تقدم أنّ هذه الاستباقات التمهيدية والإعلانية وظفت في النصوص الروائية المخيلة للتاريخ خلقت انسجاما في ترتيب الأحداث واستمرارية الموضوعات، وخلقت أفق الانتظار وتوقعات القارئ بمستقبل الأحداث ومجراها إلما ستؤول إليه الرواية بانتمائها إلى فترات تاريخية مليئة بالمسكوتات والمضمرات.

ومما سبق يمكننا القول إنّ الروائيين استطاعوا المزج بين الاسترجاعات والاستباقات، دون الإخلال بالمعنى، وما لاحظناه أنّ الاسترجاعات أخذت حصة الأسد؛ وذلك لأنّ النصوص التي بين أيدينا كلها مجسدة لتاريخ ماضي متشعب بأحداث تاريخية لفترات مربّها الشعب الجزائري.

المبحث الثاني:

¹ - لخصّ عمارة، طير الليل، ص. 257.

إعادة بناء الأنساق التاريخية المضمرة في الروايات

الجزائرية المعاصر.

[كولونيل الزّبربر ،الحركي، طير اللّيل].

1- العملية الافتراضية واستتباط الأقوال المضمنة

والمضمرة التاريخية في رواية "كولونيل الزّبربر"

للحبيب السّايح.

2- المنحى الاستدلالي والاستلزامي التّخاطبي في رواية

"الحركي" لمحمد بن جبار للكشف عن المضمّر.

3- مقاصد الرّوائي وإستراتيجية التّأويل في المتخيّل

التّاريخي في رواية "طير اللّيل" لعمارة لخص.

- إعادة بناء الأنساق التاريخية المسكوت عنها والمضمرة في الرواية الجزائرية

المعاصرة [كولونيل الزّبربر،

يل].

1- العملية الافتراضية واستند

والمسكوت عنها التاريخية في

رواية " كولونيل الزّبربر"للحبيب السّايح:

إنّ رواية "كولونيل الزّبربر" للحيّيب السّايح، واحدة من الرّوايات الجَزائرية المعاصرة التي حاولت أن تتفاعل مع التّاريخ وتكشف عدة قضايا تاريخيّة أكلّها الدّهر وتناثر عليها الغبار وأصبحت منسيّة ومغيّبة ومضمرة ومسكوتا عنها في المجتمع الجزائري؛ وسعت الرّواية الحفر في أعماق هذا التّاريخ لتفكّك أنساقه وتعيد بناءها من جديد وفق رؤية الكاتب التي مرر عبرها مقاصد وأهداف إلى المتلقي، فياترى ما هي الأقوال المضمنة في المتن الرّوائي؟ وكيف تساهم الافتراضات في استنباط الأقوال المضمنة والمضمرة في رواية "كولونيل الزّبربر"؟ ولمّ يعرض المؤلّف أفكار وقضايا ويضمّر أخرى؟ ما الذي ينسأه ويسكت عنه ولا يذكره ولماذا؟.

تحمّل رواية "كولونيل الزّبربر" العديد من الدّلالات والمعاني التّاريخية، يستوجب من المتلقي الوقوف عندها وإمّاطة اللّثام عما هو مغيّب ومضمرومسكوت عنه وفق السّياق والخلفيّة المشتركة بين المؤلّف والمتلقي فعلى كليهما أن ينتقيا من السجلات التّاريخية والسياسية والثّقافية، واستحضار ما في أذهانهم من معطيات معرفيّة ومعلومات مسبقة عن التّاريخ الجزائري.

وتطرّق الرّوائي الحبيب السّايح في خطابه الأدبي إلى مراحل مهمة من تاريخ الجزائر من فترة الاستعمار الفرنسي إلى فترة مابعد الاستقلال وصولا إلى المحنة الجزائرية في التسعينيات، مما يستوجب على المتكلّم امتلاك افتراضات مسبقة للحديث عن هذه الحقبات التّاريخية.

وما لاحظناه من خلال قراءتنا للرّواية تبدى لنا الحبيب السّايح، وكأنّه موسوعة في التّاريخ الجزائري المعاصر نظرا لتطرقه في العديد من رواياته إلى التّاريخ محاولا استنطاقه تفكيكه، ولا بد للقارئ الذي يتلقى نصوصا مثل هذه أن يكون له خلفيّة معرفيّة ومعلومات حول القضايا التي خاض فيها الرّوائي ليستطيع اكتشاف ما سكت عنه في

استخدامه للمعطيات التاريخية التي تَجَرُّ القارئ إلى ضرورة البحث والتّقصي لإعادة بناء سياقات تلفظية كثيرة حاضرة في النص، وليستطيع الإجابة عن أسئلة أخرى نطرحها، لماذا ياترى اقترنت كتابات حبيب السّايح بالمسائل التاريخية والسياسية؟ ماهي وظائف هذا الحضور؟ وماهي رؤية الكاتب لواقعنا من خلال عودته للتاريخ؟ وأي الموضوعات التاريخية التي سكت عنها الرّوائي في متنه؟

تقدّم رواية "كولونيل الزّبربر" العديد من الأحداث التاريخية التي عادة لا يتم الحديث عنها في الأعمال الأدبية، كالصراع بين المجاهدين والخيانة وإعدام إخوة الأمس لبعضهم البعض، فكّل هذه القضايا ذكرها الرّوائي ليمرر عبرها رسائل على المتلقي إمطة اللّثام عنها باللّجوء إلى السياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية والتداولية؛ وذلك عبر القرائن النصية المساعدة لفهم النص وتحليله للبحث في غماره وظيفاته الضمنية الملفوفة بما هو ظاهر وبيّن.

1-1- التاريخ واستحضار فترة الاستعمار:

تحدّث الرّوائي في متنه عن فترة الاستعمار خلّل ضمنها مضمّرات عن عدة قضايا كالتعذيب والصراعات الداخلية بين المجاهدين في عدة مقاطع على القارئ الوصول إليها.

ذكر الرّاوي في هذا الملفوظ عن المجازر والجرائم التي اقترفها الاستعمار الفرنسي في حق الجزائريين: " شاهد عمي موح الجنود الفرنسيين، مدعين بحركي، حشدوا في ساحة "أفني"، بناء على قائمة أعداء قنون لضباط "لاصاص"،*، كل من

*معنى كلمة "لاصاص" وبالفرنسية « sas » هي عبارة عن مجموعة من المكاتب يتّراسها ضباط عسكريون

مختصون في الشؤون المدنية في الأرياف والقرى ...

قاطع الاستفتاء، ومنهم أخرجوا ثماني نساء وثلاثة رجال، وكذا الطفل علي لرفضها الاعتراف بأنه...، وهو يرعى في سفح الجبل، سلّم أحد المجاهدين شيئاً رآه قنّون الحركي بمنظاره، تم قيدهم بالسلك وأدخلوهم كوخاً في طرف القرية، أغلقوه وأحاطوه بالحطب ونبات الديس ثم رشوا البنزين وأضرموا النار، قال عمي موح: حتى الجبال توجهت لصراخهم كان انبعاث رائحة اللحم البشري المتصاعدة مع الدخان....¹، واتخذوا الاغتصاب طريقة أخرى لتعذيب النساء للاستنطاق " كانت المراهقة حدة لا تعرف فعلاً في أي جبل كان يوجد والدها، وكذلك كانت لن تعرف أبداً، منمنبين العسكريين الفرنسيين الخمسة أو العشرة المتناوبين عليها، الذي قذف في بطنها من حملته ذلاً لتضعه نكراً ثم تهيم"²

انطلق الروائي في هذه المقاطع من مبدأ التعاون الذي يكون بينه وبين المتلقي خاصة الجزائري، فلا بد أن يمتلك المتكلم بعض المعارف المسبقة عن الثورة الإستعمارية دامت مئة واثان وثلاثون سنة، قد يكتسبها من مصادر تاريخية أو صحفية إعلامية صورت ومثّلت ما قامت به فرنسا من تعذيبات وتحقيقات ضد الجزائريين، فهي استعملت عدة وسائل للتعذيب " كالسلك الكهربائي، الكماشة والمسامير وتمليح الجروح وتقليم الأظافر..."³ ومن المفروض أيضاً على القارئ أن يكون على علم بالحرب وماسيها ويعرف أنّ فرنسا عذبت الجزائريين تعذيباً قذراً من أجل الكشف عن أسرار

¹ -السّايح الحبيب، كولونيل الزّيرير، ص 101.

² - المصدر نفسه، ص 118.

هناك العديد من المقاطع الموحية لتعذيب فرنسا للجزائريين، ص 12 - 142 - 143 - 144.

³ - مذكرات رئيس علي الكافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 - 1962، دار القصبة للنشر

والتوزيع، الجزائر، ط1، د.ت. ص 298. والعودة لكتاب مذكرات بول أوساريس، ص 11.

المجاهدين ولم تترك نساء ولا رجالا ولا أطفالا وخاصة اغتصاب النساء اللواتي كن ضحايا وقهروا بهنّ شرف الجزائري وكرامته، فهذه جملة الافتراضات المسبقة تساعدنا على ملء الفراغات البيضاء والكشف عن المضمرات انطلاقا من السياق ثم التأويل لفك الشّفرات المضمنة، فالروائي يحمل بين هذه المقاطع التي تنص عن التعذيب ولم يسكت عنها واستحضر مشاهد المجازر ليفتح أشرة الذاكرة على مصرعيها ولتدرك الأجيال الصاعدة ما قامت به فرنسا وليجعل الذاكرة حية لا تنسوي فضح وحشية الآخر المستعمر الذي يدعي أنه دخل الجزائر لنقل الحضارة إليها.

ويستحضر الروائي على لسان شخصية مولاي بوزقزة صورة الشهيد العربي بن مهيدي وما تعرض له من تعذيب على يد السّفاح أوساريس بول مركزا على شجاعة الشهيد وهيبته للدقيقة الأخيرة من حياته راميا وراءه الخوف والارتباك صامدا ومقاوما للتعذيب حتى الموت "من افتتاحية عدد قديم من صحيفة "المجاهد" السّرية قرأ لم ينظر العدو جيدا إلى بن مهيدي، كان يمكن لجلاده أن يرى أنّه لا جدوى من تعذيبه، كان يستحيل خلخلة عقيدة هذا الثوري، عذب الفرنسيون بن مهيدي لأيام وليال، عرضوه لجميع اختراعاتهم، ولكلّ تقنيات جلادهم السّادية، انهار جسد بن مهيدي منكسرا ومفككا. لكننا نعلم اليوم أن كرامته ضلت مصونة، وأن شجاعته وحزمه ألّبسوا العدو عارا عظيما"¹، اعتمد الروائي في بناء عالم الرواية على مصادر تاريخية موثوقة منها تحدثت عن العقيد العربي بن مهيدي أهمها الجرائد الوطنيّة كانت مصدرا مهما يستقي منه المجاهدون الأخبار، أبرزها صحيفة "المجاهد السّرية" التي ظهرت سنة 1956، إذن على المتلقي في هذه الحالة أن يكون ملما ببعض الأحداث التاريخية عن المجاهد والشهيد العربي بن مهيدي ليتمكن من الوصول إلى ما أراد الكاتب أن

1- السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 106.

يقوله للمتلقّي أنّ المجاهد العربي بن مهدي كان رجلاً صنديداً وشجاعاً وليبّين أنّ الثورة انبثت بسبب رجال أمثال العربي بن مهدي وعبان رمضان وكريم بلقاسم وغيرهم، فالروائي فضح مضمّرات وأعاد إستدعاء التاريخ.

لقد أورد الروائي بطريقة مختصرة الكيفيّة التي قتل بها العربي بن مهدي معتمداً على "مذكرات بول أوساريس"، توصلنا إليها عبر قراءتنا وكفاءتنا الخطابية والتداولية لاكتسابنا بعضاً من الافتراضات المسبقة بنيت على أساس واقائع تاريخية ففي قوله: "في مزرعة مهجورة خرج أوساريس من سيارة ثانية مدنيّة، على أضوائها تقدم من بن مهدي، ممدداً بين يديه العصا السوداء، أشار أوساريس إلى المضليين، فأصعد بن مهدي فوق مقعد مكبل اليدين إلى الخلف ووضعاً في رقبتة الحبل المدلى من عارضة سقف خشبية، ولم يفعل أكثر من أنّه ركل المقعد بحذائه ثم ولى، مردداً ما كان سيعلمه لقد انتحر في مركز الاستنطاق" كان فجر الرابع مارس من العام الثالث 1957 يزفر حزنه¹، فعلى المتلقّي التمتع بخلفيّة غنية عن أي حدث تاريخي كان، ليستطيع البحث عن المعاني والمقاصد المضمنة الموجودة بين السطور أخفاها الروائي ولم يوضح مضمّرات توظيفها تاركا الحرية للتأويل ليتكأ عليها في تحليلته بمساعدة الآليات التداولية، فغاية الروائي من توظيفه هذا المقطع ليوضح للقارئ أن فرنسا أرادت تشويه كبار الثورة، من بينهم بطل الثورة التحريرية وعقيدا يحفل به المجتمع الجزائري اسمه "العربي بن مهدي"، وليدغدغ مشاعر المتلقّي خاصة الجزائري للبحث عن هذا المجاهد لمعرفته أكثر، فالروائي لمح وترك للقارئ لملمت الشتات ليؤكد على شجاعة العربي بن مهدي وخساسة الاستعمار الفرنسي الغاشم.

1- المصدر نفسه، ص 107.

إضافة إلى ذلك مرت الثورة التحريرية بأخطاء أو نستطيع القول "أخطاء المجاهدين" التي تركت فجوة منذ ذلك الوقت إلى يومنا الحالي، هي صراعات بين المجاهدين خلّلت الثقة بينهم أدت إلى اغتيالات وحسابات وقعت في الجبال وشهدها أيضا الجبل الشامخ "الزّيرير".

ويحاول الرّوائي أن يخطو خطى جريئة لاستتطاق عدة قضايا شائكة سكت عنها المؤرخ والتّاريخ الرّسمي بطريقة فنيّة تخييليّة ليترك تاريخنا جميلا وعامرا بالبطولات

وتناولت الرواية أحداثا كثيرا سكت عنها؛ حيث استحضر الرّوائي في روايته مواقف بعض المجاهدين الذين لم يرحموا بعضهم البعض، ليدّش القارئ ويقشعر بدنه وهو يقرأ عن طرق التعذيب البشعة التي مارسها أعضاء من جبهة التحرير الوطني على مجموعة من الطلبة الملتحقين بالجبال في 19 ماي 1956 ، هؤلاء الذين لبوا نداء الوطن وغادروا مقاعد الدّراسة ليواجهوا العدو الغاشم لكنهم وقعوا بين أيدي مجموعة من المرتزقة أيقنوا أنّ الاستقلال آت لا محالة وإن بقي هؤلاء الشّباب المتعلمون على قيد الحياة فإنهم سيسيروا بالوطن إلى بر الأمان لذا قتلوهم لأنهم عملاء فرنسا التي لم تحبذ أن تستقل الجزائر كليا تريدها تابعة لها ليستمر استغلالها لخيرات الوطن: "تمّ تعذيبهم إلى حد إقرارهم بما لم يكونوا أبدا فعلوه، أو فكروا فيه طلبا لاستراحتهم بموت يخفف عنهم ما لم يكن جسد أو روح يتحمّله، عمل غير إنساني يمس بمصداقية أخلاق الثورة ويوهن الصفوف ويفت في المعنويات"¹،

في هذا المقطع معنى المضمّر ليس ظاهرا على سطح الملفوظ، لقد أشار إليه الكاتب عن طريق حركات وإشارات على المتلقي أن يملأ فراغاته بالاستعانة للتأويل

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّيرير، ص 89.

والكفاءات الموسوعيّة والمعلومات المخزّنة والمدسوسة في ذاكرته للوصول إلى المعنى الأصلي المتخفي وراء المحتويات البيّنة المباشرة والصريحة، وبالتالي المعنى الذي أراد أن يبلغه الرّوائي من خلال هذا القول بأنّ تاريخ الثّورة التحريرية مليئ بالمضمرات لم يتم الفصح عليها في الواقع ولiezزع صورة الثّورة القائمة على المثاليّة والشفافية كما صورتها بعضكتب التاريخ الرسمي.

وليبرز وجود صراع على السّلطة بين المجاهدين، كما يمكن القول بأنّ التهم الموجهة لهؤلاء الطلبة لتعذيبهم وقتلهم راجع إلى أنّهم مثقفين، فقائد الولاية خفا من مكانته اتهمهم بالخيانة وعذبهم.

وكأنّ الحبيب السّايح يريد باستثماره لهذه المعلومات أن يززع بعض القنوات الراسخة في الجيل الجديد لينقبوا في تاريخ ثورتهم ويبحثوا في مضمراته. فاستثمار معلومات يوصل المعنى الحرفي إلى القارئ، أما القصد فهو تساؤل عن سبب هذا التوظيف في السّياق الحاضر، سياق كتابة الرّواية.

وما يؤكّد هذه الفكرة أيضا استحضار الرّوائي صوت المجاهد "مولاي بوزقزة"، الذي تحدث عن قضايا أغفل عليها التاريخ الرّسمي، كتصفية كبار قادة الثّورة كمصطفى بن بولعيد وسي الحّواس بطرق غامضة لا يتقبلها العقل المنطقي "يعدم سي مسعود شيهاني في العام 25 أكتوبر 1955، غير من وسامته ونكائه؟، تصفية كيلا يكون خليفة القائد المقبوض عليه، لأنّه آت من ناحية أخرى؟ مضحك أن تلفق له تهمة تعايطي الشذوذ، وكيف لقائد محنك مثل بن بولعيد أن يقتله، في العام الثاني: 22 مارس 1956، جهاز راديو مفنخ ألقت طائرة العدو جيئ به إليه في الكازمة، ليحرب تشغيله؟ وبعده يقع القائد زيغود في العام الثاني 25 سبتمبر 1956، في كمين نصبت له هو وسبعة من رفاقه دورية معادية في أحد

المنازل المعزولة؟ وأي أخبار عن القائد عبان رمضان نصدق، استشهاده في العام الثالث: 26 ديسمبر 1957، كما بلغنا عبر جريدة "المجاهد"، أم تلك التي تشاع أنه قتل لربطه اتصالات مع العدو، لم يكشفها للرفقاء، أم أنه اغتيل تصفية لحسابات؟¹؛ حيث لمح الروائي إلى المتلقي عبر إشارات وقرائن نصية يستضيفها المتلقي: "يعدم سي مسعود شيهاني غيرة من وسامته وذكائه وكيلا تكون خليفة القائد المقبوض عليه، وكيف لبن بولعيد أن يقتله جهاز راديو، ويقع زيغود يوسف في كمين في أحد المنازل المعزولة، وعن عبان رمضان اختلفت عنه الآراء، فكلّ هذه الملافيز عبارة عن تلميحات غير مباشرة، تبين وجود صراعات وخيانات ومؤامرات مست تاريخ الثورة لأجل حب السلطة وتغلغل الخونة والحركة في وسط المجاهدين الأبرار، فهذه الاعترافات الخطيرة المغيبة تزعزع قناعات القارئ وتجره إلى ضرورة البحث والتقصي لفهم ما حدث.

1-2- التاريخ واستحضار فترة ما بعد الاستقلال:

ينتقل الجد "مولاي بوزقزة" إلى فترة ما بعد الاستقلال التي شهدت أحداثا صعبة لاختلاف إخوة الأمس فيما بينهم لأسباب سلطوية وسياسية كادت أن تغرق البلاد في أزمة خطيرة تدخلها في حالة فوضى، لولا قداسة الثورة جنببت ذلك " فالوالد كولونيل زبربر، قبلي، لأبد أحزنه حسرة جدي مولاي بوزقزة، وهو ينشر على حبل النسيان بعض ما لطخته حماقات إخوة السلاح، فإنه لم يكن يتوقع، سجل ذلك أيضا، أن يكون أول صيف للاستقلال بداية فتنة أخرجت ثقل ما ظل متسترا عليه خلال الحرب"²، نقلت الحفيدة "طاوس" مأساة وحزن الجد مولاي بوزقزة وما آل إليه إخوة

¹ - السايح الحبيب، كولونيل الزبربر، ص 128 - 129.

² - السايح الحبيب، كولونيل الزبربر، ص 171.

الأمس بعدما كانوا يقاتلون بجانب بعضهم البعض، لأجل مصالحهم الشخصية من يبق على رأس السلطة فحب المصلحة كاد أن يجر البلاد إلى التهلكة، مستذكرا من هنا شخصية تاريخية تركت في قلب مولاي بوزقزة فراغ وحزن عميق شخصية "العقيد شعباني" يعتبر أصغر عقيد في صفوف جيش تحرير الولاية

الرابعة*أعدم بعد الاستقلال عام 1964¹، لإتهامه بالتمرد عن السلطة، التي كان يقودها كلّ من الرئيس أحمد بن بلة ووزير الدفاع هواري بومدين وعدم الانصياع لأوامرهم "بعد الذكرى الثانية للاستقلال، غادر النقيب مولاي الحضري المكنى بوزقزة، كلّ حياة لها علاقة بشؤون الدولة، لذا سجل أنّه لن يبرأ من جرح إعدام العقيد شعباني "ذروة المسؤولية! خالص العبثية أيضا!" فشفرف جندي مثله كان لن يسمح له بأنه يزكي خرقا فادحا كالذي وقع في حق ذاك العقيد"²

إنّ شخصية مولاي بوزقزة تعتبر رمزا تاريخيا مشحونا بأصوات متعدّدة ساهمت في بناء العالم التاريخي، ولكن لم تتل حضورها في الكتابة التاريخية الرسمية بشكل كبير، ما دفع بالمتخيّل الرّوائي إعطاء فرصة للحديث عن الذين لم يصنعهم التاريخ الرّسمي، وكما أتاح للمتلقّي معرفة أفعال الذين كانوا في السلطة ما أدى به للبحث العميق عن هذه الشخصية التاريخية ليكتسب افتراضات وكفاءات يتلقاها من الحكايات

*قسمت الجزائر خلال حرب التّحرير إلى ست ولايات على رأس كل واحدة قائد: الولاية الأولى: الأوراس . الولاية

الثانية: الشمال القسنطيني. الولاية الثالثة: القبائل. الولاية الرابعة: وسط الجزائر. الولاية الخامسة: الغرب

الجزائري. الولاية السادسة: الصحراء. الحبيب السايح، كولونيل الزّبربر، ص 19.

1- لخضر بورقعة، مذكرات الرّائد سي لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثورة"، تح: صادق بخوش، دار

الأمة، الجزائر، ط2، 2000، ص 107.

2- الحبيب السايح، كولونيل الزّبربر، ص 177.

المدونة في كتب التاريخ "كمذكرات الرائد سي لخضر بورقعة ليوسف الخطيب، وكتاب أيام مع الرئيس هواي بومدين وذكريات أخرى لمحي الدين عميمور ومذكرات أحمد بن بلة"، التي تعددت الآراء واختلفت الأقوال في هذه القضية " قضية إعدام العقيد شعباني"، فمثلا في "مذكرات أحمد بن بلة" عن العقيد شعباني، جرى الجرة لصالحه في قوله "أعدم العقيد شعباني التي لا يمكن الدفاع عنه، والذي تمقته بعمق الجماهير الشعبية التي كانت عصاباتة تشيع بينها الرعب"¹، يسكت أحمد بن بلة عن الحقيقة المرة التي دفعت لاعدام العقيد شعباني، وما لاحظناه أن رواية "كولونيل الزيربر" فضحت ماسكت عنه وما أضمر وما غيبه رئيس الحكومة السابق أحمد بن بلة في قول مولاي بوزققة "أسكت العقيد شعباني رميا بالرصاص قبل ثمانية وأربعين عاما، كيلا يقول شيئا آخر"²، هذا الملفوظ حسب الحركات والإشارات الظاهرة والسياق يتوصل المتلقي إلى ما هو ضمني، أي العقيد شعباني كان يعرف الكثير عن خبايا السلطة الجديدة في تلك الآونة 1964، من فساد ولهف ونهب الممتلكات وحب المصلحة والبقاء على السلطة حتى ولو كانت ضد الوطن الجزائري والشعب ما لم يحبذه العقيد شعباني ووقف ضدهم ما أدى إلى اتهامه بالتمرد عن السلطة.

كما ذكر الروائي بعض الأسباب الأخرى على خلاف التمرد لإعدامه لكن بطريقة غير صريحة يتوصل إليها القارئ عبر افتراضات ومعلومات تكون مدسوسة ومخفية في ذاكرته عن هذا الحدث المرير الذي يخفي الكثير من التضمينات التي

¹ - بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، تر: العفيف الأخضر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص

² - الحبيب السايح، كولونيل الزيربر، ص 60.

نستدل عليها عن طريق المحتويات البيّنة والسّياق الثقافي والتّاريخي الذي يساعد المتلقي بالنّش في غمار الملافيظ.

فالروائي أعطى صوتا "للعقيد شعباني" على شكل حوار مع أحد المستشارين يبيّن فيها أسباب إعدامه بطريقة غير مباشرة في قوله: "لن أفرط في ما أنجزته في هذه الناحية، ولن أقبل أن ينتزعوا مني منطقة بسكرة، ولن أرضى بأن يلغموا هيئة قيادتي هنا بضباط يرسلهم أحد القدامى في جيش العدو سابق .

-هذا يسبب لك متاعب مع وزير الدفاع

-ذكرت له، لما التقينا في فيلا جولي، أسماء الضّباط الذين يغطي على تاريخهم ضمن الجيش الفرنسي في الحرب العظمى الثانية وفي الهند -الصينية ومن تكونوا في مدارس فرنسا البحرية ، وقلت له أنهم هم الذين يعتمد عليهم الجنرال حاليا ومستقبلا

-حضرات، أنت تعرف أن مجموعة "الفارين من الجيش الفرنسي" خاصة الشبان منهم ليسوا جميعا مدسوسين

-لعل لوزير الدفاع خطته في استعمال تاريخهم ضدهم

-لا أحب الابتزاز، وإن فعل فإنما ليقوي بهم مركز سلطته نحو طموح أكبر(حب المصلحة)

-حضرات، لا هو ولا الرئيس صارا ينظران إليك بعين الرضا يجب أن تحذر

- جمعت وثائق تثبت أن أولئك الضباط هم من اختارهم الجنرال ، عند شعوره بأن فرنسا فقدت الجزائر نهائيا، ليكونوا خلفاءه تحركهم مصالح دولته (خطير)

-حضرات مثل هذا المسعى يتعرض حياتك للخطر

- لا أهتم مادام ذلك من أجل بناء جيش وطني على أسس أخلاق الثورة، بدم نقى،
بقيادات متعلمين من الذين كانوا يحملون السلاح هنا في الداخل، وليس بطغمة
اولاد القياد والباشاغوات ...

-لا افهم لماذا هم على هذه الشراسة تجاهك؟

-لأنني رفضت أن أرسل وحداتي للقتال ضد رفاق الكفاح في منطقة القبائل، قلت
لرئيس وقائد الأركانان الوضع يستدعي حكمة وتعقلا وحلا سياسيا.

-ولكن الآن يأمركالرئيس بالالتحاق بالعاصمة

-لينتزعوني من جذوري هنا؟ أنا سأرفع السلاح من جديد في وجه الدكتاتور.

- يا حضرات أنتنؤكد تهمتهم الملفقة في حقك، أنهم يكتبون في تقاريرهم ويشيعون
أنك تبغي الانفصال عن الشمال لتستوي على البترول

- بل إن الرئيس الآن يكون قد أصدر مرسومه بتجريدي من رتبتي، وأمضي وثيقة
أساساتها بمؤامرة الانقلاب، وأعطى أوامره بإلقاء القبض علي، إنني أرى مصيري
أمامي، مثل شريط ، كثير ممن أدينوا من قبلي أعدموا"¹

في هذا المقطع الحوارى بين العقيد شعباني وأحد المستشارين، استطاع الروائي
إستدعاء حقبة تاريخية مهمة مغيّبة أو عمد نسيانها بكل جرأة وشجاعة لوقوفه على
عدة حقائق تدل على أنّ تاريخنا غامض ومبهم علينا مناقشته من جديد وعلى القراء
اكتشاف جميع الخبايا، هذا دليل على أنّ الروائي يتمتع بكلّ الافتراضات المسبقة

¹ - السايح الحبيب، كولونيل الزيربر، ص 275 - 277.

السياسية والتاريخية، أي أنّه مطلعاً وعليماً بكلّ أحداث تلك الفترة التاريخية المحددة حول إعدام العقيد شعباني، واشترط الرّوائي أيضاً مبدأ التّعاون بينه وبين المتلقي للوصول إلى ما يقصده الرّوائي من هذه القضية المأساوية، ولإستنتاج المعنى المسكوت عنه على المتلقي أن يكون مشبع بالمعرفة اللّغوية والموسوعيّة ويكون على دراية تامة بالحدث.

بعد عودتنا إلى مجموعة من النّصوص التاريخية التي تحدثت عن أسباب اغتيال "العقيد شعباني"، استدللنا على ذلك فالرّوائي تطرق إليها بطريقة ضمنيّة مخبئة وراءها العديد من المضمّرات، على القارئ كشف اللّثام عنها، فهو أراد أن يبيّن قوة شخصية العقيد الذي لم يخف من السّلطة المركزية لصالح الوطن التي أدت به إلى الإعدام والموت، وليضيف أنّ العقيد شعباني له مكانة عالية وأنّه ليس خائن كما روج له، فهو أتاح لنا معرفة ما حدث بعيداً عن السّلطة الحقيقيّة والمركزيّة، فالرّوائي الحبيب السّايح وجه للقارئ رسالة مشفرة للبحث والكشف عن بعض الحقائق المنسيّة وملاً الفجوات والثّغرات التاريخية. من خلال كتب التّاريخ؛ لكن لماذا يدافع الرّوائي الحبيب السّايح على العقيد شعباني في منته الرّوائي؟، فمن خلال المقطع الحوارى تبين كما قلنا أنّنا أن المجاهد شعباني مجاهد شجاع وذو قوة و حب كبير لبلده ما أدى إلى إعدامه بسبب وقوفه ضد السلطة لعدم قبوله بعض قوانينها، ما خلق توتر واختلاف وتأزم موقفه مع رئيس الحكومة أحمد بن بلة ووزير الدفاع هواري بومدين اللذان شوها صورته وسمعته، كما يقول أحمد بن بلة في كتابه مذكرات أحمد بن بلة: "إن نفذ حكم الإعدام في حق العقيد شعباني الذي لا يمكن الدفاع عنه أو الذي تقتّمه الجماهير الشعبية التي كانت عصاباته تشع بها الرعب"¹، ولكن ما رأيها بعد الافتراضات

¹ - بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، ص 23.

المسبقة أن حديث بن بلة لم أجد ما يقابله في كتب أخرى، ففي مذكرات لخضر بورقعة رأي يخالف بن بلة ففي قوله: "دعا بن بلة وبومدين شعباني أن يتوجه بقواته فوراً إلى منطقة القبائل بقبضاء على منظمة F.F.S، ويدهام المتمردين ويصفوهم جماعياً، ولكن شعباني رفض أن يورط جيشه في دوامة الموت، دون علم بخفايا كواليس السلطة، أغاض تمرده الرئيس بن بلة، أما بومدين فالتزم الصمت كعادته... رتب بومدين سيناريو ليقع بين منظمة F.F.S وشعباني لكن فشلت... فعمد إلى أسلوب الاتهام مباشرة زاعماً كلا من لخضر بورقعة وشعباني يرفضان المقاومة تمرّد المنظمة وعصيانها، وعلن الهجوم على الجميع دون تمييز"¹، كان موقف شعباني حيادي لعدم انصياعه لأوامر السلطة، ولا يريد أن يورط الجيش في دوامة الموت، كما كان له مواقف إيزاء السلطة بعد الاستقلال دفعته للتمرّد لنزاهته وثوريته ووطنيته، وذلك ما قام به وزير الدفاع ورئيس الحكومة "كاسناد حكومة بن بلة مهمة تكوين ضباط شرطتها لقيادة الشرطة الفرنسية، استقدام مجموعة من الضباط الساميين في الجيش الفرنسي لاستكمال تكوين الجيش الشعبي الوطني..."²

كل هذا ترك الرّوائي أن يدافع عن العقيد شعباني الذي اتهم بالتمرّد والعصيان اتجاه السلطة ليبين مدى شجاعة أصغر عقيد في الجيش.

1-3- تاريخ المحنة أو العشريّة السوداء :

ينتقل الرّوائي إلى إطار آخر تدهورت فيه الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة وساد الرعب والعنف في أرجاء الجزائر أدى إلى خسائر ماديّة ومعنويّة هي "فترة المحنة أو

¹ - بورقعة لخضر، مذكرات لخضر بورقعة، ص 152 - 153.

² - الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر 1954 - 1962، منشورات اتحاد الكتاب العرب، الجزائر،

1999، ج2، ص 316-317.

العشريّة السّوداء في التّسعينيات" نشبت فيها صراعات داخلية بين أبناء الوطن راح ضحيتها الشعب الجزائري.

منح الرّوائي الحبيب السّايح نصه الرّوائي لشخصيات تخيلية "ككولونيل الزّبربر" الذي كتب مذكراته عن العمليات التي قام بها ضد الإرهاب* في جبل الزّبربر الملقب باسمه تاركا في قلبه محنة كبيرة، إذ صوّر لنا عبر مذكراته التي روتها ابنته "طاوس" أبشع المواقف الدّموية من تمشيطات وذبح وتعذيب مدعي الجهاد في سبيل الله " أنّه الآن يستعيد يوم نزوله من سيارة جيب، كانت تتقدم رتل مركبات الجنود، كان وقف دقيقة يتأمل سكون الزّبربر الأخضر، قبل أن يعطي إشارة الانطلاق في أولى عملية تمشيط واسعة بإسناد من المروحيات وطائرات الاستكشاف والقتال، إثر كمين فاتك نصبته مجموعة "الهول" المسلحة لفصيلة الدرك المتنقلة في أحد منعرجاته فأبادتها واستولت على أسلحتها وأحرقت مركباتها"¹،

* الإرهاب: تعنى كلمة الإرهاب Terror الطرائق والأساليب التي تحاول بها جماعة منظمة، أوفئة أو حزب، لتحقيق أهدافها عن طريق استخدام آليات العنف والقوة والقسوة وتوجهها ضد الأشخاص سواء كانوا أفراد أو جماعات أو ممثلي السلطة مما يعارضون أهداف الجماعة، ويتولد الإرهاب عبر عدة عوامل متعددة ومختلفة ترتبط بتعدد وتنوع واختلاف المواقف والأهداف والمصالح التي يتخذها الإرهابيون، ومن الناحية السوسيولوجية، فإن العنف والإرهاب غالبا ما ينشآن في فترات التغيرات والتحولات الجذرية والسريعة، وذلك بسبب حدوث اجتماعية وسياسية وتطلعات مستقبلية، ويمكننا تقسيم أسباب الإرهاب إلى أسباب مباشرة وغير مباشرة، وتأتي في مقدمة الأسباب المباشرة العوامل السياسية والدينية والعرقية، في حين تكون الأسباب غير المباشرة غبي شكل عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية. للتوسع أكثر العودة لكتاب: الحيدري إبراهيم، سوسيولوجية العنف والإرهاب، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2015، ص 31-35.

¹ - السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، ص 50-51.

بعث الرّوائي هذا المقطع إلى الفرد الجزائري خصوصا الذي يعرف ما مرت به الجزائر في فترة الإرهاب وقيامهم بأفضع الجرائم وخاصة الذّبح، ما أدى بالدولة الجزائرية القيام بعمليات تمشيّطية في الجبال ما دفع كولونيل الزّيربر يخاطب الجبل بحسرة وحزن "يا جبل تحملت بصدرك، مثل أب خرافي، جحيم النبالم، وكلّ أنواع القنابل وأحجامها سبع سنين ونصف، ذلك لدى نزوله من عقب آخر عملية مسلحة، ضمن فصيلته، تم خلالها أسر "لحمر زغدان"، إثر القضاء على جماعته"¹

فهذه الوقائع التي ذكرتها رواية "كولونيل الزّيربر" عن العشريّة السوداء لها ما يعضدّها في كتب التاريخ، فهو إتكاؤها في بناء أحداث روايته معلنا عنها بطريقة مباشرة عن مجازر المجموعة المسلحة، ولكن حسب افتراضاتنا المسبقة من مصادر تاريخية لاحظنا أنّ الرّوائي سكت عن الأسباب السياسيّة التي دفعت بعناصر من الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ والمنتقلين إلى الأحزاب الإسلاميّة الصعود للجبال والانخراط في العمل المسلح مما أدى إلى تدهور الوضع الاجتماعي الجزائري، فبالرجوع إلى عام 1992 وذلك بعد حل حزب الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ بعد فوزها في الانتخابات منذ 14 آذار وبعد إعلان حالة الطوارئ، ثم إعتقال العديد من الإسلاميين إلى رقان ووادي ناموس... وفي نهاية تموز 1992، كانت الجزائر غارقة في الخراب بعد شهرين من المواجهات، أحصى عشرات القتلى وآلاف الإسلاميين"²، إنّ الرّوائي انتقى من التاريخ ما يخدم روايته تاركا القارئ يبحث ليطلع عن الأسباب السياسيّة

¹-المصدر نفسه، ص 51..

²- سويدية حبيب، كتاب الحرب القذرة " شهادة ضابط سابق في القوات الخاصة بالجيش الجزائري 1992-

2000"، تر: روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2003، ص. 59-70، للتوسع أكثر في

أسباب إلحاق الإرهاب بالجبل العودة للكتاب.

والدينية التي غرقت الوطن في دوامة الهلاك مضمّر عن الأيدي الخارجية التي كانت لها اليد في انتشار الإرهاب في الجزائر.

كانت للروائي براعة انتقاء أحداث تاريخية لروايته منتقلا من الوثيقة إلى مجال الخطاب السردي، متفتحا على عدة مقاصد ودلالات يُمرّرها الروائي بين سطور الرواية، مبرزاً من خلال ذلك وحشية المجموعة المسلحة رافضاً الإرهاب بجميع أنواعه.

حيث استطاع الكاتب إعادة بنائها واستنطاقها ليتحدث عما غفل عنه التاريخ الرسمي، على القارئ المثقف وحتى البسيط عبر تأويلاته يتمكّن من المقاصد والمعاني التي أراد الكاتب أن يقولها وأن يعدّل بعض الرؤى مستحضراً أحداث مرجعية تاريخية من وثائق رسمية ليكشف ما أضمر عنه المتن الروائي وما تم فضحه بين السطور.

كما يمكن القول بأنّ الروائي الحبيب السايح لديه معرفة كبيرة للتاريخ الجزائري مما ساعده على بناء عوالم وأحداث الرواية، التي يمكن القول بأنّها من الروايات الجزائرية القليلة " التي تماسفت مع ما يقدمه التاريخ من وقائع تقديسية للثورة الجزائرية، فجاءت دون أفكار مسبقة مضيئة له رؤية جديدة لا تنزع إلى محور أفعال كانت قائمة بل تبغى تسليط الضوء على أفعال جديدة تحتاج مزيداً من العناية والتأمل لكتاب التاريخ في شكله الأقرب إلى الحقيقة بحوثاته الإيجابية والسلبية"¹، إذ صور لنا التاريخ عبر ثلاثة أزمنة تاريخية زمن الاحتلال الفرنسي مع الجدّ بوزقزة وما قدّمه في مذكراته من صراعات وتضحيات ومؤامرات في جبل زبربر، وفترة مابعد الاستقلال من أخطاء السلطة والقادة والمجاهدين إلى فترة العشرية السوداء مع كولونيل المدعو زبربر، ممزراً بين سطورها أقوال مبطنة ومضمرة أو معلومات ومدسوسة خفية، يتوصل إليها المتلقي

¹ - بن صافية عبد الله، المتخيّل التاريخي في الرواية العربية "جدلية المرجع والمنجز السردية"، مذكّرة لنيل

شهادة دكتوراه، تحت إشراف إسماعيل زردومي، 2016-2017، ص 288.

عبر دلالات وتأويلات وافتراضات وكفاءات موسوعيّة ولغويّة وتداوليّة إلى المقاصد التي أراد الكاتب إيصالها للقارئ ليفطنه من سباته ونظرته الأحادية لتاريخه الوطني الجزائري **المشبع بالحقائق المسكوت عنه**، **تم سردها كي لا يطويها النسيان**¹، ويبقى دائما في ذاكرة كلّ جزائري.

2- المنحى الاستلزامي والاستدلالي التّخاطبي في رواية "الحركي" لمحمد بن جبار للكشف عن المضمّر.

إنّ رواية "الحركي" للروائي محمد بن جبار من الروايات التي حاولت إعطاء صوت للمهمش "الحركي" في المجتمع الجزائري، محاولة الحفر في قضايا تاريخيّة غيبتها وطمسها التاريخ الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، فمحمد بن جبار من خلال روايته مرّر مقاصد ومعاني ملتقة بين سطور الرواية "فهو يقصد أكثر ممّا يقول" على المتلقي الوصول إليها عبر آليات إجرائيّة تداوليّة، لكن كيف يتوصل إلى مقاصد غير مباشرة عبر المنحى الاستدلالي والاستلزامي التّداولي في رواية "الحركي" محمد بن جبار؟

تحمل الرواية في طياتها الكثير من المقاطع التاريخيّة التي تخفي الكثير من المضمّرات والمقاصد على القارئ أن يساهم ويتعاون ليملأ الثغرات الموجودة ما بين السّطور والاستدلال عليها عن طريق التّأويلات والكفاءات الموسوعيّة واللّغويّة والمعارف والافتراضات المسبقة ليتوصل إلى المقاصد والمعاني، ففي الحوار الذي دار بين القائد مونتروي والملازم ألجيري نلاحظ استلزاما حواريا تعدى الصورة الحرفيّة

¹ - أم السّعد حياة، اللامنتمي والتّفوق على الذات والذاكرة الأنساق المضمّرة في رواية أربعون عاما في انتظار

إيزابيل لسعيد خطيبي، مجلة اللغة العربيّة، ص.

والمباشرة إلى ماهو قضوي ومستلزم "دعا القائد مونتروي الجيري ببيير إلى الجلوس على الأريكة.

- ما الجديد في الشأن الجزائري؟
- إقالة ماسو والجنرالات المنشقين، هناك أيام عويصة مع تشكل جبهة الوطنيين الفرنسيين حركة طبيعية لإعادة استعادة الجزائر.
- هذا نتاج التنازلات المعلنة وغير المعلنة وضبابية الرؤية والتخبط السياسي في الحكومات المتعاقبة، هناك انهيارات عدة إلى مستويات متعددة، إن كان دورنا ومهامنا هو استمالة السكان إلى صفنا ولا ننكر النتائج التي توصلنا إليها مهما كانت رمزية، فهي مهمة للغاية على المدى البعيد، أنت تعلم أن التعداد في وحدتنا تجاوز مائة مستخدم بين رجال الوحدات النظاميين والمدنيين المختلطين، حاول أن نحافظ على معنويات المستخدمين وراقب كل صغيرة وكبيرة في سلوكهم وتصرفاتهم لأننا على مقربة من الانهيار، هذا سر يجب أن تحفظه كن لنا ونكر كل عسكري أو مدني بواجباته وكفى"¹

إنّ هذا المستدل به (الشكل) يحتوي على معاني مستدل عليها (الباطني) على القارئ أن يصل إليها عن طريق السياقات المحيطة بالنص المتمثلة في كلّما هو متاح للذات المؤولة (القارئ والمتلقي) من معارف وأفكار تكون متداولة بين المتخاطبين وذلك تحت "مبدأ التعاون"، فالمتكلم يرمي بإشارات أو تشفيرات للاستدلال على ماهو مضمّر ليتوصل إليها المتلقي عليه تحليل القول والاستدلال وفق معارف سابقة مشتركة بين المتخاطبين عن طريق العملية الاقتضائية التأويلية، ومن ظاهر الحوار نلاحظ أنه جاء ضمن سياق تاريخي أي إبان الاحتلال الفرنسي، وعن الشأن الجزائري بالضبط

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 28-29

سنة ألف وتسعمئة وستين؛ حيث بدأ الاستعمار الفرنسي بالانهيار وشم رائحة استقلال الجزائر، ما أدى إلى خوف وقلق القائد والملازم من ذلك هذا ما استلزم ضمناً في هذا الحوار، كما نلاحظ أيضاً خرق وانتهاك لقاعدة من قواعد غرايس لمبدأ الكم ومبدأ الملاءمة؛ وذلك أنّ المتحاورين أجابا عن الأسئلة أكثر ممّا هو مطلوب وأكثر مماله صلة بالموضوع، فهنا يتجلى خرق مبادئ غرايس عمداً وقصداً ليترك المؤلّد أن يستدل للوصول إلى الضمني والمضمّر.

كما هناك حوار تاريخي آخر بين شخصيتين تخيليتين سي الحبيب وهاب عن النهب والطمع للاستيلاء على الأراضي، فالروائي في هذا القول استلزم شيئاً على المخاطب القيام باستدلالات واستنتاجات معينة للوصول إلى المعاني القضية، عبر فك ترميز الافتراضات المسبقة كافتراض احتلال فرنسا للجزائر، وكان هناك جزائريون خدموا فرنسا لمصلحتهم الذاتية يسمونهم العملة الثالثة أو الحركي " قال وهاب عن ولد عايشة الذي أراد الاستيلاء على أرضهم للحبيب الشامبيط: - هزئت المجرمون طلقاء أحرار، يعربدون وكأن فرنسا العظيمة شمسها على وشك الغروب.

- قال له الحبيب: فرنسا هي فرنسا، ربما أنت متخوف من استعادة القطع الأرضية التي بجوزتك أو التي يستحوذ عليها، رأيت اليوم مولا دعوتك أو كما تسميه أنت ولد عايشة، يسير في أحياء البلدة.

- ياسي الحبيب، تلك الأرض البيضاء ليستملكهم ولا يوجد لها وثائق، والدهم كان خماساً عند أسياده، كان يشغل هذه القطع الأرضية بطرق غير شرعية ولم يكن... الضرائب ولا مبلغ الإيجار حتى بالفرنك الرمزي.

- لكن أنا أعرف أن الأب كان يشتغل عليها منذ مدة زمنية طويلة، وأظن أنه سري عليها التقادم المكسب والله أعلم

- اسمع ياسي الحبيب نحن خدمنا فرنسا وخدمنا هذا الغاشي أبا عن جد، من حقي التمتع بأمالك فرنسا، نحن نعيش تحت لوائها.
- لكن ليس الاعتداء على حقوق الغير، بتحد كبير، علاقتك بفرنسا المدنية أو العسكرية لا تشفع لك أن تكون مواطنا من الدرجة الأولى، السياسيات تغيرت ورحلت العصور البائدة ونحن على مشارف جزائر يتعايش فيها الجزائريون بكل أطيافهم واتجاهاتهم ودياناتهم، سمعت هذا من خطاب ديغول في مستغانم قبل أشهر".

صوّر الروائي في هذا المقطع استنزما تخاطبيا، نتوصل إليه عبر الاستدلال الذي يشتغل بصورة أساسية على التأويل، ذلك أنّ الروائي تعدى ماهو مكتوب ومنطوق إلى المضمن وغير الصحيح، خارقا مبدأ من مبادئ غرايس مبدأ الكم؛ حيث أنّ وهاب تحدث أكثر مما هو مطلوب لإقناع حبيب الشامبيط ومبدأ الكيف أنّه كان غير صادق أو كاذب فيما قاله عن قطعة الأرض أنوالد ولد عايشة لم يخدم هذه الأرض بتاتا، ومبدأ الملاءمة أنّهما خرجا في حديثهما عن قطعة الأرض، وذلك تحت مبدأ التعاون الذي يتكون بين المتخاطبين لإنجاح عملية التّواصل إلى الهدف أو غاية المتكلّم من تحركات المحاورّة.

أيّ أراد الروائي محمد بن جبار إبلاغ المتلقي معنى مستلزم ضمني بأنّه رغم الاحتلال الفرنسي الذي دمر ونهب خيرات الجزائر تجد أنّهم من نفس أبناء الجلدة يتعاركون على قطعة أرض، كما أراد تبين أنّ "الحركي" اعتبروا الجزائر ملكا لفرنسا بأراضيها وخيراتها ونسوا أنّها جزائرية الأصل وأنّهم يعيشون تحت لوائها، ما أدى إلى النهب والطمع والاستيلاء بالقوة على أراضي الغير وأراضي الضعفاء، فمن خلال هذا المستدل به توصلنا إلى المستدل عليه المستلزم المضمّر.

إنّ الحركي في المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي كان منبوذا من طرف الأهالي لخيانته والعمل لصالح المستعمر الفرنسي الغاشم ونلاحظ ذلك من خلال

الحوار الذي دار بين قويدر الهجال ومحمد بن شارف "أصبحت حركيا مثلكم، قال لي دون أن يلفت إلي: وهل هناك فرق بين مخزني وحركي؟ قلت له: الفرق بينهما هو حمل السلاح رد علي: دعك من هذه الخزعلات، اليوم الذي دخلت فيه لأصاص، اليوم الذي بعث فيه نفسك للشيطان دخلت فيه للتحركات من بوابة اللاشرف الواسعة لا يمكن بأي حال استرداد روحك منه أبدا"¹، ففي هذه المحاور* يراد من ورائها معنى متخفي وراء ما هو ظاهر، يصل إليه المتلقي عبر الاستدلال الذي يقتضي تأويلات، معتمدا على المعارف السابقة؛ حيث أراد الروائي على لسان الشخصية تبيان الفرق بين المخازني والحركي، وإنّما كلّ من عمل عند فرنسا ولصالحها ودخل تكننتها يعتبر حركيا في نظر كلّ جزائري.

وأراد إظهار أن "الحركي" على دراية من أمرهم أنّهم بدون شرف وبدون هوية لتخليهم عن وطنهم وليس لهم مكان فوق تراب الجزائر، وحتى في نظر فرنسا أنهم باعوا وطنهم ومن يبيع وطنه يبيع كلّ شيء، هذا ما أدى بهم إلى تأنيب ضمير بن شارف أحيانا لدخوله لأصاص رغم أنّ القدر والظروف والأسباب هي التي أرغمتهم وحتمت ذلك "وضعت موسى الحلاقة وبدأت أتأمل هذا الوجه سيء السمعة، يجبر تاريخا مثقلا بالخيانة، محفورة بعيدا في قسماته، رغم جمال هذا الوجه العربي ووسامته وتناسقه ومحافظته على ملامح الشباب، فإنه متسخ برذيلة الحركي، لماذا تورط هذا الوجه في مستنقع التاريخ والخيانة؟، لكن الناس لا يعلمون أنه

¹- بن جبار محمد، الحركي، ص115.

* يعتبر الحوار من معطيات التواصل ومن الأسس التي ينبني عليها كلّ تفاعل قلبي ونتاج لساني يستهدف

التواصل مع الآخر، مع حرص بعضهم على تدقيقه وإكسابه مزيدا من الفعالية الوظيفية. العجمي محمد ناصر

المشهد الآخر في كتابة الذات، ص 100.

من ضاعت منه قطعة صغيرة من أرضه، قطعة من قلبه"¹، يحتوي هذا المونولوج على معرفة مشتركة بين الرّواي والمتلقي، على أن الحركي هو من خان وطنه وذلك تحت "مبدأ التعاون" بينهما لإحداث تفاعل بينه وبين المتلقي ولتحقيق تأثير وتغيير في هذا القارئ، إذ بعث برسائل مشفرة عبر متنه الرّوائي إلى المتلقي الجزائري الذي اكتسب معارف قبلية عن الحركي عبر الأفلام التاريخية كمعركة الجزائر يصور سوء سمعة الحركي الذين يولون الاحترام لفرنسا ضد شعبهم ووطنهم، ولكن رغم ذلك أراد الرّوائي تبين أن الحركي غير راضين بأفعالهم ما أدى بهم إلى تأنيب الضمير، ويعلمون أنهم خونة وسيبقون بهذه السمعة الرذيلة عبر التاريخ الجزائري، وبعد تأويلاتنا واستدلالاتنا لاحظنا وجود استلزام تخاطبي قصده الرّوائي من متنه النصي.

كما تحدث الرّوائي عن "الإصلاحات الكبرى" التي قامت بها فرنسا سنة 1956 بطريقة فنية تخيلية عبر شخصية القائد مونتروي والحركي محمد بن شارف " عملت على تجميع الدواوير المتشظية في وحدة بلديات مختلطة، قمنا بإنجاز مشاريع عديدة كتمهيد الطرقات وفتح المسالك وتهيئة عيون الماء،...المصالح الصحية تتفقد الأهالي في المناطق الأكثر عزلة، مددنا قنوات المياه وأنعشنا المنطقة بدواويرها الكثيرة التي تمت بسرية ديموغرافية عالية، التغيير أصبح محسوسا لدى الجميع، لأجل حياة أفضل...لولا إرادتنا التي أولت أهمية قصوى لمعيشة الأهالي وإيجاد أنماط زراعية حديثة تساعدهم في الخروج شظف العيش، غرسنا الكروم في هذه الأرض شبه الصخرية شيدنا المطامير والغابير ومنشآت التحويل والمخازن"²، تعدى الرّوائي في هذا المقطع الصورة

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 211.

² - بن جبار محمد، الحركي، ص 23-24.

الحرفيّة المباشرة إلمعاني ضمنّيّة موجودة يتوصل إليها المؤلّ / السّامع عن طريق التّعاون بين الطرفين وكفاءات موسوعيّة استدلالية عن الإصلاحات الكبرى التي يعتبرها القائد مونتروي "أنّها نعمة على الأهالي" ولأجل جزائر متحضرة هذا ماهو ظاهر، أمّا ماهو مضمّر متخفي بين ثنايا السّطور التي نستدل عليها ونستنتجها عبر ماهو غير ظاهر أو ضمّني، فالمؤول من خلال كفاءاته ومعارفه السّابقة والسّياق يتوصل إلى أنّ هذه الإصلاحات الكبرى لم تكن لأجل الأهالي، وإنّما لأجل فرنسا باعتبارها الجزائر فرنسيّة الأصل أي لمصلحتهم الذاتيّة، لاعتقادهم أنّهم أولى بهذا البلد.

كما نلاحظ أنّ المتكلّم يفترض قبل الكلام أو الكتابة قارئ نموذجي يستطيع عبره تمرير رسائل على المتلقي ملؤها والكشف عما هو مضمّر ومستلزم، أي الرّوائي يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر، ففي حديثه عن مظاهرات 5 جويلية 1961، نلاحظ أنّ الرّوائي يملك خلفية مسبقة مفادها أنّ القارئ الجزائري لديه معلومات مدسوسة في ذاكرته عن هذا الإضراب الذي أعلنته حكومة الثّورة، فهذا أشبه بعقد مبرم بين المتخاطبين لإنجاح عملية التّواصل، وذلك تحت مبدأ التّعاون الذي جاء به غرايس للوصول والكشف عما هو مضمّر "أنّ مظاهرات 5 جويلية رغم سلميتها فإنّ سكان المنطقة يختزنون كما هائلا من الكره والعداء لفرنسا، استجابوا للإضراب الذي أعلنته حكومة الثّورة بكل أطيافهم، الأسوأ أنّ كل الموظفين بمصالح البلديات والمصالح الإداريّة الأخرى تغيبوا وتخلوا عن مواقع عملهم وأغلقوا أبواب إدارات من المفترض أنّ تبقى مفتوحة يجب أنّ نعترف أنّه كلما مرت فترة من الزمن كلما تمّ التقارب بين الشعب وحكومة الثّورة، والتحم الطرفان بتبني قضاياهم ومسائله، أكثر من ذلك فإنّ ما يشكل خطورة على أمن الأشخاص هو حضور المتمرد من الفلاقة في صورة ممثلين سياسيين للحكومة المؤقتة

مكلفين بتنفيذ وصاياها وقراراتها"¹، إنّ الرّوائي في حديثه عن هذا الحدث التاريخي ليس عبثاً، وإنّما أراد أن يقول للمؤول /المتلقي رغم هدوء سكان بعض المناطق الريفية وابتعادهم عن التّمرد ضد فرنسا، إلا أنه بداخلهم يكون الكره والعداء لفرنسا الغاشمة، وبهذه المظاهرات وجدوا الفرصة ليعبروا عن كرههم لها لذا استجابوا لإضراب 5 جويلية 1961 لحمل راية الآفان دعماً لحكومة الثّورة.

كما تحدث الرّوائي في عدة مقاطع عن الحركي وما آل إليه وتأنيب ضميرهم وعن الأسباب التي دفعت بهم إلى ذلك، ففي الحوار الذي دار بين بن شارف وقادة الراعي "رفعت رأسي لأجد شخصاً في منتصف العمر يحملق في دهشة أنت سائق الكمندار؟... سيدي أريد أن أسألك؟ استدرت له مجدداً نعم؟ أريد خدمة منك... أن تتوسط لدى الكمندار كي أعمل في الثكنة لم أجب لا بالسلب ولا بالإيجاب، تأملت وجهه جيداً ثم قلت له مستعد الحمل السلاح؟ قال لي دون تردد أي شيء قلت له قدم خدمة لفرنسا وسوف يساعدونك في إيجاد عمل لك مثل ماذا؟ الإبلاغ عن الفلاحة مثلاً، فهمت أن الجفاف الذي يضرب المنطقة وتأخر الأمطار والحصيلة الكارثية على فلاحي المنطقة جعلتهم يفكرون في بدائل أخرى"²،

إنّ هذا المستدل به يخفي الكثير من المضمّرات والاستلزمات التّخاطبية، وللوصول إلى المستدل عليه أي الضّمني علينا المرور عبر القرائن اللّغوية والتّداولية غير اللّغوية يقوم المؤول بتأويلها للولوج إلى المعنى الباطني، فهذا المقطع يحتوي على معطيات لغوية "لأجيب بالسلب ولا بالإيجاب" "قدم خدمة لفرنسا سوف يساعدونك" "فهمت أن الجفاف يضرب المنطقة" "يفكرون في بدائل أخرى"،

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص158

² - المصدر نفسه، ص 76.

كلّ هذه المعطيات تحمل أشياء غير ظاهرة، مع بعض الكفاءات الموسوعيّة التي تكون في ذاكرة المتلقي، لا يقصد الرّوائي باستخدام هذه العبارات مايقوله حرفيا بل هو يرمي من ورائه إلى قول شيء آخر، فبن شارف لم يرد أن يدخل "قادة الراعي" الثكنة لذا لم يجبه بقي مندهشا، وعند إلحاح قادة الراعي طلب منه تقديم خدمة لفرنسا، وذلك بسبب الظروف القاسية في المنطقة من جفاف وعدم وجود عمل أدى بقيادة إلى طلب عمل في الثكنة، رغم أنّه سيصبح حركيا منبوزا ومهمشا في الوسط الجزائري، فهو أراد تبين أن ليس كلّ حركي راض عن نفسه وراض عن العمل مع فرنسا التي سلبت وطنه وحقوقه، لكن الظروف الاجتماعية والطبيعية دفعت بأبناء الجزائر العودة إلى فرنسا لمساعدتهم والعمل عندها حتى لو كان ضدهم، هنا الرّوائي ذكر الأسباب التي دفعت ببعض الجزائريين بالعمل لصالح فرنسا، أراد أن يبرر أفعالهم وليوصل رسالة للمجتمع الجزائري، أن هناك أسباب لخيانة وطنهم لكي لا يبقوا منبوزين:

قال قادة: أنا حركي بالولادة.

- كيف عرفت ذلك من أنت؟

- الشر يجري في عروقي مجرى الدم، منبوز في أسرتي، عندما ولدت ماتت أمي، نشأت يتيما فقيرا، عندما كبرت، كُبرت معي اللعنة، اليوم الذي خطبت فيه امرأة توفيت لأسباب غير معروفة، عملت لدى فلاح أفلس، استلفت أموالا واشترت بعض الجديان والخرفان نفقوا جميعا حتى الموسم جاء جافا، أكثر من ذلك أخبرت العسكر عن وجود فلامي هارب من القانون قبضوا عليه.

- من هو الفلامي؟

- بوعمران ولد عايشة¹،

لاحظنا في هذا الحوار وجود استلزام تخاطبي عززه مبدأ التعاون بين المتخاطبين، وخرقا لأحد مبادئ غرايس وهو مبدأ الكم، فقد قال المتكلم أكثر من المطلوب، كما لاحظنا أنّ مبدأ كيف أيضا خرق لأنّ ما قاله قادة أنّه حركي بالولادة غير صادق، لكن مضمرات هذا الخرق واضحة في هذا السياق فالرجل يريد أن يبرر ما قام به من فعل شنيع وقف مع العدو وخان الوطن فلا بد أن يجد لنفسه الكثير من المبررات، فعل فعلا مرارة الحياة تصنع الخونة؟ ومن من الجزائريين لم يعيش مرارة الحياة وعلقمها في ظل الاستعمار الفرنسي الغاشم؟ في الأخير يمكننا القول بأنّ رواية "الحركي" لمحمد بن جبار تحتوي على الكثير من المقاطع التاريخية تجاوزت ماهو صريح وظاهر إلى ماهو غير ظاهر ومضمّر، أيّ يقول شيئا ويقصد شيئا آخر من خلال الاستلزام التخاطبي نتوصل إليه عند خرق الرّوائي عمدا بعض مبادئ غرايس للوصول إلى المعنى غير المباشر ليترك الحرية للقارئ التّأويل والاستدلال ويستنتج ليصل إلى ماهو ضمّني ومضمّر.

3- مقاصد الرّوائي واستراتيجية التّأويل في المتخيّل التاريخي "طير اللّيل" العمارة لخصوص.

جسد الرّوائي عمارة لخصوص في روايته "طير اللّيل" تعالقا بين ثنائيين التاريخي التّخييلي وماضي وحاضر، محاولا الحفر في آبار الذاكرة التاريخية المريرة منذ الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال وصولا إلى سنوات الجمر وإلى غاية يومنا

¹ - بن جبار محمد، الحركي، ص 178-179.

هذا، ممزوجة بالفضاء الفني الجمالي، ولكن ماغاية عمارة لخصوص من توظيفه للتاريخ في منته الروائي؟

كلّ خطاب يحتوي على غاية وهدف مضمر على المتلقي التّغلغل في ثناياه لفهم المراد المقصود والمعنى المبتغى من خلال الدّلالة الظّاهرية والبيّنة، إذن ماهي الآليات التي يعتمد عليها المتلقي لاستنباط مقاصد الرّوائي المسكوت عنها؟.

3-1- الانقلاب العسكري:

عمد الرّوائي عمارة لخصوص في روايته "طير اللّيل" إلى الصمت والإضمار تاركا وراءه الكثير من الفجوات والثّغرات الصامتة، إذ يتطلب من المتلقي النّاقذ جهدا فعّالا للبحث عمّا هو مغيب للوصول إلى الدّلالات والمعاني والمقاصد التي لايسطيع البوح عنها لأسباب سياسيّة ودينيّة وحساسة ومحظورة ومقموعة، فيلجأ الرّوائي إلى عمليات تجنب المباشرة والتّصريح، وتغيبب الأنساق وراء السّطح الظاهري للمتن الرّوائي.

وعلينا التّطرق إلى أهم آلية وظيفتها الكشف عن التّيمات والمقاصد والدّلالات القابعة وراء البنية السّطحية "استراتيجيّة التّأويل التّداولي"، فالقارئ يقدم تأويلات وتفسيرات ومقترحات متناقضة ومتباينة، وهي أيضا دعوة صريحة للقراء الحقيقيين ليقوموا بدورهم الإيجابي الفاعل في إعادة تمثّل الخطاب الرّوائي وكشف أسرارهِ وإعادة

* العودة إلى الفصل النّظري للتعرف على ماهية التّأويل التّداولي، الصفحات من 61 إلى 66.

تأويله واستنتاج دلالاته ومعناه، وهي حرية تجعل من النصّ الروائي نصاً مفتوحاً قابلاً للتأويلات وقراءات لانتهائية¹،

وليفسر المتلقي الأحداث التاريخية ويؤولها يحاول إعادة تفكيك أنساقها واستنطاقها عليه بالنّش في السّجلات السياسية والتاريخية وسياقاتها للإلمام بالافتراضات المسبقة* أي الخلفية المعرفية والكفاءات التّداولية واللّغوية والمنطقية*، وذلك ما نلمسه في المقطع التاريخي الذي يتحدث عن فترة تاريخية حساسة حدثت سنة 19 جوان 1965 إنقلاب وزير الدفاع هواري بومدين على رئيس الحكومة أحمد بن بلة "قبيل الاحتفال بالذكرى الثالثة للاستقلال، كان يوم سبت، وصادف وجود إدريس في فيلا ميلود صبري وهناك بلغهم خبر الانقلاب على الرئيس المنتخب أحمد بن بلة، ثم تأكّدوا تماماً لما أطل العقيد هواري بومدين بوجهه النحيف ونظرته الصارمة على المشاهدين في التلفزيون: أيها الشعب الجزائري الأبى، لم يكن صمتك خوفاً أو خضوعاً للاستبداد، كما كان يظن الطاغية الذي عزل اليوم عن الحكم..."²،

استحضر عمارة لخصوص في هذا الملفوظ حدث مضى عليه من الزمان، ليوصل للقارئ قصداً وغاية من خطابه، وخاصة لما أعطى صوتاً لشخصية ميلود صبري الذي فضح شيئاً في قوله: "الشيء الإيجابي الوحيد في انقلاب 19 جوان 1965 هو أنّ

¹ - فاضل تامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص

* - تعريف الافتراضات المسبقة في الجانب النظري، الصفحة من 40 إلى 55.

* - تعريف الكفاءات العودية للجانب النظري، الصفحة 68-69.

² - لخصوص عمارة، طير الليل، ص 95.

العسكر صاروا يحكمون أمام ربي عباده وليس خلف الستار¹، فعلى القارئ أن يجري حفريات للوصول إلى دلالات ومقاصد المتكلم، فالكاتب استلزم شيئاً وأراد أن يقول شيئاً آخر من كلامه، فالمراد من هذا القول ليس المعنى الحرفي، وإنما المعنى التّداولي الذي نلجأ إليه عن طريق التّأويل بمساعدة السّياق بأنواعه (الثّقافي والتّاريخي والإدراكي...).

إذ بنى الرّوائي هذين المقطعين على خلفية مشتركة بينه وبين المتلقي فالقارئ عليه معرفة زمن الانقلاب وأسبابه وسياقه التّاريخي، وهل هناك حقاً انقلاب عسكري في الجزائر؟، وذلك استناداً إلى كتب التّاريخ والوثائق التّاريخية، ليكشف ما يقصده المتكلم من معاني مضمرة تتجاوز التّلفظ بالكلام من خلال التّأويلات التي تعطي معنى للنص.

فعند عودتنا لكتب التّاريخ التي تحدثت عن انقلاب "هوّاري بومدين" على "أحمد بن بلة" وجدنا ثقباً تاريخياً لحدث الانقلاب المذكور في أكثر من مصدر "ككتاب محمد بوضياف الجزائر إلى أين ومذكرات أحمد بن بلة، وكتاب أيام مع الرئيس هوّاري بومدين وذكريات أخرى*" والعديد من المصادر انبرى قلمها لتعريّة بعض الأسباب والوقائع التي أدت إلى الانقلاب، ومن هنا اكتشفنا أنّ عمارة لخصوص كشف أشياء وأضمر عن أخرى ممرراً رسائل مشفرة بين السّطور على القارئ أن يساهم ويتعاون

¹ - لخصوص عمارة، طير اللّيل، ص100.

* - أسباب انقلاب العقيد هوّاري بومدين على رئيس الحكومة أحمد بن بلة: اتّهامه باحتكار السّلطة والحكم

الفردية، والخلاف الحقيقي كان حول الميليشيا التي أنشأها بن بلة، وتعيين الطاهر الزبيري رئيساً للأركان دون

الأخذ برأي بومدين. للتوسع أكثر العودة لكتاب: بن بلة أحمد بن، مذكرات أحمد بن بلة، 14-15.

معه ليملاً تلك الثغرات، وكأنّه لا يريد أن يقول كلّ شيء دفعة واحدة بل يستفز القارئ ليقوم بمهمة الحفر عن المسكوت عنه للوصول إلى لملة تاريخ ما بعد الثورة.

لاحظنا أن الرّوائي استند على هذه الكتب بطريقة غير مباشرة ضمنيّة في تخيله للتاريخ، ولاحظنا من خلال المقطع أنّ الرّوائي تجاوز المؤرخ باعتباره المصدر الوحيد إلى المصادر الصحفيّة كالتلفزيون، هذا ما جعله يفتح على دلالات ومعاني ومقاصد يفرضها النّسق السّردي.

أراد عمارة لخصوص في هذا المقطع إيصال مقاصد عبر قرائن نصيّة، كما أنّه لم يلجأ للتاريخ بكلّ حذفه وإنّما انتقى منه ما يخدم سياقه النصّي، ففي هذا المقطع لم يذكر الأسباب التي أدت إلى الانقلاب مباشرة وإنّما من المفترض أن يتعرف عليها المتلقي من خلال كفاءاته الموسوعيّة، ففي قول هواري بومدين "لم يكن صمتك خوفاً أو خضوعاً للاستبداد، كما كان يظن الطاغية الذي عزل اليوم عن الحكم"¹

فهذا الملفوظ يدل على العديد من المقاصد المضمرة المتخفيّة وراء المعنى الظاهر، فهذه الجملة التامة يراد من ورائها معنى آخر أكثر اتساعاً من معناها اللّغوي إلى المعنى التّداولي الذي يتحقق بمستوى من مستويات التّأويل التّداولي "التّوسيع"، باللّجوء إلى السّياق المّقامي، فحسب السّياق الذي تبناه عمارة لخصوص له قصد وهدف فهذا المقطع يقصد منه هواري بومدين أنه لا وجود لمعارضين لهذا الانقلاب للتأثير على السّامع الذي هو الشّعب الجزائري للتّحلي بالهدوء والصمت.

واعتمد عمارة لخصوص هذا السّياق عمداً مع شخصية من شخصيات الرّواية وهو "إدريس طالبي" الذي تعرض للتّعذيب كونه معارض لهذا الانقلاب الذي كتّمه

¹ - لخصوص عمارة، طير اللّيل، ص 95.

الرئيس هواري بومدين في خطابه المباشر، فالرّوائي أراد تبيين أنّما قاله هواري بومدين لا ينطبق عن كلّ الشعب الجزائري فهو نسبي، وإنّما هناك الكثير من الشخصيات عارضت هذا الانقلاب وأدى بهم إلى التعذيب، وليبرز أنّ هذا الحكم جاء بدون شرعية وبالقوة، وأضاف أنّ قبل هذا الانقلاب "الحكم على يد العسكر" يحكمون خلف الستار، والآن أصبحوا يحكمون أمام الملأ، هذا ما قصده الكاتب؛ حيث توصلنا إليه عن طريق القرائن القابلة للتأويل من طرف السّامع المؤول أنّه منذ الاستقلال والحكم في الجزائر حكم عسكري متخفي وراء اللّثام وظاهريا حكم ديمقراطي كانتخاب أحمد بن بلة عن طريق صناديق الاقتراع.

كما ذكر عمارة لخصوص أسباب الانقلاب بطريقة ضمنية على المتلقي أن يكون ملّما بالمعلومات التاريخية كقول شخصية إدريس طالبي "فهدف هواري بومدين ليس حماية الثورة والدفاع عن مصالح الشعب، ولكن الإمساك بزمام الحكم والتخلص من غريمه بن بلة¹، لفك شفرات هذا الملفوظ علينا التّأويل لفك ترميزه وذلك بالتّمتع بالكفاءة اللّغوية أولاً، والكفاءة الموسوعيّة ثانياً، التي تقتضي الضّفة التّاريخية للمؤول من هنا استدللنا ممّا هو ظاهر أنّ هذا القول سبب من أسباب الانقلاب وذلك بالعودة إلى مصادر التّاريخ التي اتكأت عليها الرّواية في بناء أحداثها أعلنت عنها بطريقة لمح إليها، ففي كتاب لخضر بورقعة ذكر سبب انقلاب هواري بومدين على أحمد بن بلة، فهو يرى أنّه: "لم يكن في نيته الحفاظ على الثورة وحماية الوطن وتوحيد أبنائه بقدر ما كان يهّمه أن يحكم"².

¹ - لخصوص عمارة، طير اللّيل، ص 96.

² - بورقعة لخضر، مذكرات لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثّورة"، ص 134.

من خلال القول اكتشف المؤول أنّ عمارة لخصوص اقتبس قوله الرّوائي عن لخضر بورقعة وكان له قصد معيّن من خلاله لم يبلغه بطريقة صريحة، وإنّما بطريقة ضمنيّة ومضمرة عن طريق الوسيلة التّداولية التّوسيعية، والاستدلال والاستنباط والاستنتاج من المحتوى الحرفي عبر التّوصيف بين المعلومات السابقة، توصلنا إلى قصد الكاتب أنّ سيطرة المصلحة الشّخصية على المصلحة الجماعيّة، المتولدة عن حب الذات والتّرجسية التي أدت إلى حب اللّجوء إلى الحكم عن طريق القوة والانقلاب خفية عن أحمد بن بلة ذاكرنا هذا السبب بطريقة مضمرة، ومتناسيا أسباب أخرى قد تكون عن قصد أو عن غير قصد تاركا الحرية للقارئ أن يبحث في غمارها.

كما سكت وأضمر عمارة لخصوص في سياقه النّصي عن الخلافات التي كانت بين هوارى بومدين وأحمد بن بلة، بعدما كانا صديقين وأخرج الأول الثاني من الحكم ليصبح أوّل رئيس للحكومة بعد الاستقلال، فالرّوائي قام بتلميح وإشارة فقط عن الخلافات "فرح ميلود صبري بهذا الانقلاب لأنّ البلاد تحتاج إلى قائد صارم، فلا تزال صراعات قادة الولايات الست بعد الاستقلال ماثلة أمام الأذهان، وكانت الخلافات بين بن بلة وبومدين ظاهرة للعيان"¹، كان قصد الكاتب من هذا الملفوظ منح المتلقي فرصة العودة إلى المصادر التّاريخية للبحث عن الخلافات التي أدت بإطاحة الرئيس أحمد بن بلة، ولتبيّن فساد جهاز السّلطة الذي كان ينخر البلاد منذ الاستقلال، وأنّ الحكم العسكري المتحكم الوحيد في زمام الأمور باطنيا.

وانتقل الرّوائي إلى حدث آخر منسي ومغيب ومبعثر في ذاكرة الشعب أو المراد نسيانه في الوسط الاجتماعي، أدخله موضوعا لروايته ليحقق غايات وأهدافا محاولا ربط الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي؛ لأنّ رواية عمارة لخصوص عبارة عن

1- لخصوص عمارة، طير اللّيل، ص 96.

سلسلة من الأحداث التاريخية ليصل للحاضر المليء بالأخطاء التي سببها الماضي المرير.

3-2- بناء السياق التاريخي لحادثة محمد بوضياف:

تطرق الروائي في منتهى إلى استنطاق حادثة تاريخية، حادثة استقالة شاذلي بن جديد وإنشاء المجلس الأعلى للدولة المكون من خمسة أعضاء يترأسه محمد بوضياف سنة 1992؛ حيث تحدث عن مراسيم وصول الرئيس بوضياف محمد في التلفزيون على المباشر، وفي اجتماع مع المحامين وأدلى بتصريحات مهمة تؤدي به في الأخير إلى الاغتيال في قوله: "إنّ حزب جبهة التحرير الوطني، انتهى دوره عام 1962، ويجب وضعه في المتحف"¹، وفي اجتماعه مع وفد للمحامين في قول إدريس طالبي شخصية تخيلية "كان رئيس مجلس الأعلى للدولة متحمسا ومخلصا وعازما على محاربة ماسماها بالماфия السياسية والاقتصادية، والإخلاص والعموم بلا معرفة الواقع، ودواليب الحكم لفائدة توحى منها، فهو (إدريس طالبي) لم يستوعب بعض القرارات الأمنية التي ساندتها بوضياف كاعتقال آلاف من مناضلي الجبهة الإسلامية للإنقاذ وإرسالهم إلى المعتقلات في الصحراء"².

إنّ هذين المقطعين يضمران العديد من الحقائق والوقائع المضمرة، فالروائي لا يريد الإفصاح عما يضمّره بطريقة صريحة، وإنّما يستعمل صيغ الإضمار والتلميح والمراوغة والإشارة لأسباب متعددة كالحرص على عدم تورطه وكذا الرغبة في تحفيز المتلقي للعودة إلى القضايا المطروحة والبحث في مصداقيتها، وللوصول إلى المضمّرات علينا العودة إلى الآليات التداولية للاستدلال والتأويل والسياق التاريخي

¹ - لخص عمارة، طير الليل، 196.

² - المصدر نفسه، ص 197.

والاجتماعي والإفتراضات المسبقة عن خطاب محمد بوضياف للوصول إلى ما أضمّر عنه النصّ الروائي وما فضحه والقصد الذي يريد إيصاله للمتلقّي.

ترك الروائي من خلال هذين المقطعين قرائن لغويّة وإشارات تؤدي إلى القصد الإخباري* يوصله للمتلقّي كقوله: "أدلى بتصريحات مهمة، إنحزب جبهة التحرير استقّى دوره عام 1962، محاربة المافيا السياسيّة والاقتصاديّة، بلا معرفة الواقع ودواليب الحكم، انتقال الآلاف من مناضلي الجيش الاسلامي للإنقاذ، هذه بعض الألفاظ تعتبر كتلميحات للمتلقّي لفك شفراتها، وكافتراضات وجهها الروائي للقارئ ليسهل عليه الوصول إلى فهم المقاصد، فالمتلقّي عن طريق هذه القرائن يعود إلى تلك الفترة الزمنيّة ويبحث في طياتها ليكون هناك قصد تواصل بينه وبين المتلقّي ليتفاعل معه، هذا مادعانا إلى إعادة بناء السياق بالعودة إلى عدة خطب ألقاها الرئيس محمد بوضياف وشاهدناها في التلفزيون الجزائري، وأيضا العودة إلى كتب التاريخ التي تناولت تلك الفترة الحساسة مثل كتاب "الحرب القذرة" لحبيب سويدية، وكتاب الجزائر إلى أين؟.. إلخ، إنّ الروائي في منتهى أضمّر عن من قتل بوضياف أمام الملاء على التلفزيون في ولاية عنابة، وعن كيفية الوصول إليه وهو محاط بالعديد من رجال الأمن، تاركا القارئ العودة إلى هذا الحدث التاريخي. وذكر الروائي الأسباب التي أدت إلى اغتيال محمد بوضياف، وخاصة لما تحدث عن حزب جيش التحرير الوطني، الذي يعتبر كما قال أحد المجاهدين: "إن الحديث عن هذا الحزب بهذا الكلام أي المساس بالثورة الجزائرية ككل"، وحديثه عن محاسبة المافيا التي تتكون من جنرالات أدى به إلى الهلاك في قوله على لسان أحد رجال المافيا "أنّ بوضياف الذي أراد أن يتعشى

* - للتعرف على القصد الإخباري العودة إلى الفصل النظري، ص 64.

بنا نتغذى به¹، فهذه حقيقة خطيرة لمح لها عمارة لخصوص في متته، وترك القارئ يصطدم ببعض الحقائق أضمرها التاريخ الرسمي والواقع الجزائري.

كما أنّه سكت عن أسباب أخرى اختلفت فيها الآراء عن سبب اغتياله "كسبب دخول المؤسسة العسكرية مع بوضياف في خصام قبيل اغتياله مباشرة عندما قابل العاهل المغربي، ووعده بجل قضية الصحراء الغربية بطريقة ترضي المغرب²، لماذا عمارة لخصوص ذكر أسبابا وأضمر عن أخرى؟، ذلك لأنّ عمارة لخصوص انتقى الأسباب التي تخدم مقاصده، فهو أراد إبراز أن السّلطة الجزائرية كان بداخلها فوضى وصراعات داخلية كلّ ينهب من الآخر ويجري وراء مصالحه.

وأراد أن يرمي مما هو ظاهر وبين فساد جهاز السّلطة خاصة في المؤسسات العسكريّة، نستدل على ذلك بقوله "محاربة المافيا السياسية والاقتصاديّة"، فالروائي استطاع أن يكشف عن العديد من الوقائع التاريخيّة المنسيّة والمغيبّة لدى جيل المستقبل، لكنه أضمر حقائق أخرى يصل القارئ إليها بالعودة إلى كتب تاريخيّة وسياسيّة اشتغلت في الموضوع، وكأنّ الروائي جعل المضمّنات والقرائن السياقية دليلا يقود القارئ الحصيف بتعبير سبربر وولسون للبحث في المضمّنات والمسكوت عنه لتبني أجزاء الحقيقة بكلّ ما فيها من ثغرات.

3-3- سنوات الجمر:

كما لاحظنا أنّ المتن الروائي أعاد استحضار فترة تاريخيّة أخرى مُرة، مرّ بها المجتمع وكان سببها الفساد السياسي الذي نخر البلاد وأخذها للهاوية، وهي سنوات

¹ - بوضياف محمد، الجزائر إلى أين؟، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 66.

الجمر الممزوجة بالبعد التخيلي ليرمي وراءه معاني مضمرة ومسكوت عنها ووقائع طالما غيبت وسكت عنها ولن يظهر لها أثر في كتب التاريخ الرسمي.

لقد أورد عمارة لخص في نصه الروائي وبطريقة ضمنية الخطوات التيمن أجلها دخلت الجزائر في أزمة صراع وسفح الدماء، بدأت القضية من الرئيس شاذلي بن جديد الذي سمح بالتعددية الحزبية في الدستور وكان من بين الأحزاب الحزب الشيوعي وجيش التحرير الوطني وحزب جديد تحت اسم الجبهة الإسلامية للإنقاذ "fis" الذي فاز بالانتخابات البلدية بمعظم مقاعد البلدية والولاية سنة 1990، وحصد 188 مقعدا في الانتخابات التشريعية سنة 1991، وكانوا مرشحين لحصد مقاعد جديدة في الدور الثاني، لكن الجيش قرر إلغائها، وإنشاء المجلس الأعلى بعد تقديم شاذلي بن جديد استقالته وذلك بطلب من الجيش الجزائري الذي لم يستسغ هذه النتيجة، طلب منه إلغاء الانتخابات أو الابتعاد عن السلطة الجزائرية، ففضل الانسحاب¹،

ما أدى بعدها إلى إلغاء الانتخابات وحل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، مما تسبب في أحداث دموية عنيفة لم يعهدها المجتمع الجزائري "أدت إلى خسائر بشرية تتراوح ما بين 150 ألف و200 ألف قتيل، أضف إلى ذلك آلاف المفقودين، أما الخسائر المادية، فتصل إلى عشرين مليار دولار، فاتورة باهظة ومركبة، هل يمكن تنظيف الذاكرة من القتل الأعمى البشع بجرة قلم أو مرسوم رئاسي لم يقنع المحامي أبدا

¹ - ينظر: أبو يحيى زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، مؤسسة العارف للطبوعات، بيروت، لبنان،

بالرأي المتداول والقائل أن قانون السلم والمصالحة الوطنية لعام 2005 هو طي الماضي المثقل بالدماء"¹،

وظف الروائي هذه المقاطع التاريخية بشكل موجز مخاطبا مشاعر القارئ وخاصة القارئ الجزائري بالدرجة الأولى؛ حيث أراد أن يبين من وراء هذه المقاطع، أن هذه السنوات سببها السلطة السياسية التي تهمها مصالحها لا الوطن والمواطن لأجل أن يبقى "حزب جبهة التحرير الوطني" الحاكم الأول ضحوا بالوطن وأدخلوه في متاهة، ورغم قانون السلم الذي انتهجه الرئيس بوتفليقة عام 2005، إلا أنه لا يمكن نسيان الجروح التي خلفتها العشرية السوداء من قتل وتخريب "لاتزال جراح تلك السنوات بارزة على جلده وذاكرته (كريم بلقاسمي) لقد تعرض للاغتيال ثلاث مرات، والندبة في خده الأيمن تشهد أن رصاصة قد أحرقت لحمه، أما ذاكرته الجريحة فلاتزال تنزف ألما من جراء اغتيال أحبته مثل والدي الذي ذبح كخروف العيد ليكون عبءة لغيره، لأنه وقف في وجه الإرهابيين، وماذا يقول عن صديقه الحميم وزميله نور الدين الذي قتل أمامه غدرا ولم يقدر على إنقاذه؟ أحيانا تعود الذكريات الأليمة دون سابق إنذار وتطفو على السطح، مألحك تلك السنوات، حيث ينتظره في كل لحظة"²

وفي هذا السياق نجد أن الرواية رجعت للقارئ إلى فترة العشرية السوداء، معتمدة على المصادر الصحفية والإعلامية؛ لكن دون حدوث أي ثغرة توحى للقارئ أنه ضمن مصدر تاريخي، فهي تدفع بالقارئ المؤهل أن يكون مشبعا بالكفاءات وقوانين الخطاب والمبادئ التحدثية ليصل إلى التأويل المراد وصوله لنستكشف

¹ - لخص عمارة، طير الليل، ص245.

² - لخص عمارة، طير الليل، ص 102-103.

المقاصد والمعاني المتخفية وراء هذه المقاطع التاريخية التي تشفي غليل القارئ، إنَّالقارئ الجزائري لديه معارف مشتركة مع الروائي عن وجود الإرهاب في تلك الآونة في الجزائر مشكلان مبدأ تعاونيا للوصول إلى ماهو مضمّر بين السّطور،

فالروائي قصد من أقواله عن العشرية السوداء أنّ رغم مرور عدة سنوات لم تشف جروح الذاكرة، وليبيّن أن السّلطة تهمها المصلحة الاقتصادية والمالية ولهذا كشف عمارة لخصوص في روايته أسرار بعض السياسيين أنّ الإرهاب كان نعمة على بعضهم، إذ أعطى صوتا لميلود صبري الملقب "بطير الليل" ليكشف عن أحداث بقيت متخفية ومغيبّة إلى يومنا هذا في قوله: "الإرهاب أفضل بيئة للاستثمار البشري والمالي، فليس صحيحا أن الاستثمار مشروط بالاستقرار واستتباب الأمن، على العكس تماما الاستثمار المربح يتطلب الاستقرار، الفوضى حالة جيدة، لأنها تسمح بانطلاق طاقات كامنة وتحفز الإبداع وروح المبادرة، كما أن الإرهاب استثمار مضمون النتائج، ويقدم خدمات جليلة للكثيرين فيمكن استخدامه كورقة لإقناع المواطنين بضرورة تحديد حريتهم الشخصية مقابل حمايتهم، ويمكن إسكات أصوات المعارضين عن طريق اتهامهم بالإرهاب أو التواصل مع الإرهابيين"¹،

"وكان طير الليل يستشهد بالحالة الجزائرية كثيرا، فلولا العشرية السوداء أي التسعينيات مابرزت طبقة جديدة من المقاولين والأثرياء الجدد، العشرية السوداء كما صارت تسمى لم تكن وبالا على الجزائريين كلهم فقد استفاد منها الكثيرون، لذلك يحق للذين انتفعوا أن يسموها العشرية الذهبية"² إنَّ الروائي في هذين المقطعين كانت له الجرأة والشجاعة لتقصي حقيقة تاريخية طالما غيببت وسكت عنها في التاريخ

¹ - لخصوص عمارة، طير الليل، ص 246.

² - المصدر نفسه، ص 246.

الرّسمي؛ لأنّ التّاريخ الرسمي كتبه الحكام والأقوياء والمنتصرون. كما أنه فضح المسكوت عنه وضلوع السياسة الخارجية في إشعال فتيل الحرب فاليد الطولى عملت ما بوسعها لتأجيج الصراعات لدفع العجلة الاقتصادية إلى الأمام وسنلّقي بمقاطع يجرم اليد السعودية والتسهيلات للدخول في الحرب الأفغانية المفتعلة من قبل أمريكا للإطاحة بروسيا. حتى وإن حاول أن يفتح على ما هو مضمّر من أنساق مغيّبة متخفية تحت ركام ثقيل من الأكاذيب والتضليلات أراد تفكيكه وبناءه من جديد، وفق أهداف مسطرة ليرفع الستار عن مضمّر مرره عبره رسائل ومقاصد على المؤول الوصول إليها عن طريق كفاءات مطلوبة منه ليؤول تأويلا تداوليا، كالكفاءة الألسنية اللغوية المستخرجة من القول التي تدل على أنّ الملفوظ يخفي وراءه دلالات ومعاني مضمرة، ففي قوله "الإرهاب أفضل بيئة للاستثمار"، هذا القول عبارة عن معطيات لغوية يستخلص منها المؤول معنى باطنيا.

فأراد الرّوائي تبين أنّ لفظة إرهاب تنص على أفعال العنف والتهديد والقتل والاغتيال والتفجير، حسب السياق الاجتماعي والثقافي الذي مرت به الجزائر في التسعينيات، ورغم ذلك هناك الكثير من السياسيين استغلوه في جني الكثير من الأموال عن طريق بيعهم الأسلحة، فهنا الرّوائي كشف وفضح للقارئ أن الإرهاب لم يؤثر على السياسيين ككلّ مثلما ذكر في المصادر التاريخية الرسمية التي منحت الوسام للجيش العسكري، فهو استطاع استنطاق تاريخ مغيب ومضمّر في تاريخ الجزائر والبوح عن فساد المؤسسة السياسية السلطوية وكذا الدينية أي الجهاد في سبيل الله.

أعاد عمارة لخصوص تفكيك نسق تاريخي مضمّر ومسكوت عنه آخر، لم تتحه كتب التاريخ بالقدر الكافي، وتعتبر فترة مهمة في انطلاق الإرهاب من أفغانستان التي التحق عدة شبان جزائريين للجهاد فيها "أخبر بدرو ميلود صبري أن حلمه هو الاستشهاد في سبيل الله، ثم صارحه بمشروعه للالتحاق بالمجاهدين في أفغانستان،

كما فعل مئات الشبان الجزائريين، إذ قصدوا البقاع المقدسة لأداء العمرة، وهناك وجدوا التسهيلات كلها على أيدي السعوديين للذهاب إلى كراتشي، ومن ثم إلى ديار الأفغان للجهاد¹،

يريد الرّوائي من هذا المقطع إيصال عدة مقاصد ودلالات للقارئ فهو يريد التأثير على المتلقي بمعارفه وأفكاره، لكن دون إظهار مقاصده للمتلقي، ما يدفع القارئ لاستحضار مافي جعبته من السياق الثقافي الذي من خلاله نستخلص ونستنبط البنية الاجتماعية وكذا الأوضاع المحيطة به والمعارف التي يتوصل إليها القارئ من خلال قراءته لمصادر الإرهاب في أفغانستان للجهاد، ككتاب الشيخ عبد الله عزام المعنون "آيات الرحمان في جهاد الأفغان"، تأثر به بعض الشباب الجزائريين كثيرا وخاصة بالخطب التي يقدمونها تغريهم وتشوقهم أدت بهم إلى أفعال دفعتهم إلى القتل والعنف وادّعاء الجهاد في سبيل الله ومن المعجزات الواردة فيه **كمروور دبابة سوفياتية على جسد مجاهد أفغاني، ومع ذلك يبقى حيا**²، أراد الروائي أن يبين تداوليا أن كل الأقوال تؤدي إلى أفعال عن طريق التأثير والتأثر للتغيير والإنجاز؛ حيث فضح من خلق هذه الجبهات الجهادية في أفغانستان ومن له اليد في ظهوره.

ذهب عمارة لخصوص في روايته إلى خطاب آخر عبارة عن رسالة يضمّر ويخفي في داخلها مقاصد معينة، يحاول إيصالها إلى المخاطب، عن القضية الأفغانية والجهاد في سبيل الله **كان ميلود صبري مطلعاً على خبايا القضية الأفغانية، إذ اعتبر أن الحرب الدائرة في أفغانستان هي حرب بالوكالة، أشغل سيجارة كوبي، وراح يشرح نظريته، يحارب الناس حتى يكسبوا مواقع جيدة، تسمح لهم بالتفاوض من منطلق**

¹ - لخصوص عمارة، طير الليل، ص. 146.

² - لخصوص عمارة، طير الليل، ص 149.

قوي، الولايات المتحدة هي التي تقود ما يسمى بالجهاد في أفغانستان، بمساعدة باكستان والسعودية، الدافع ليس دينيا أو سياسيا، ولكنه اقتصادي، النظام الرأسمالي يحتاج إلى أسواق جديدة على الدوام¹، بعث الكاتب قصدا يشترط على المتلقي إدراكه عن طريق التّأويل لاستقراء ما يحتمل تضمنه من خلفيات مسكوت عنها معتمدا على المخزون المعرفي والمعلومات المدسوسة لديه والمحيط المعرفي والقرائن اللغوية أهمّها الولايات المتحدة، السعودية، ليس دينيا، اقتصاديا.... كلّ هذه عبارة عن قرائن تساعدنا للوصول إلى المقاصد والمعاني المضمرة، فلقد استنتجنا واستنبطنا أنّ الولايات المتحدة هي المسؤولة عن الإرهاب لتزرع جرثومة في وسط الدول العربية باسم الإسلام لتشوهه، وأيضا لتمويل أسلحتها لتخدم أغراضها الاقتصادية، بمساعدة دول تخفي مقاصدها خلف الدين، أي تستعمل الدين لتشبع غرائزهم ومصالحهم.

وإنّ غاية عمارة لخصوص من اقتباسه وانتقائه هذه الأحداث التاريخية، تقريب الشبان والجيل الجديد من الواقع بكلّ حذافيره والرائهن بكلّ فجائعه ليعرفوا تاريخهم الجزائري وما مر به الشعب الجزائري من إبادة وقمع وظلم وفساد وتعذيب منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، مستعينا بمصادر صحفية (تلفزيون وإذاعة) وكتب تاريخية مكنته من الإيجار والبوح عن العديد من المضمّرات والمسكوت عنه في تاريخ الجزائر بطريقة غير مباشرة ممزوجة بالبعد الفني الجمالي.

وينتقل الرّوائي عمارة لخصوص من الماضي إلى الحاضر، وما يحمله من دلالات خفية، ما يجعل من التّأويل ضرورة ملحة لملء فجوات النصّ الأدبي الرّوائي وفك رموزه وشفراته فلكل نصّ يحتوي على معنيين معنى ظاهر ومعنى باطني يعود إليه عندما لا يستطيع البوح بكّلما لديه بسبب المنع والحظر والسّلطة.

¹ - المصدر نفسه، ص 147.

3-4- أوضاع الجزائر ما بعد الأزمة:

تحدث عمارة لخص في روايته عن قضية الكوكابين التي أثارت ضجة عارمة في الوسط الاجتماعي سنة 2018، فهو اقتبسها من الواقع المرير، لكن بطريقة ضمنية ممررا مقاصده وأهدافه بين سطور الملافيط؛ حيث قال إدريس طالبي: "فضيحة الكوكابين ويا لها من فضيحة، لا أحد يعلم كيف ستنتهي، بدأ كل شيء حين احتجزت القوات البحرية 701 كيلو غراما من الكوكابين الصافية في باخرة ميناء وهران في 29 ماي الماضي، تصل قيمتها إلى ثلاثين مليون يوروفي السوق الأوروبي، كانت المخدرات مخبأة في شحنة من اللحوم المستوردة من البرازيل وموجهة إلى مستورد اللحوم المجمدة، في الأربعين من عمره وقد تحول في فترة من جزار إلى مقاول في العقارات وأحد أثرياء البلد، كان يهدي رحلات العمرة وشقق فاخرة لشخصيات نافذة في الدولة، لتسهيل مصالحه، وقال إدريس بصوت يشوبه التشاؤم هناك قرائن عديدة تلمح إلى تورط شخصيات نافذة في هذه القضية¹، وفي نفس سياق قضية الكوكابين: "خاض سمير في التفاصيل، إذ كشف أن طارق، أي ابن العميد بلقاسمي عضو في عصابة متشابكة، تتألف أساسا من أبناء إطارات سامية في الجيش والدرك والأمن ومؤسسات الدولة وعالم الأعمال"²

إنّ هذه القضية الشائكة تدفع القارئ للتأويل والكشف عن المغيب ودلالاته متعددة الأوجه للوصول إلى مقاصد المتكلم التي يتوقف عندها الناقد لجعلها تتكلم، وذلك بإعادة تفكيك هذا النسق التاريخي والبحث في خفاياه عن طريق السياق

¹ - لخص عمارة، طير الليل، ص 108.

² - المصدر نفسه، ص 241.

الاجتماعي المشترك بين المؤلف والمتلقي كمبدأ تعاوني بينهما، وخاصة أئالكاتب عمارة لخصوص كاتب جزائري والمتلقي جزائري لهما سياق ثقافي واحد حول البيئة الاجتماعية كآلافات الاجتماعية والرشوة والمصلحة والفساد والمافيا، كلّ هذه الآفات موجودة في البيئة الجزائرية.

استتبط الرّوائي هذا المقطع من مصادر تليفزيونية وصحفية بحذافيره، إلا أنه أضمر عن أشياء على المتلقي الاستدلال عليها عبر قرائن لغوية وتداولية، فهذه القضية حقيقة جرت في الواقع الجزائري، إلا أنّ الرّوائي مزجها بشخصيات تخيلية لأسباب سياسية ورغبته في الابتعاد عن السياسة بوصفه روائيا لاغير، لكن رغم ذلك استطاع تمرير رسائل مشفرة بين السّطور لمح إليها بإشارات وقرائن مثل: "يهدى رحلات العمرة وشقق فاخرة لشخصيات نافذة في الدولة، لتسهيل مصالحه، هذا الملفوظ يخفي الكثير من المقاصد من بينها فضح السّلطة وأعمالها الشنيعة واختلاطها بشخصيات فاسدة سودت المؤسسة السياسية بمصالحها واستغلالها والتّرجسية في حب الذات والثروة بمعنى المافيا السياسية، وتوجد قرينة نصية أخرى مرر عبرها قصدا "الفضيحة تتألف من أبناء الإطارات السّامية بكلائعها يقصد من هذا الظاهر تقديم نسق عن النّقافة السياسية عند الحكام الجزائريين مايدل على فساد السّلطة والسياسة وحتى فساد المجتمع لإدمانه على هذه المهلوسات والمخدرات ماينص على ضياع الجزائر في وابل من الوحل.

وفي الأخير يمكننا القول بأن الرّوائي استدعى الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية في منته الرّوائي، إلا أنّنا اكتفينا بأهم المقاطع التاريخية لاحظنا أنّها تضرر العديد من المغيبات في المجتمع الجزائري.

وهناك العديد من المقاطع والوقائع التاريخية الأخرى التي أضمرت بين السّطور ومغيبات ومضمّرات في المجتمع الجزائري، وخاصة عن استغلال المجاهدين الثورة لمصالحهم الشخصية لنهب الأموال وكسب مشاريع غير قانونيّة باسم الجهاد في سبيل الوطن.

حيث جسد الرّوائي ذلك في شخصيتين تخيليتين "ميلود صبري ويوسف مصباح" الذي اشتغل في الأمن العسكر، ومن المقاطع التي تدل على ذلك في قول الرّوائي العليم بكلّ شيء: "نكر سمير أن النقيب السابق يوسف مصباحي ترك رسميا الأمن العسكري، في بداية التسعينيات، ولكنه في الواقع بقي يدور في فلكه مستغلا علاقاته ومعلوماته وملفاته السوداء بسط يده على ميناء وهران، بفضل نفوذ ميلود صبري، أسس شركة للاستيراد والتصدير، والحقيقة أنها لم تستورد ولم تصدر شيئا، وإنما كانت غطاء لممارسة دور السمسار، وأخذ عمولات من التجار والمستوردين الحقيقيين مقابل تسهيلات جمركية وإدارية، نسبة كبيرة من الرشاوى بالعملة الصعبة تذهب إلى حساباته السرية في سويسرا أو غيرها من الجناات الضرائبية..."¹، استنبط الرّوائي تخيلاته من الواقع الجزائري في حديثه "أكد ميلود صبري وبدرو بوزار من أكبر رؤوس الفساد في البلاد، وراح يستشهد ببعض الأمثلة عن عمليات الفساد التي تورط فيها خاصة في مجال العقارات"²، وفي قول آخر لإدريس طالبي الذي اقترب من العقيد سلطاني وقال: "إن الفرق بينه وبين أشخاص أمثال ميلود صبري هو كالفرق بين المجاهد والمرتق: النوع الأول حارب الاستعمار حتى يتحرر وطنه، وعمل ولا يزال يعمل ليبنى البلد، أما النوع الثاني، فاستغل الثورة لخلق الثروة، هؤلاء لم يهتموا يوما بمصلحة الجزائر، دمر ميلود وأمثاله البلد، ويريدون مواصلة

1- لخص عمارة، طير الليل، ص 211

2- المصدر نفسه، ص 214.

التمهير¹، أراد الرّوائي من خلال هذه المقاطع تحقيق عمل أوفعل أو إقناع المتلقي أنّ التاريخ مليء بالمغيبات، أي قراءته قراءة عميقة بالفهم والتّأويل وحتى الرجوع للكفاءات الموسوعيّة التي تُسيّر له سبل إدراك المعاني الضمنيّة والسّياق الدّي ورد فيه ليكشف أنها تحمل في طياتها العديد من الدّلالات والمقاصد.

لمح الرّوائي من خلال هذه المقاطع للمتلقي عبر شخصيات تخيلية جاهدت في الثّورة واشتغلت في الأمن العسكري واستغلوا مناصبهم في الفساد والرشوة والخيانة، فالرّوائي لجأ إلى استعمال خطابات غير مباشرة ممررا من الرّسائل لفضح الأوضاع وتعرية أكاذيب السّلطة، وكشف حقيقة رؤوس الفساد الذين لا تهمهم مصلحة الجزائر، وإنما همهم الوحيد مصالحهم الدّاتية هذا ما أدى إلى تدمير الجزائر وبقائها في التّخلف والفقر والجهل، وأيضا ليزرع الشّك في نفس القارئ ليجث عن الحقيقة للوصول إلى الواقع المرير ليفطن من سباته وثقته المطلقة في السلطات العليا، أو كما قال "جماعة الفوق"، فالتّاريخ الرّسمي لم يشهد لهؤلاء المجاهدين السّماصرة، لأنّ التّاريخ يكتبه الأقوياء.

كما لاحظنا أنّ الرّوائي عمارة لخصوص استلهم مخيلته التّاريخية من كتب التّاريخ الجزائري والإعلام التلفزيوني، كاشفا ما هو مخبأ في المسار التّاريخي المعرفي والواقعي، عند عودتنا لكتاب "الحرب القذرة للحبيب السويديّة" بعد القراءة والتّأويل، التمسنا أن عمارة لخصوص اقتبس في روايته شخصية العقيد كريم سلطاني المحقق في قضايا الإرهاب والفساد بالشّخصية الإيطالية "فرديناندو أموزيماتونا" محامي في قضايا الفساد وانتهاك حقوق الإنسان وتحقيقاته عن المافيا والإرهاب في إيطاليا، بصفة عمارة لخصوص عاش في إيطاليا وتأثر بهم، مما دعا به العودة إلى هذه الشّخصيّة التي تشبه

1- المصدر نفسه، ص 108.

كثيرا الشّخصية المتخيلة في رواية عمارة لخصوص قد تكون عن قصد أو عن غير قصد.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ الرّوائي استدعى الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية في منته الرّوائي، إلا أنّنا اكتفينا بأهم المقاطع التاريخية لاحظنا أنّها تضرر العديد من المغيبات والمضمّرات في المجتمع الجزائري.

كما استطاع الرّوائي أن يقيم تعالقا تخيليا بين الماضي والحاضر والكشف عما أغفل عليه بطريقة ضمنيّة، متحدّثا إلى المتلقي قاصدا هدفا أو غاية معينة يريد أن يوصلها إلى السّامع قصد التأثير والتأثر أو التّغيير فيه، يتوصل إليه المتلقي عن طريق بعد تداولي مهم يساعد للكشف عن المضمّر "التّأويل التّداولي"

فالرّوائي عمارة لخصوص في روايته قام بمحاولة جريئة وشجاعة للحفر عميقا في آبار التاريخ الجزائري، وتحديدًا من خلال إجراء حفريات وتنقيبات ثقافيّة تاريخيّة وسياسيّة، لإعادة التّاريخ المبتور في زمن مر به المجتمع الجزائري منذ الاستعمار إلى ما بعد الاستعمار ثم العشريّة السّوداء إلى يومنا الحالي، معانقا قضايا الحاضر والمستقبل التي لا يجد المتلقي تحليلا لها إلا بربطها بوقائع الماضي وعمله الذي يثقل على هذا الحاضر ويؤثر تأثيرا بالغا في أحداثه ووقائعه، فأخطاء الماضي من صراعات وخيانات بين المجاهدين وفساد جهاز السّلطة السّياسية بعد الاستقلال بسبب المصلحة الدّاتية أدت بالحاضر إلى التهلكة، فهذا الفساد والصراعات أصبح كسلسلة غير متوقفة من الماضي وصولا إلى الحاضر.

فالرّوائي عمارة لخصوص قصد في روايته هدف وغاية معينة في كلّ الرواية ماجعلها متماسكة ومتناسقة ورفضه الواقع السّياسي والمواقع السّياسية كان لها أثر في مسار تاريخ الدولة وفساد رؤوس الدولة، أي فساد السّلطة بكاملها، وبالتالي تحطيم

وتهديم الجزائر وشعبها، وليظهر للقارئ الحقيقة الغائبة وليدغدغ مشاعره ليبحث وينقب في غمار التاريخ عن المسار الحقيقي متجاوزا الواقع المرير.

وفي الأخير يمكننا القول بأن القارئ لا يمكنه أن يصل إلى قصد الكاتب مئة بالمئة، وإنما يصل إليه نسبيا وذلك بمساعدة الخلفية المشتركة بين الكاتب والمتلقي والآليات التداولية، لأنّ الخطاب طريق مشحون بالعقبات والصعوبات وقابل للوقوع في كل آن فـ، مأزق التأويل علم، النحو المطلوب أو غير المتوقع.

الفصل الثالث

تقاطع القضايا التاريخية المضمرة وتباينها في الرواية
الجزائرية المعاصرة (كولونيل الزّبربر و الحركي و طير اللّيل).

اشتغلت الرواية الجزائرية المعاصرة في الآونة الأخيرة على مواضيع مست الواقع وحساسية مهمة بما بعد الكولونيالية "كالأنا والآخر والمرأة والهامش والمركز والتاريخ"، وهذا الأخير هو محور دراستنا فالرواية عادت إلى الماضي بصفته تاريخا مخلدا في الذاكرة الجزائرية التي مرت بحقب لاتندثر ولا يطويها النسيان، متعلقة بالبعد التخيلي الافتراضي كاشفة بعض الأحداث التاريخية المهمة مستذكرا منسياتها" لأنّ الروائي الحديث في تعامله مع التاريخ كان أكثر شجاعة وأمانة وصدقا من التاريخ الرسمي لأنّه ببساطة انحاز إلى تدوين تاريخ الإنسان المهمش والمسحوق في أحلامه وصوابه ومعاناته وتوقه إلى الحرية والعدالة والجمال، وتجنب الامتتان للتاريخ الرسمي المزور الذي يركز على أفعال السلاطين والملوك والأمراء، وبذا قدم قراءة مفتوحة على ماهو مسكوت عنه من أنساق مغيبة ومدفونة تحت ركام ثقيل من أكاذيب وتضليلات المدونات الرسمية الصفراء"¹،

ولقد أدى هذا إلى ظهور نخبة كبيرة من الروائيين اعترى قلمهم تعدّد تصوراتهم ونظرتهم للمواضيع التاريخية، فكلّ روائي تحدث في رواياته على جانب يراه مناسبا يلائم موضوعه العام، لكن ما لاحظناه بعد قراءتنا لعدة روايات جزائرية التي تفاعل فيها التاريخي مع الفني والجمالي، أنّ جلها مست وبقيت قابضة ضمن التيمات الكبرى التاريخية منتقاة منها أجزاء تخدم رواياتهم أهمّها حقبة الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال مروراً بالعشرية السوداء، باعتبارها بنى كبرى للروايات ومن أهم الروائيين [محمد ساري جل وراياته استرجع فيها مرحلة العشرية السوداء مثل رواية الغيث، القلاع المتآكلة وحرب القبور، ورواية شعلة المائدة لمحمد مفلح ورواية بوح الرجل القادم من الظلام لإبراهيم سعدي، وأنا وحاييم للحبيب السايح، الأمير لواسيني الأعرج، غرفة

1- فاضل ثامر، التاريخي والسرد، ص 11.

الذكريات لبشير مفتي وغيرهم]، ورواياتنا قيد الدراسة تضمنت أيضا مواضيع تاريخية جريئة محاولة الحفر في آبارها [رواية كولونيل الزبربر للحبيب السايح والحركي لمحمد بن جبار الذي استطاع استرجاع تاريخ قل ما تجرأ الروائيون للتطرق إليه والتنقيب فيه ورواية طير الليل لعمارة لخص]

تطرقت الروايات التي اعتمدناها في موضوعنا إلى عدة مسائل تاريخية تختلف في بعضها وتتشابه في أخرى، وما لاحظناه هناك من فضح وقائع ومن لمح إليها تاركا للقارئ الإلمام بتفاصيلها وهناك من سكت عن أخرى تركها مغيبة ومضمرة عن قصد أو عن غير قصد ولهذه غاية على القارئ الوصول إليها عن طريق الافتراضات المسبقة، ومن هنا يمكننا طرح الأسئلة التالية: ماهي المسائل التاريخية التي وقفت عليها رواياتنا؟ وماهي المسائل التاريخية التي اختلفت فيها؟ ولماذا الروائي يعرض أفكارا ويسكت عن أخرى؟، وماهي القضايا التاريخية التي ضلت لفترات مغيبة في التاريخ الرسمي؟

1- الخيانة بين واقع الحركي وتاريخ التّصفيات:

تطرقت الروايات التي بين أيدينا إلى قضايا تاريخية ضلت مغيبة ومضمرة في التاريخ الجزائري الرسمي من بينها "قضية الحركي وقضية التّصفيات"، التي اختلفت صورتها من رواية لأخرى.

ومن هنا يمكننا طرح السؤال التالي: لماذا عاد الروائيون إلى مثل هذه القضايا التي ضلت مضمرة؟، وماهي أسباب حضور هذا التاريخ في الرواية، وماهي المضمرات والمقاصد التي ترك الروائيون توظيف هذا التاريخ؟.

تحدثت رواية "الحركي" عن فئة من الناس خانوا الثورة وخانوا العهود لأسباب مختلفة؛ حيث أعطى الروائي صوت للشخصية الرئيسية "الحركي بن شارف"، للحديث

عن الحركي والأسباب التي دفعت "بن شارف" أن يصبح حركيا، لكن ماهي المضمرات والمقاصد التي أراد بن جبار تمريرها عبر الرواية لتوظيفه لهذا التاريخ؟

تحمل رواية "الحركي" في طياتها معنيين معنى ظاهر ومعنى مضمّر تركه الكاتب بين سطور الرواية ليملاًها النّاقّد الحصيف، ففي حديث "الراوي" عن الأسباب التي دفعته أن يصبح حركيا قال: "عدت إلى مسقط رأسي وجدت أُمّي تبكي، أدركت أنّ القطعة الأرضية التي كانت للمرحوم أبي استولى عليها عمي، ضمّها لأملاكه... انتقم من عمي أشد الانتقام ضربته ضربا موجعا إلى حدّ أفضى به إلى الموت، تركته مرميا في الوادي وهو عائد من السوق، هنا انتهت علاقتي بالوطن وانتهت علاقتي بالأهل، بعدها طلبت الانتقال إلى لاصاص عين الحلوف"¹، إنّ الرّوائي محمد بن جبار أعطى الشخصية الأساسيّة البارزة "بن شارف"، صورة الضّحية ممررا عبرها رسائل مشفرة لبثت بيضاء يتطلب من القارئ أن يعضدها ليصل إلى مضمّر الخطاب عبر الآليات التّداولية كالأستدلال بما هو ظاهر في القول والكفاءات اللّغوية والتّداولية والمنطقية التي تشترط من المؤول أن يكون مشبعا بها، فهذا الملفوظ يحتوي على عدة قرائن لغويّة، يمكننا من خلالها تأويل ما أراده الكاتب كـ"استولى عمي على قطعة الأرض" ضربته حتى الموت" و"انتهت علاقتي بالوطن وبالأهل"، كلّ هذه الملفوظات عبارة عن قرائن توصلنا إلى قصد الكاتب، فهذا المقطع يتحدث عن انتهاء علاقة بن شارف بالوطن بسبب قتله لعمه، هل هذا سبب كافٍ لدخوله لاصاص؟، ولماذا تحدث بن جبار عن هذا "الحركي"، وذكر أسباب دخوله لاصاص؟ كلّ هذه الأسئلة على القارئ الإجابة عنها للوصول إلى مقاصد ومعاني الكاتب.

1- بن جبار محمد، الحركي، ص 8-9.

إذن، الكاتب بنى صورة "الحركي" ليرثها من تهم الخيانة وسوء السمعة، لذا ذكر الدوافع التي أدت بهؤلاء الحركي للدخول في صفوف فرنسية مكرراً ذلك في عدة مقاطع قاصداً التكرار للتأكيد ولإدخال هذه الفكرة في ذهنية الجزائري الذي لا يعترف بالأسباب والدوافع، وإنما السياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي للجزائريين "أن كل من عمل مع فرنسا يعتبر خائناً وحركياً"، لكن ما لاحظناه أن بن جبار تحدث عن فئة واحدة من "الحركي" يعرفه المجتمع الجزائري، لماذا تحدث عن هذه الفئة فقط وسكت وأضمر عن فئات أخرى صفوهم ووضعهم أنهم حركي وهم لم يكونوا يوماً حركيين؟

هذا ما نراه في رواية "كولونيل الزبربر"، اختار الروائي صورة أخرى لم تظهر في رواية محمد بن جبار عن "الحركي"، لذا يمكننا طرح السؤال التالي: لماذا تحدث الحبيب السايح على نوع من الحركي كقضية تصفية مجاهدين من الشباب أساس أنهم خونة؟ وماهي مضمرة ومقاصد الحبيب السايح لاستحضاره تاريخاً مغيباً؟ ولماذا سكت حبيب السايح عن أسباب الحركي؟، ولماذا فضح الخونة في الجبال؟

تطوّرت رواية "كولونيل الزبربر" إلى عدة فئات من الحركي، الحركي الخائن لوطنه وقضية تصفيات المجاهدين للطلبة الملتحقين بالجبل لاتهمهم بالخيانة؛ حيث أضمر الروائي الحبيب السايح في هذه القضايا الكثير من المغيبات والمسكوت عنه نتوصل إليها عن طريق الافتراضات المسبقة من كتب موثوقة ومؤرخين وكذا السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي نؤول من خلالها للوصول إلى التاريخ المضمّر، يقول الراوي: "في نهاية هذا العام الخامس 1959 كان يسجل، إذ أبلغه المحافظ السياسي مآل الطلبة الخامس "تعذيبهم إلى حدّ إقرارهم بما لم يكونوا أبداً فعلوه أو فكروا فيه، طلباً لاستراحتهم بموت يخفف عنهم ما لم يكن جسد أو روح يتحمّله، عمل غير إنساني يمس بمصداقية

أخلاق الثورة ويوهن الصفوف ويفتني المعنويات¹، تكمن في هذا المقطع التاريخي آلية الاستلزام التخاطبي، فالروائي عند ذكره هذه القضية التاريخية قصد شيئاً آخر نتوصل إليه من خلال كفاءاتنا التداولية وتأويلاتنا فهو أراد فضح تاريخ مضمّر أي الثورة لم تكن شفافية ومثالية كما يعتقد في الوسط الاجتماعي، وإنما هناك من المجاهدين يجرون وراء المصلحة وحب السلطة بين المجاهدين، فقتل طلبة التحقوا بالجبل من طرف قائد الولاية يدل على الخوف من المثقفين أخذ مناصبهم.

هذا ما ذكر أيضاً في كتاب "مذكرات جزائرية هنري علاق" تحدث عن قضية تصفيات بعض المسؤولين في الجبال وتعذيب من التحقوا بالثورة، في قوله: "إعدام أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري الذين التحقوا بالجبال".² لكن ما أضافه هنري علاق سكت عنه الحبيب السايح إعدام أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري الذين التحقوا بالجبل، فلماذا سكت عنها الحبيب السايح في منته الروائي؟، بعد عودتنا إلى معارفنا السابقة استدللنا أنّ الحزب الوحيد المعترف به في فترة الاستعمار هو حزب جبهة التحرير الوطني، لذا لم يتجرأ حبيب السايح على ذكر حزب آخر في روايته، هذا ما استطعنا تأويله من خلال كفاءاتنا المنطقية واللغوية لمعرفة المعاني غير المباشرة التي تجاوزت المعنى السطحي المباشر تاركاً القارئ يعمل ذهنه وعقله واستنباط افتراضاته المسبقة والبحث في التاريخ الجزائري المليئ بالمضمرات.

وتحدثت رواية "طير الليل" عمارة لخصوص عن فئة أخرى من الحركي لم تذكر في روايتي "الحركي" و"كولونيل الزبربر"، لماذا ياترى؟.

¹ - السايح الحبيب، كولونيل الزبربر، ص 89.

² - علاق هنري، مذكرات جزائرية "ذكريات الكفاح والآمال"، تر: جناح مسعود، دار القضية، الجزائر،

2007، ص 224.

تطرق عمارة لخصوص "إلى فئة من الخونة" كانت موجودة بكثرة إبان الاحتلال الفرنسي فئة "الحركي في صفوف جيش التحرير الوطني" الذين يخدمون مخططات السلطات الفرنسية بطريقة مباشرة، كانت هذه الشخصية الرئيسية للرواية "ميلود صبري" الملقب "طير اللّيل" فهو مجاهد خائن للمجاهدين "ما دفعهم لقطع أرنبه أنفه، فلماذا بن جبار وحبيب السّايح لم يتحدثا عن أناس كانوا في الجيش وهم قيادة عليا وكانوا حركي؟ لماذا اختار عمارة لخصوص بطله ليس مثل بطل بن جبار؟.

إنّ عمارة لخصوص جريئ في طرحه هذه الموضوعات التاريخية، أنّ هناك العديد من المجاهدين كانوا في قلب حزب جيش التحرير الوطني الذي مثلهم الرّوائي في شخصية ميلود صبري ويوسف مصباح، كقول زهور مصباح أنّ "لأول مرة يراودني الشك بأن ميلود صبري هو الذي خان سي يزيد، وغدر بعباس بادي إبان الثورة التحريرية"¹، يدل هذا الملفوظ أنّ ميلود صبري المجاهد الكبير في نظر المجتمع يخفي الصفات السلبية تحت عباءة الصفات الإيجابية أنّه شارك في الثورة التحريرية وعضو في حزب جبهة التحرير الوطني، وبعد معارفنا السابقة وقراءتنا للرواية في فرادتها توصلنا أنّه إنسان فاسد، استغل الثورة لمصالحه وأعماله الفاسدة، لماذا تطرق عمارة لخصوص لهذه القضية التاريخية وهي تصفية المجاهدين على أساس أنهم خونة؟ هل لأنّ مكوثه خارج الوطني سمح له المساس بمثل هذه المواضيع وليرسل إلى الخفايا والمعاني الغير مباشرة التي دفعت بعمارة لخصوص كتابة قضية مسكوت عنها ومضمرة في تاريخنا الجزائري، وحتى في روايتنا المعاصرة التي وظفت التاريخ لم نلجأ إلى هذه المواضيع ووفق المقاربة التّداولية التي تدرس الجانب المضمّر وذلك عن طريق آلياتها الافتراضات المسبقة

1- عمارة لخصوص، طير اللّيل، ص 70.

الفصل الثالث : تقاطع القضايا التاريخية المضمرة وتباينها في الرواية الجزائرية المعاصرة

والمضمنات والتأويل والقصد ويحتاج إلى قارئ يعضد هذا النص للوصول إلى ماهو مضمّر .

وترك الكاتب ثغرات في هذه الموضوعة على القارئ أن يقوم بعمله التأويلي، وفق السياق والكفاءة اللغوية والمنطقية والافتراضات المسبقة، ففي حديثه عن مجاهد كان يعمل مع الجزائر وفي نفس الوقت يعمل مع فرنسا بطريقة غير مباشرة، كما قالت زهور: " لم يراودني الشك أنه خائن"، فالكفاءة اللغوية تبين أن ميلود صبري أنه خائن أي حركي، ولجوء الكاتب إلى هذا القول حسب تأويلاتنا أن الثورة مليئة بالخفايا، ولم تكن شفافية أو مثالية كما يعتقد، وإنّ هذا التاريخ ملغم هناك أشياء تقال وأشياء سكت عنها، واستطاع عمارة لخصوص أن يكشف العديد من المجاهدين في سلك الدولة يدعون المثلية في الثورة إلا أنهم خونة.

هذا الموضوع لم تتطرق إليه روايات أخرى، وكان عمارة لخصوص سابقا لطرحه لهذه المسألة الشائكة أولاً: لأنه روائي يقطن في أمريكا ليس في الجزائر، أي لا يخاف عن نفسه عند تطرقه لهذه المسائل الحساسة.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ الروايات قيد الدراسة إكولونيل الزبربر والحركي وطير الليل، اختلفت في طرحها عن موضوع "الحركي"، ثبت أنّ هناك عدة أنواع خانوا وطنهم، فرواية "الحركي" أراد تبرئة سمعة الحركي، ورواية "كولونيل الزبربر" يبين فيها تصفية المجاهدين على أساس أنّهم خونة، ورواية "طير الليل" تصفية المجاهد الخائن، فكل رواية تحدثت عن قضية وسكتت عن أخرى أكملت أخرى.

فهذه الروايات مليئة بالتاريخ المضمّر تاركة فجوات وثغرات على المتلقي ملأها عبر افتراضاته المسبقة وتطلعاته للتاريخ ليستطيع أن يرى بوضوح هذه الخفايا التي لم تذكر في كتب التاريخ، لأنّ التاريخ يكتبه المنتصرون.

2- أوضاع الجزائر بعد الاستقلال:

تحدثت الروايات قيد الدراسة عن قضية أخرى تاريخية حساسة مر بها الشعب الجزائري مباشرة بعد الاستقلال رغم الجروح التي لم تشف بعد .

ولاحظنا أن " قضية الصراع بعد الاستقلال بين إخوة الأمس " اختلفت من رواية لأخرى، فلماذا وظف الروائيون قضية تاريخية أصبحت من الماضي؟ ماهي المقاصد والمعاني التي أراد الروائيون إيصالها إلى المتلقي؟ ماهي الآليات التداولية التي تساعدنا على الوصول إلى مضمرات المسألة التاريخية الشائكة؟

تطرقت روايتا "كولونيل الزبربر وطير الليل" إلى هذا الحدث المضمّر والمغيب في وسط الشعب الجزائري الذي كان مباشرة بعد الثورة التحريرية، الذي لم يهن الشعب الجزائري من دمارها وتعبها ، حتى ظهر إخوة الأمس يتقاتلان في ما بينهما بعدما كانوا يقاتلون جنبا لجنب ضد العدو المشترك ففي قول مولاي بوزققة في رواية كولونيل الزبربر: **"هاهي الشرفات امتلأت نساء ورجال وشابات وشباناً وأطفالاً؛ إنهم يرددون، مع هذه الجموع البشرية التي ظهرت من غربي الشارع وشرقيته، ومثلهم بالأعلام الوطنية، بصوت واحد غامر يرددون سبع سنين، بركات!"¹**، وجاء هذا الحدث عند انقلاب هواري بومدين على أحمد بن بلة، توصلنا إلى ذلك من خلال الافتراضات المسبقة والمعلومات المخزنة في ذهن القارئ عبر مقاطع فيديو تاريخية أو كتب التاريخ ككتاب مذكرات أحمد بن بلة لأحمد بن بلة...

¹ - السايح الحبيب ،كولونيل الزبربر، ص 175.

وأراد الرّوائي بهذا الملفوظ التّاريخي أن يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر نستدل عليه من الظاهر عبر التّفاعل مع النّص لينتج تأويلاً وفق الاستيعاب ومبدأ التّعاون بين الطرفين والكفاءات الموسوعيّة واللّغويّة والمنطقيّة والاستدلاليّة لإدراك القصد الحقيقي من الملفوظ، فعودة الرّوائي إلى هذا الحدث ليس عبثاً؛ وإنّما لهدف وغاية عمد تمريرها عبر هذا الفن الأدبي، فمن خلال الملفوظات "ماخلفه ذلك من قتلى، سبع سنين بركات، لقد تعب الجزائريون من الحرب"، كلّها ملفوظات لغويّة، كما هناك مبدأ تعاون بين المخاطب والمخاطب كمعارف مشتركة بينهما تتعلق بهذا الحدث تحت الكفاءة التّداوليّة، كان هناك اندلاع للثورة قبل الاستقلال مباشرة دامت سبعة سنوات من سنة 1954 إلى 1962 تعب فيها الجزائريون، وبعد الاستقلال مباشرة برز إخوة الأمس يتقتلان ما بينهما ناسين المفقودين والشهداء ولأجل الوطن، فالرّوائيان أراد من خلال هذه المقاطع تمرير رسائل عمدا وقصدا للقارئ ليعلم أنّ المجاهدين الأحرار لم يكونوا ملائكة، وإنّما فيها أخطاء راح ضحيتها الشعب الجزائري ما أدى به للخروج إلى الشارع يتهافون "سبع سنين، بركات!".

فأما بالنسبة لرواية "الحركي" لمحمد بن شارف لم يتطرق بتاتا إلى قضية ما بعد الاستقلال ففي منته الرّوائي توقف عند الاستقلال سنة 1962.

3- السّياقات التّاريخية للعشريّة السّوداء :

استنتقنا في رواية "طير اللّيل" و"كولونيل الزّبربر" سياقات تاريخيّة أخرى أسس على إثرها أحداث وشخصيات ملأت بعض الفراغات التّاريخية من بينها "العشريّة السّوداء"، لماذا عاد الرّوائي إلى فترة التسعينات المليئة بجروحات الذاكرة؟

تحدث الرّوائيان "حبيب السّايح وعمارة لخص" عن العشريّة السّوداء التي بقيت خالدة في ذاكرة الجزائريين راح ضحيتها الكثير منهم، مما دعا الرّوائيون العودة إلى

تصوير أحداث هذه الفترة في رواياتهم على شكل متخيّل تاريخي، ما دفع بالمتلقي العودة إلى السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي لهذه الفترة، لتكون لديه افتراضات مسبقة ومعلومات مخزنة وكفاءات تداولية ومنطقية وسياقية ليستطيع التأويل للوصول إلى المعاني غير المباشرة التي قصدّها المتكلّم في نصه من خلال استرجاعه حبيب السّايح في روايته "كولونيل الزّبربر" الأعمال الشنيعة التي قام بها الإرهاب باسم الجهاد في سبيل الله على لسان شخصية الإرهابي لحمر زغان وكولونيل الزّبربر على شكل حوار دار بينهما: "لن يكون الأمر مختلفا عما فعلته أنت بغيرك، وأمّعن تصور أحد جنودي قيد بسلك يديك إلى ظهرك ووضع قفاك على ركبتيه، نصف واقف.. ويبد من فروة شعرك جذب إلى الخلف لترى السماء نرك ستتذكر في الهنيهة كل الذين توسلوا إليك بأن يكون موتهم برصاصة. ويبد ثانية، حظ بسيفك نفسه. وربما جعلك قبل ذلك تختبر بأسنانك برودة النصل وبلسانك شفرته إن كانت ماضية. ثم، وماذا لو ضمخوك بالبنزين ثم أشعلوك لتشم رائحة لحمك يذوب!"¹، يسترجع المؤلّ عند قراءته هذا المقطع افتراضاته السابقة من أجل الوصول إلى المعنى المسكوت عنه كما قلنا آنفا؛ حيث توصلنا من خلال الآليات التداولية أنّ قصد الكاتب من هذا الحدث التاريخي أنّ الإرهاب جردوا أنفسهم من الإنسانية بمفهومهم الخاطي للإسلام بأنّ عند قيامه بهذه الأعمال الشنيعة تقربهم إلى الله تعالى، كما لم يستطيعوا قراءة أهدافه، فولدوا عنه ضروبا مختلفة من العنف تمخضت جميعا في سنوات الجمر، وما لحظناه أنّ حبيب السّايح تحدث عن الأعمال التي قام بها الإرهاب ولكنه سكت عن أحداث أخرى ترك القارئ يتوصل إليها.

1- السّايح حبيب، كولونيل الزّبربر، ص 24-243.

والرؤية نفسها نجدها في رواية "طير اللّيل" معارضة ورفض الرّوائيون هذه السياسة المنتهجة من طرف الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ ففي قوله: **للاتزال جراح تلك السّنوات بارزة على جلده (كريم سلطاني)، لقد تعرض للاغتيال ثلاث مرات، النّدبة في فخذة الأيمن تشهّد أن رصاصة قد اخترقت لحمه أما ذاكرته الجريحة، فلا تزال تنزف ألما من جراء اغتيال أحبته مثل والده الذي دُبح كخروف العيد، ليكون عبرة لغيره، لأنه وقف في وجه الإرهابيين. وماذا يقول عن صديقه الحميم وزميله نور الدين الذي قُتل أمامه غدرا، ولم يقدر على إنقاذه؟ فارق الحياة بين يديه**¹، تحدث كلتا الرّوايتان عن هذه الحقبة التّاريخية، التي جروحاتها بقيت منغرسه في الذاكرة ولا يطويها النّسيان، ومالمسناه في الرّوايتين أن تيمة العشريّة السّوداء موجودة إلا أنّها تختلف في الأحداث.

ففي رواية "طير اللّيل"، نلاحظ أنّه لم يسكت الحديث عن بداية الإرهاب في الجزائر؟ باعتباره الأساس للوصول إلى الاستدلال والتّأويل، إنّ الإرهاب بدأ من التّعددية الحزبيّة التي قام بها شاذلي بن جديد، فهو أعطى للقارئ شفرات وتركه يبحث وينقب عن السّياق التّاريخي الإرهابي في كتب التّاريخ ليكتسب افتراضات المسبقة وكفاءات موسوعيّة، مما دفعنا هذا للعودة لكتاب "الحركة الإسلاميّة المسلّحة" في الجزائر لأبو يحيى: **"تعدّ فترة مهمة في تاريخ المجتمع الجزائري كان سببها السّلطة السّياسية من بينها الجيش التّحرير الوطني الذي لم يتقبل فوز الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في الانتخابات التّشريعية، ما أدى إلى إلغاء الانتخابات**

¹ - لخصوص عمارة ،طير اللّيل، ص 102.

التشريعية حزب جبهة الإنقاذ واختلاف مواجهات أمنية مع قاعدتها مما تسببت في أحداث دموية عنيفة لم يعهدها الشعب الجزائري"¹

ومن كلّ هذه المعارف توصلنا إلى أنّ عمارة لخصوص أراد أن يبين أنّ السّلطة كان لها اليد الكبير في بداية الإرهاب وخاصة التعددية الحزبية بعدما كان حزب جبهة التحرير الوطني هو الأساس، ما دفع بهم إلى إلغاء الانتخابات لعدم فوزهم فيها، أي ما هو ظاهر شيء والباطن شيء آخر.

كلّ هذا تغاضت عنه رواية "كولونيل الزّبربر" لحديثها عن العشريّة السوداء بصفة عامة.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ روايات [كولونيل الزّبربر والحركي وطير اللّيل] تقاطعت وتباينت في عدة مسائل تاريخيّة وهدفها بعث رسائل للقارئ عبر سطور الرواية، على القارئ ملأها عن طريق معارفه مسبقة وتأويلاتها، فهي عبارة عن مرحلة بحث في خبايا التّاريخ الجزائري، محاولا الحديث عن المسكوت عنه في المجتمع الجزائري.

تصب مواضيع رواية "الحركي" في فترة الاستعمار والهدف من كلّ الرواية هي كسر طابوهات الجزائر ذلك عند تجرّاه لتبرئة سوء سمعة الحركي وإعطاء صوتا له لم نجده في الروايات التي وظفت التّاريخ، إلا في بعض الروايات الفرنسية أرادت تبرئة وتنظيف سمعة الحركي مثل رواية "فن فقدان" لأليس زنيتر.

أما رواية "كولونيل الزّبربر" فتحت ملفات لقضايا تاريخيّة لم تذكرها روايتا "طير اللّيل والحركي"، كإعدام أصغر عقيد بعد الإستقلال "العقيد شعباني"، من طرف

¹- ينظر: أبو يحيى زكرياء، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ص 60-62.

الفصل الثالث : تقاطع القضايا التاريخية المضمرة وتباينها في الرواية الجزائرية المعاصرة

هوارى بومدين وأحمد بن بلة لاهتمامه بالتمرد على السلطة، وأيضا تحدث عن إلتحاق الطلبة بالجبل إبان الإستعمار وكان مآلهم التعذيب والموت من طرف قادة الولاية.

وكلّ هذا كتبه الرّوائي عن قصد وهدف ليبين أنّ حب السلطة والنرجسية هي التي دفعت للقيام بهذه الأفعال الشنيعة.

وأما رواية "طير اللّيل" كلّها عبارة عن رسالة أراد ايصالها لهذا القارئ، وهي أنّ الفساد الذي يجوب البلاد عبارة عن عقد من الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال إلى العشريّة السوداء إلى حاضرنا، من حب السلطة والتّحكم المصلحة.

الخاتمة

بناء على ما قدمناه في بحثنا، توصلنا في نهاية المطاف إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

بدأنا بحثنا بمدخل نرصد فيه المفاهيم المفتاحية المتعلقة بالدراسة، ثم تطرقنا في الفصل النظري إلى تحديدات ومفاهيم التداولية التي سال عليها حبرا عند العديد من الفلاسفة والمنظرين "سبربر ويلسن، فان ديك وموريس شارل وجورج يول..."، وحتى عند العرب تأثروا بالمنظرين الغربيين "مسعود صحراوي وهشام خليفة وثروت مرسى..."، اشتغلت أقلامهم عن المقاربة التداولية التي تهتم باللغة في سياقها الإستعمالي متجاوزة الطرح القائم على فهم النصوص الأدبية في حرفيتها ودلالاتها الصريحة المباشرة الموجودة على سطح النص إلى المعنى غير الحرفي والمضمر بين سطور النص والمضمرة على القارئ الحفيف ملأها والوصول إليها؛ من هنا توصلنا إلى أنّ كل نص يحتوي على معنيين معنى حرفي ومعنى مضمر، وللكشف عن الشفرات والرموز المضمرة والمقاصد الموجودة في التوصلات اللغوية العادية أو في النصوص الأدبية.

ووقفنا على أهم الآليات والأبعاد التداولية رأينا أنّها المسؤولة عن استخراج واستنباط الخطابات المضمرة التي يتوصل (المخاطب والمخاطب) بواسطتها تتمثل هذه الاستراتيجيات في مايلي:

يعدّ "السياق" من أهم الآليات والجوهر الأساسي في التحليل التداولي، فلتحليل نص ما على المتلقي، تحليله وفق سياقه "الإجتماعي أو الثقافي أو التداولي"، وذلك للوصول إلى المعاني النصية وخارج النصية وإبراز معنى النص المضمر.

وللمضمر محتويات قسمت إلى: إفتراضات مسبقة والمضمنات، فهي لها نصيب وافر من الدرس التداولي.

وكذا لاستخراج المضمّر يجب أن يكون هناك **بعد تأويلي** يبحث في أعماق النص عن المعاني والمقاصد **المضمّرة**، وهي آلية مهمة تساعدنا على اكتشاف **المضمّر** في الخطابات الأدبية، كما أبرزنا أن لا يتم التأويل إلا بكفاءات يفترض على المؤل أن يكون مشبعا بها كالكفاءة التداولية والسياقية والألسنة اللغوية، ومفعل ذهنه لحل شفرات ورموز النص للوصول إلى التأويل المراد استنباطه، هذا ما دفعنا للبحث عن آلية تداولية أخرى، وذلك باعتبارها عملية من عمليات التأويل التداولي وهي "الاستدلال" الذي يستخلص من الظاهر للوصول إلى المضمّر عبر كفاءات وقرائن لغوية وتداولية وغير لغوية.

ورصدنا أيضا آلية إجرائية أساسية تولدت عن طريق الاستدلال وهي "الاستلزام التّخاطبي" لأنّ كلّ كاتب في متنه يقول شيئا ويقصد معنى آخر نتوصل إليه من خلال مبادئ تتوفر في المتن يتركها المؤلف عمدا، باعتبارها شفرات تساعد المتلقي للوصول إلى **المضمّر** "كمبدأ التعاون" بين المتخاطبين لإنجاح عملية التّواصل والسلوك التّخاطبي.

وتوصلنا من خلال مختلف هذه النظريات والآليات التي توقفنا عندها أنّ جميعها تأخذنا إلى حيز واحد وهو الوصول إلى المقاصد **التداولية** التي تنحصر أن في كلّ خطاب يحتوي على هدف **مضمّر** و**مسكوت عنه** وعلى المتلقي الوصول إلى المراد المقصود عن طريق هذه الآليات والاستراتيجيات التداولية.

وما رصدناه مما سبق أن لا يمكننا الفصل بين هاته الآليات التداولية، لإمالة اللّثام عن **المضمّر** فهي مكملة لبعضها البعض، أي عملية لوجهين فلا نستطيع الحديث عن استراتيجية تداولية دون إستدعاء استراتيجيات أخرى، فبدونها لا يمكننا التوصل إلى ما سكت عنه النص الأدبي.

حيث استطعنا أن نطبق على المتون الروائية قيد الدراسة [كولونيل الزبير للحبيب السايح والحركي لمحمد بن جبار وطيّر الليل لعمارة لخص]، هذه الإجراءات التداولية التي مكنتنا من الكشف عن التاريخ المضمر، لأنّ النصوص المختارة مزجت في طياتها بين البعد الفني والبعد التاريخي الجزائري، كلّ هذه الروايات الجزائرية المعاصرة تصب ضمن مواضيع تاريخية.

و هو ما قادنا للبحث في هذه الآليات، لنصل إلى أهم النتائج بعد التطبيق: لقد قسمنا الفصل الثاني التطبيقي إلى مباحث: فالمبحث الأول اكتف عملنا على حضور التاريخ على المستوى النصي.

تمكنا فيه الوصول إلى الموضوعات الكبرى/البنى الكبرى في الروايات المختارة لكن قبل الولوج في البحث، وقفنا على العناصر الفرعية التي تحقق انسجاما في الخطاب المعطى كمدى ربط العنوان بمضمون المتون المختارة باعتبارها العتبة الأولى لدخول عالم النص، ما لحظناه بعد ضبط دلالة العناوين أن كلّهم حققوا الانسجام مع النصّ الروائي، هذا ما جرنّا بعدها الوقوف عند البنى الكبرى/التيّمات، التي استطاعت أن ترسم وتعطى فريدة للنص من بدايته إلى نهايته ولملمة شمل الرواية ما ساعدنا على فهم النص وتحقيق انسجاما وتماسك للخطاب.

كما استطعنا رصد البنى الكبرى في رواياتنا وتتبعنا حضور التاريخ فيها ومؤشرات للتاريخ المضمر في ثناياها، الذي أمكن على الروائيين بواسطتها كشف اللثام عن حقائق وأحداث تاريخية مرت في تاريخ الجزائر.

بعدها تمكنا للوصول إلى تيّمات الرواية التي تدرجنا مباشرة للبحث في مدى احترام المتون الروائية للتتابع الموضوعاتي/الاستمرارية الموضوعاتية وذلك عند قراءة الروايات في كليّتها دون الحس بالقطع أو التّشظي ويكون قابلا للفهم والانسجام، فهذه

الروايات تحمل في ثناياها الكثير من المسائل التاريخية المسكوت عنها محاولة كشف الستار عنها من خلال بعث الروائي عبرها رسائل مشفرة على المتلقي الوصول إلى مقاصدها ومعانيها المضمرة.

وفي دراستنا للخطابات المنقولة المباشرة وغير المباشرة، رأينا أنّ الرواية الجزائرية المعاصرة، احتفت بالعديد من أنماط الخطابات وتنوعت صيغها السردية في بنائها هذا ما لامسناه في المتون المختارة أنها تميزت بكم هائل من هذه الخطابات المنقولة التي مثلت وصورت لنا التاريخ المضمّر وخدمت جزءا من مقاصد ومعاني الروائيين حاولوا إمطة اللثام عن بعض المراحل التاريخية المغيبة والمسكوت عنه في تاريخ الجزائر.

في حين تحدثنا عن الرؤية السردية التي اختلفت مصطلحاتها إلى التبئير ووجهة النظر والمبئر والمبار.

ما نلاحظه في رواية "طير الليل" تنوع في تبئيراتها من سارد عليم بكلّ شيء إلى تبئير خارجي إلى تبئير داخلي، إلا أن ما لمسناه أن حصة الأسد كانت للسارد عليم بكلّ شيء لقدرته على الغوص في غمار الشخصيات والأحداث التاريخية التي بإمكاننا رؤيتها من منظوره الخاص؛ حيث وضعنا هذا السارد من الدرجة الأولى أمام مسائل تاريخية يتخللها المتخيّل الفني ليفضح أشياء ويسكت عن أخرى.

فأما بالنسبة لرواية "الحركي" رصدنا فيها ثنائيين ميك بال "المبار الذات المدركة والمبئر المواضيع التي يتناولها السارد المتمثلة" في استنطاق وتعرية بعض الحقائق التاريخية مزج فيها بين العوالم المتمكنة التخيلية إلى وقائع حقيقية عن الحركي

كما توصلنا إلى وجهات النظر الرّأوي والشّخصية في رواية "كولونيل الزّبربر" اللّذين تكفلا بنقل الحقائق التّاريخية في سياق الرّواية خدمة لمقاصد الكاتب من طرفهما اللّذين ينسقان المواضيع الكبرى لخلق استمرارية موضوعاتية في المتن الرّوائي.

وفي دراستنا للمفارقات الزّمنية في الرّوايات الجزائرية المعاصرة قيد الدّراسة (كولونيل الزّبربر والحركي وطيّر اللّيل) لاحظنا أن الاسترجاعات تغطّي على الاستباقات، وذلك لأنّ المتون المختارة كلّها مجسدة للتّاريخ الماضي المتشعب والمكثف بالوقائع التّاريخية مرّ بها المجتمع الجزائري الذي أراد كشف اللّثام عن العديد من المسائل المغيّبة والمسكوت عنها في تاريخنا الرّسمي.

ورصدنا في المبحث الثاني من الفصل الثاني أهمّ التّائج المتوصل إليها

توصلنا إلى نتيجة مفادها أنّ رواية "طيّر اللّيل" مليئة بالمقاصد والمعاني بعثها الرّوائي عبر سطور الرّواية، وذلك عن طريقة استراتيجية "التّأويل التّداولي" بمساعدة السّياق التّاريخي والاستدلال والاستلزمات التّخاطبية، وتوصلنا أنّ القارئ لا يستطيع فكّ ترميزه إلّا بتمتعه بالكفاءة اللّغوية والموسوعية للوصول إلى التّاريخ المضمر.

ورصدنا في رواية "كولونيل الزّبربر" للحبيب السّايح أنّها تفاعلت مع التّاريخ وكشف لنا عدة مسائل تاريخية ممررا مقاصد وأهداف توصلنا إليها عبر الحفر في أعماق هذا التّاريخ بواسطة المعلومات المخزنة في الذاكرة والمكتسبات القبليّة والمعارف المتفق عليها المشتركة بين الرّوائي والمتلقي والسّياقات التّاريخية والثّقافية التي من خلالها استنبطنا الأقوال المضمنة وملء الفراغات البيضاء في النّص والكشف عن المضمر.

فأما بالنسبة لرواية "الحركي" لمحمد بن جبار أبرزنا من خلالها القضايا التّاريخية التي غيبتها وطمسها التّاريخ الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، الذي يمرر

عبرها مقاصد ومعاني ملتفة بين سطور الرواية تمكنا الوصول إليها عبر المنحى الاستدلالي والاستلزامي التداولي حين قال شيئا وقصد أشياء أخرى

وفي المبحث الثالث ا تحدثنا عن التباينات والتقاطعات بين الروايات المختارة، لاحظنا أنّ كلّ الروايات تفاعلت مع التاريخ الجزائري، من استعمار فرنسي إلى العشريّة السوداء إلى حاضرنّا، إلا أن ما لمسناه أنّ كلّ رواية تحدثت عن موضوع وسكتت عن آخر، لكي لا يطويها النسيان ممرا عبرها رسائل مشفرة توصلنا إلى فك رموزها عن طريق الآليات التداولية.

ملخص البحث

ملخص البحث:

يحاول بحثنا الموسوم "مضمّرات وإكراهات إعادة استدعاء التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة - مقارنة سردية تداولية في روايات كولونيل الزّبربر للحبيب السّايح والحركي لمحمد بن جبار وطيّر اللّيل لعمارة لخصوص-" أن يميّط اللّثام عن التاريخ المضمّر والمغيّب والمتخفي وراء عباءة ماهو ظاهر وصريح، عبر آليات تداولية ساعدتنا على الولوج في غمار البحث للوصول إلى التاريخ المضمّر في المتون المختارة [كولونيل الزّبربر للحبيب السّايح والحركي لمحمد بن جبار وطيّر اللّيل لعمارة لخصوص].

حيث قسمنا بحثنا إلى فصول ومباحث:

قدمنا مدخل يتعلق بالمفاهيم المفتاحية المتعلقة بالدراسة، فأما الفصل الأول نظري عرضنا فيه أهم الأبعاد التداولية رأيناها مناسبة في تحليلنا للمتون المختارة والكاشفة عن التاريخ المضمّر في الرواية الجزائرية المعاصرة، ومن بين هذه الآليات نجد: السياق والافتراضات المسبقة والأقوال المضمنة والاستدلال والاستلزام التخاطبي والتأويل التداولي والقصد.

وجاء الفصل الثاني تطبيقيا فرعناه إلى ثلاث مباحث، كان المبحث الأول معنون "حضور التاريخ على المستوى النصي في رواية كولونيل الزّبربر وطيّر اللّيل والحركي"، حث قسمناه إلى عناصر، أولها: دلالة العناوين وعلاقتها بالمتن الروائي واستنباطنا من البنى الكبرى التاريخية، ثم توقفنا عند الاستمرارية الموضوعاتية، لنتوصل إلى إنسجام وتماسك الخطاب التاريخي في المتون المختارة.

فأما العنصر الثاني موسوم: "الخطابات المنقولة المباشرة وغير مباشرة ومدى رصدها للتاريخ المسكوت عنه"، فأما العنصر الثالث معنون "الرؤية السردية ومدى

نقلها للتاريخ في المتون المختارة"، والعنصر الرابع: تطرقنا فيه إلى الإسترجاعات التاريخية والاستباقات التمهيدية الموسوم: "المفارقات الزمنية وتشكلاتها في المتخيل التاريخي".

ثم انتقلنا إلى المبحث الثاني الموسوم: "إعادة بناء الأنساق المضمرة التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة [كولونيل الزبربر والحركي وطيير الليل]، قمنا فيه بتحليل هذه الروايات قيد الدراسة وفق الآليات التداولية التي لا مسناها في الفصل النظري ساعدتنا في الكشف عن التاريخ المضمّر قسمناه إلى عناصر، أولها: المعنون: "الافتراضات المسبقة التي تساهم في استنباط الأقوال المضمنة المسكوت عنها في رواية كولونيل الزبربر للحبيب السايح"، فأما العنصر الثاني: مقاصد الروائي واستراتيجية التأويل في المتخيل التاريخي طير الليل لعمارة لخصوص"، ثم تطرقنا إلى عنصر آخر موسوم: "المنحى الاستلزامي والاستدلالي التّخاطبي في المتخيل التاريخي المسكوت عنه رواية الحركي لمحمد بن جبار".

وأنهينا بحثنا بخاتمة، تناولنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها:

- توصلنا إلى أهم الأبعاد التداولية ساعدتنا للكشف عن التاريخ المضمّر في المتون المختارة، كالسياق والاستدلال والاستلزام التّخاطبي والتأويل التداولي.
- كما رصدنا أنّ لا يمكننا الفصل بين هاته الاستراتيجيات التداولية، لإمالة اللّثام عن ماهو مضمّر، فهي مكملّة لبعضها البعض لا يمكننا التحدث عن بعد دون آخر.
- واستطعنا تطبيق الآليات السردية التداولية على النصوص المختارة [كولونيل الزبربر والحركي وطيير الليل]، وتمكنا ولو بالجزء القليل الوصول للمغيّب والمتخفي والمضمّر عبر ماهو صريح ومباشر في المتون قيد الدراسة، وتوصلنا أنّ كلّ خطاب يجرنا إلى معنيين معنى حرفي وظاهر ومعنى مضمّر مسكوت عنه.

- وتوصلنا أيضا أنّ كلّ الروايات تفاعلت مع التاريخ، كاشفة عن عدة قضايا تاريخية ممررا عبرها مقاصد ومعاني، يتوصل إليها القارئ عبر هذه الآليات التداولية. ورصدنا في الفصل الثالث والأخير أهم التقاطعات والتباينات التاريخية بين النصوص قيد الدراسة (كولونيل الزبير وطيح الليل والحركي)، لاحظنا أنّها تشارك في بعض القضايا واختلفت في أخرى، كما لامسنا أنّ الروائيين سكت عن أحداث تاريخية وفضحوا أخرى.

Notre recherche, étiquetée « L'histoire inédite dans le roman algérien contemporain – Une approche narrative pragmatique dans des modèles sélectionnés– » essaie de démasquer l'histoire qui est silencieuse et cachée, et ce qui se cache derrière le manteau de ce qui est apparent et explicite», à travers des mécanismes pragmatiques qui nous ont aidés à entrer au milieu des recherches pour atteindre l'histoire silencieuse. Dans les textes choisis (Colonel Al-Zabar d'Al-Habib Al-Sayeh et l'oiseau de nuit d'Amara Lakhous et Al-Hakim de Muhammad Bin Jabbar).

Où nous avons divisé notre recherche en une entrée et deux chapitres : Nous avons présenté une introduction liée aux concepts clés liés à l'étude. Comme pour le premier chapitre, nous avons présenté les dimensions délibératives les plus importantes que nous avons vues parce qu'elles sont appropriées dans notre analyse des textes sélectionnés, et révèlent l'histoire silencieuse dans le contemporain Roman algérien.

Parmi ces mécanismes, on trouve : le contexte, les présuppositions, les énonciations implicites, l'inférence, l'implication conversationnelle, l'interprétation délibérative et l'intention.

Le deuxième chapitre est venu en pratique, et nous l'avons divisé en trois chapitres. Le premier chapitre était intitulé "La présence de l'histoire au niveau du texte dans le roman du colonel Al-Zabarbar, l'oiseau de nuit et le Harki". Nous l'avons divisé en quatre sections :

La première : la signification des titres et leur rapport au texte

narratif et notre déduction à partir des grandes structures historiques, puis nous nous sommes arrêtés à la continuité thématique, afin d'atteindre la consistance et la cohérence du discours historique dans les textes choisis.

Le deuxième thème, il s'intitule « Les discours transmis directement et indirectement et dans quelle mesure ils contrôlent l'histoire silencieuse ».

La troisième thème, intitulé « La vision narrative et l'étendue de sa transmission à l'histoire dans les textes choisis »

Et le quatrième thème : nous y avons abordé la récupération et l'anticipation historiques étiquetées « les paradoxes et l'histoire appropriés dans l'imaginaire historique ».

Puis nous sommes passés au deuxième chapitre, qui est marqué : « Reconstruire les schémas historiques muets dans le roman algérien contemporain (le colonel Al-Zabbar, l'oiseau de nuit et le Harki), dans lequel nous avons analysé ces romans à l'étude selon les mécanismes délibératifs que nous avons touché dans le chapitre théorique, qui nous a aidé à révéler l'histoire silencieuse. Nous l'avons divisé en trois sections, dont la première est :

Les intentions du romancier et la stratégie d'interprétation dans l'imaginaire historique.

Le deuxième thème est sous le titre suivant : « Les présupposés qui contribuent à déduire les propos cachés et muets dans la narration du colonel Al-Zabarbar par Al-Habib Al-Sayeh »

Ensuite, nous avons abordé un autre sujet intitulé : « L'approche conversationnelle et déductive dans l'imagination historique, le récit historique tacite de Muhammad Bin Jabbar ».

Nous avons terminé notre recherche par une conclusion, dans laquelle nous avons traité les résultats les plus importants :

- Nous avons atteint les dimensions délibératives les plus importantes qui nous ont aidés à révéler l'histoire silencieuse dans les textes sélectionnés, telles que le contexte, l'inférence, l'implication conversationnelle et l'interprétation pragmatique.
- Nous avons aussi observé qu'on ne peut séparer ces stratégies délibératives, pour dévoiler ce sur quoi on se tait, car elles sont complémentaires les unes des autres, on ne peut pas parler à distance les unes des autres.
- Nous avons pu appliquer les mécanismes narratifs délibératifs aux textes sélectionnés (Colonel Zbarbar l'oiseau de nuit et le Harki), et nous avons pu, même avec une petite partie, atteindre l'oubli, le caché et le silencieux à travers ce qui est explicite et direct dans les textes à l'étude.
- Nous avons également constaté que tous les romans interagissaient avec l'histoire, révélant plusieurs problèmes historiques, en passant par eux des buts et des significations, auxquels le lecteur accède à travers ces mécanismes délibératifs.

Ensuite, nous avons abordé le troisième et dernier chapitre, dans lequel nous avons observé les intersections et les divergences historiques les plus importantes entre les textes à l'étude (Colonel Al-Zabarbar, l'oiseau de nuit et le-Harki), Nous avons remarqué qu'elle participe à

certaines questions et n'est pas d'accord sur d'autres. Nous avons également remarqué que les romanciers gardaient le silence sur des événements et ils en ont exposé un autre.

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً- المصادر:

- 1- بن جبار محمد، الحركي
الجزائر، ط1، 2016.
- 2- السّايح الحبيب، كولونيل الزّبربر، دار السّاقي، بيروت، لبنان، 2015.
- 3- لخصّ عمارة، طير اللّيل، دار الحبر للنشر، الأبيار، الجزائر، ط1، 2019.

ثانياً-المراجع:

أ- المراجع الأجنبية المترجمة:

- 1- أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، الرباط، ط1، 1986.
- 2- أوستين جاك، نظرية أفعال الكلام العامة "كيف تتجزأ الأشياء بالكلام"، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، القاهرة، مصر، د.ط، 1991.
- 3- إيكو امبرتو، القارئ في الحكاية "التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط1، 1996.
- 4- باختين ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1988.
- 5- باختين ميخائيل، جمالية الإبداع اللفظي، تر: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2011.
- 6- بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
- 7- بولان إلفي، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو وليلى احمياني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2018.
- 8- ترفينان تودروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- 9- جينيت جيرار وآخرون، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئيرات، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط1، 1989.
- 10- جينيت جيرار، خطاب الحكاية " بحث في المنهج"، تر: محمد معتصم وآخرون، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1988.

- 11- ديك فان، النص والسيّاق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا للشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
- 12- ريكاناتي فرانسوا، المعنى الحرفي، تر: أحمد الكروم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2018.
- 13- ريكول بول، الذاكرة والنسيان والتاريخ، تر: جورج زيناني، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 14- سبربر دان وولسون ديدري، نظرية الصلة أو المناسبة "في التّواصل والإدراك"، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.
- 15- ستالوني إيليف، الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- 16- سيرل جون، القصديّة "بحث في فلسفة العقل"، تر: احمد الانصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 17- سيليفي باترون، الرّأوي "مدخل إلى النظرية السردية"، تر: أحمد السماوي وآخرون، دار سيناترا، تونس، ط1، 2017.
- 18- شارتيه بيير، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.
- 19- كيربرات كاترين أوركيوني، المضمّر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008.
- 20- مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- 21- موشر جاك وروبول آن ذ، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2020.

22- يول جورج، التّداولية، تر: قصي العتّابي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

ب- المراجع العربية:

1- إبراهيم عبد الله، التّخيل التاريخي "السرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية"، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

2- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ط1، ج1، 2004.

3- آل صونيت مؤيد، التّداولية في البحث اللّغوي والنّقدي، ط1، 2012.

4- أم السّعد مختار حياة، الخطاب الرّوائي "من إنسجام الملفوظ إلى إنسجام التّلفظ"، داركنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015.

5- البحراوي حسن، بنية التّشكيل الرّوائي، المركز الثقافي العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1990.

6- بريك محروس، التّأويل التّداولي "التّداولية في كتاب سبويه"، كتاب مؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف سبويه إمام العرب، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر.

7- بن عامر نجوى، الضمني في القول "بحث في أسسه النّحوية والتّداولية"، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2021.

8- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

9- جيران عبد الرحيم، الذاكرة في الحكى الرّوائي "اللاتيان إلى الماضي من المستقبل"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2019.

- 10- الحاج حمو ذهبية، لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2012
- 11- الحيزم وئام، تأويل اللفظ والحمل على المعنى، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس، د.ط، 2009.
- 12- الخبو محمد بن محمد، الخطاب القصصي في الرواية العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2014.
- 13- الخبو محمد بن محمد، مداخل إلى قصصية المعنى، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2016.
- 14- الخبو محمد بن محمد، نظر في نظر في القصص "مدخل إلى سرديات استدلالية"، دار نهى للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2012.
- 15- ختام جواد، التّداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط2016، 1.
- 16- الخضراوي إدريس، الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
- 17- خليفة أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د.ط، 2002.
- 18- خليفة هشام عبد الله هشام، نظرية التّلوّيح الحوارية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- 19- دراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2003.
- 20- شطري عبد الهادي، استراتيجية الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

- 21- صحراوي مسعود، التّداولية عند العرب "دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- 22- صلاح إسماعيل، النّظرية القصديّة في المعنى عند غرايس، دار المنظومة، كويت، د.ط، 2005.
- 23- صلاح إسماعيل، جون سيرل في القصديّة دراسة فلسفة العقل، دار المنظومة، كويت، د.ط. د.ت
- 24- العجمي محمد ناصر، المشهد الآخر في كتابة الذات "في رامة والتّنين لإدوارد الخراط"، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2009،
- 25- العروي عبد الله، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.
- 26- عكاشة محمود ، النّظرية البرجماتية اللسانية "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013.
- 27- علوي حافظ اسماعيلي، كتاب التّداوليات علة استعمال اللغة، عالم الكتب الحديثة، اربد، أردن ، ط1، 2014.
- 28- العمامي محمد نجيب، الذاتية في الخطاب السردي "الإدراك والسجل والحجاج"، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 2011.
- 29- العياشي منذ، العلاماتية وعلم النّص، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
- 30- عيسى لطفي، بين الذاكرة والتّاريخ " في التّأصيل وتحولات الهوية"، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2015.
- 31- الغويل إبراهيم المهدي، السّياق وأثره في المعنى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، لبنان، ط1، 2001.

32- فاضل ثامر، التأريخي والسرد في الرواية العربية، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2018.

33- فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 2004. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

34- كروم أحمد، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015.

35- ماضي عزيز شكري، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

36- المبخوث شكري، الاستدلال البلاغي، دار الالكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط2، 2010.

37- مجموعة من الأكاديميين، خارج الأسوار "أوراق في الدراسات الثقافية". تح: مبارك الجابري، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، مسقط، ط1، 2022.

38- منور أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي "نشأته وتطوره وقضاياها"، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.

39- هيجل، العقل في التاريخ "من محاضرات في فلسفة التاريخ"، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط3، ج1، 2007.

ج- كتب تاريخية:

1- أبو يحيى زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1،

- 2- بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، تر: العفيف الأخضر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، د.ت
- 3- بورقعة لخضر، مذكرات لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثورة"، تح: صادق بخوش، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2000.
- 4- بوضياف محمد، الجزائر إلى أين؟،
- 5- سويدية حبيب، كتاب الحرب القذرة "شاهد ضابط سابق في القوات الخاصة بالجيش الجزائري 1992-2000، تر: روز مخلوف، دار ورد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2003.
- 6- الكافي رئيس علي، مذكرات رئيس علي الكافي "من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962"، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د.ت.

د- المجالات:

- 1- مجلة مقاربات في الآداب والعلوم الإنسانية، ع 12، مارس، 2017.
- 2- مجلة النص والسياق، ع 21، 2012، 2014.
- 3- مجلة النقد الأدبي فصول، ع3، 1997.

هـ- المعاجم والقواميس:

- 1- هوانغ يان، معجم أوكسفورد للتداوية، تر: هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2019.
- 2- شارودو باتريك و منغونو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2008.

3-برنس جيرالد، قاموس السرديات، تر: السيد إمام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

4- موشلر جاك وروبول وآن، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين، دار سيناترا، تونس، ط، 2010.

5-فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986.

6- القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي، تونس، ط1، 2010.

- الرسائل الجامعية:

1- بن صفية عبد الله، المتخيل التاريخي في الرواية العربية "جدلية المرجع والمنجز السردية"، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: إسماعيل زردومي، 2016-2017.

- مراجع أجنبية:

- 1- Bakhtin Mikhail, Esthétique de la création verbale.
- 2- Paul Larrey, Enonces performatifs et presupposition, Paris Nathan, 1979.
- 3- H.P. Grice, Logic and conversation, University of California, Berkeley

الصفحة	العنوان:
3	المقدمة.....
	مدخل: تحديدات أولية لأبد منها
15	1- حضور التاريخ في الرواية الجزائرية.....
17	2- تحديدات التاريخ بين المفهوم والإجراء.....
21	3- تحديدات الذاكرة وأنواعها.....
27	الفصل الأول: الاستراتيجيات التداولية واستنباط التاريخ المضمّر المبحث الأول:

29	1-تحديدات التّداولية في النقد المعاصر.....
34	1-1 التّداولية في التّطبيقات الغربية.....
39	2-1 التّداولية في الدّراسات النّقديّة العربيّة.....
40	2-المقصديّة واكتمال دلالة الملفوظ.....
47	1-2 حد الملفوظ في التّحديدات التّداولية.....
51	2-2 مفهوم التلفظ.....
56	2-3 علاقة الملفوظ بالتلفظ.....
64	مخططات.....
80	المبحث الثاني:
85	1-النص وأنواع السياقات واستعمالاته.....
87	2-أنواع السياقات.....
96	مخططات.....
99	المبحث الثالث:
101	1-معنى المعنى: المسكوت عنه في النص.....
106	2-محتويات المسكوت عنه (مظاهر المسكوت عنه).....
110	1-2-1-الإفترض. إحدى قيم الحقيقة.....
117	2-1-1-أنواع الإفتراضات.....
125	2-2-1-2- علاقة الافتراضات بالسياق حسب ويلسن وسبرير
	2-2-2-المضمنات محتوى المسكوت عنه.....
	2-2-1-أنواع المضمنات.....

127	2-2- المضمنات مقابل الافتراضات.....
135	مخططات.....
140	المبحث الرابع:
143	• التأويل التداولي.....
145	○ كفاءات المؤول.....
148	○ وسائل التأويل التداولي.....
155	○ مخططات.....
160	
161	• المبحث الخامس:
166	• ماهية الاستدلال.....
169	○ من المستدل به إلى المستدل عليه.....
174	○ المعنى النصي: المستدل عليه.....
179	○ مخططات.....
180	• الاستلزام التخاطبي.....
182	○ مبدأ التعاون: وكيفية توليد الإستلزام التخاطبي.....
184	• في تداوليات القصد.....
189	○ منازل القصد.....
191	○ القصد بالنسبة إلى أطراف الخطاب.....
	1-1- القصد والتأويل.....
	- مخططات.....
	الفصل الثاني:
	المبحث الأول:

192	1-الموضوعات: حضور التاريخ على المستوى النصي.....
194	1-1 العنوان إحالة للنص الروائي "كولونيل الزبربر" للحبيب السايح.....
196	2-1 تيمات/البنى الكبرى "كولونيل الزبربر" وتمثلها للتاريخ.....
199	3-1 دلالة العنوان وعلاقته بالمتن الروائي رواية الحركي لمحمد بن جبار.
200	4-1 تاريخ الحركي من خلال البنى الكبرى في رواية "الحركي"
200	5-1 "طير الليل" المضمّر التاريخي في سواد الليل.....
223	187
223	6-1 التاريخ الاستعماري في تيمات/البنى الكبرى "طير الليل".....
223	7-1 الذاكرة التاريخية في الروايات.....
231	1-7-1 رواية "كولونيل الزبربر" موضوعات الذاكرة التاريخية.
236	2-7-1 صوت "الحركي" موضوعة مستمرة في كلّ رواية.
241	3-7-1 "طير الليل" موضوعة لموضوعات متفرعة.
243	2-الخطابات المنقولة ورصدها للتاريخ المضمّر على المستوى النصي
251	1-2-رصد السرد التاريخي من خلال الخطابات المنقولة المباشرة.....
251	2-2-رصد السرد التاريخي من خلال الخطابات المنقولة غير المباشرة...
251	3-الرؤية السردية وحضور التاريخ المضمّر على المستوى النصي...
255	1-3-إستراتيجية التبئير ونقلها للتاريخ في رواية طير الليل.....
260	2-3-الحركي: مسألة المبرر والمبار وتأطير الحدث التاريخي.....
262	3-3-وجهة النظر ونقلها للتاريخ المضمّر في رواية كولونيل الزبربر..
268	4-المفارقات الزمنية وتشكلاتها في المتخيل التاريخي.....
268	1-4 - الاسترجاع التاريخي.....

274	2-4 - الاستشرف التاريخي في الروايات المختارة.....
278	1-2-4- الاستباق التمهيدي وعلاقته بالتاريخ المضمّر.....
	2-2-4- الاستباق الاعلاني وعلاقته بالتاريخ المضمّر.....
288	المبحث الثاني: إعادة بناء الأنساق التاريخية المضمرة في الروايات المختارة
288	1- العملية الافتراضية واستنباط الأقوال المضمنة والمسكوت عنها التاريخية
294	في رواية كولونيل الزّبرير للحبيب السّايح.....
	1-1- التاريخ واستحضار فترة الاستعمار.....
	1-2- التاريخ واستحضار فترة ما بعد
	الاستقلال.....
310	1-3- تاريخ المحنة أو العشريّة السّوداء.....
312	2- المنحى الاستلزامي والاستدلالي التخاطبي في رواية الحركي لمحمد بن
	جبار للكشف عن المضمّر.
320	3- مقاصد الرواي واستراتيجية التّأويل في المتخيل التاريخي "طير الليل"
	لعمارة لخصوص.
325	1-3- الانقلاب العسكري.....
333	2-3- بناء السياق التاريخي لمحمد بوضياف.....
342	3-3- سنوات الجمر.....
359	1-2- أوضاع الجزائر ما بعد الأزمة.....
	المبحث الثالث: تقاطع وتباين القضايا التاريخية المضمّر للرواية الجزائرية
	المعاصرة.
	1- الخيانة بين واقع الحركي وتاريخ التصفيات.....
	2- أوضاع الجزائر ما بعد الاستقلال.....

3-	السياقات التاريخية للعشرية السوداء.....
	الخاتمة.....
	ملخص البحث.....
	قائمة المصادر والمراجع.....
	الفهرس.....